كتاب

المحاسن والاضداد

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري

(إمام أهل الأدب المتوفى سنة ٢٥٥ هـ)

الطبعة الاولى

سنة ١٣٢٤

على نفقة

(أحمد باشي الخالدي ومحمد أمين الخانجي الكتبي وأخويه بمصر)

على تصحيحه محمد أمين الخانجي الكتبي

طبع بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر لصاحبيه

﴿ فهرس كتاب المحاسن والاضداد ﴾

صحيفه	
٠٢	مقدمة الكتاب
٠٣	محاسن الكتابة والكتب
٠٦	صده
٠٧	محاسن المحاطبات
١٠	صده
١١	محاسن المكاتبات
١٤	صده
١٤	محاسن الجواب
١٥	صده
١٦	محاسن حفظ اللسان
١٨	صده
١٨	محاسن كتمان السر .. وصده
٢٢	محاسن المشورة
٢٣	صده
٢٤	محاسن الشكر
٢٦	صده
٢٨	محاسن الصدق
٢٩	صده
٣٠	محاسن العفو
٣٣	صده
٣٥	محاسن الصبر على الحاسد
٣٦	صده
٠٥	محاسن الجود
٤	صده

صحيفه	
٤١	محاسن الولايات
٤٢	صده
٤٣	محاسن الصحبة
٤٣	صده
٤٥	محاسن التطفل
٤٦	صده
٤٧	محاسن الوفاء
٥٠	صده
٥٠	محاسن السخاء
٥٨	مساوى البخل
٦٧	محاسن الشجاعة
٧٤	صده
٧٧	محاسن حب الوطن
٨٣	صده
٨٤	محاسن الدعاء للجيل
٨٧	صده
٨٩	محاسن المفاخرة
١٠٥	صده
١٠٨	محاسن الثقة بالله سبحانه
١٠٨	صده
١٠٩	محاسن حب الوطن
١١٠	صده
١١٢	محاسن [illegible]
١١٣	صده

صحيفة	
١١٣	محاسن فضل الدنيا
١١٤	صده
١١٩	محاسن الزهد
١٢١	صده
١٢٣	محاسن النساء البادمات
١٢٧	محاسن النساء الماحمات
١٣٥	محاسن النساء الاعرابيات
١٣٧	محاسن النساء المتكلمات
١٤١	محاسن النساء مطلقاً
١٤٦	محاسن التزويج
١٥٠	أمثال في التزويج
١٥٣	في العاشرة من النساء
١٥٦	ماجاء في نساء الخلفاء
١٥٨	ماجاء في المطلقات
١٦٣	محاسن وفاء النساء
١٦٨	صده
١٧٤	محاسن مكر النساء
١٧٨	مساوي مكر النساء
١٧٩	محاسن الغيرة
١٨٦	احبار وامثال في الباب
١٩٠	اخبار الشعراء في الباب
١٩٢	مساوى شدة الغيرة
١٩٧	محاسن القيادة
٢٢٥	محاسن الديث
٢٢٨	صده مساوى الديث
٢٣١	محاسن الباه
٢٣٢	صده في مساوي العين
٢٣٣	محاسن السرور والمهرجان
٢٣٧	محاسن الهدايا
٢٤١	التلطف في الهدايا
٢٤١	هدايا السرور
٢٤٤	هدايا القصد
٢٥٠	محاسن الوصائف المغنيات
٢٥٣	محاسن الخواري مطلقا
٢٥٤	صده
٢٥٤	محاسن الموت .. وصده

﴿ ترجمة المؤلف ﴾

هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي المعروف بالجاحظ البصري العالم المشهور صاحب التصانيف في كل فن له مقالة في أصول الدين واليه تنسب الفرقة المعروفة بالجاحظية من المعتزلة وكان تلميذ أبي اسحاق ابراهيم بن سيار النظام المعروف بالنظام المتكلم المشهور وهو حال يموت بن المردع ومن أحسن تصانيفه وأتمها هذا الكتاب فلقد جمع فيه كل غريبة وكذلك كتاب البيان والتبيين وهي كثيرة جداً وكان مع فضائله مشوه الخلق وانما قيل له الجاحظ لأن عينيه كانتا جاحظتين والجحوظ التشوه وكان يقال له أيضاً الحدقي لذلك ومن جملة أخباره أنه قد ذكرت للمتوكل لتأديب بعض ولده فلما رآني استدعى بسطري فأمر لي بعشرة آلاف درهم وصرفني فخرجت من عنده فالتقيت محمد بن ابراهيم وهو يريد الانصراف الى مدينة السلام فعرض عليّ الخروج معه والانحدار في حرقته وكان من رأي فركبت الحراقة فلما انتهينا الى قم سمر القاطول نصب ستارة وأمر بالغناء فاندفعت عوادة فغنت

كل يوم قطيعة وعتاب ... يقضي دهرنا ونحن عتاب
ليت شعري أما خصصت بهذا ... دون ذا الخلق أم كذا الأحباب

وسكتت فأمر الطيورية فغنت

وارحمتا للعاشقين ما إن أرى لهم معينا
كم يهجرون ويصرمو ن ويقطعون فيصبرو ا

قال فكان هذا العوادة فيضعون ما دا قالت هكذا يسمعون وصرت بيده الى السارة فهتكتها وبرزت كأنها عقيلة قد أنست فسوى في نفسه وعلى رأس محمد غلام يصفق في الحال ويغنيه مدينة فأتى الموضع وصرفها وهي تغني وتقول

أنت في مرقسي ... ما ألهى وتعميه

وألقى نفسه في أنها فادار ... لاح الخرق فادا ... ما معتمدون ثم ... ما فا يرد ... فاستعطفه ...

ذلك وهاله أمرهما ثم قال ياعمرو لتحدثني حديثاً يسليني عن فعل هذين والا ألحقتك بهما قال فحدثني حديث يزيد بن عبدالملك وقد قعد للمظالم يوما وعرضت عليه القصص فرت به قصة فيها ان رأى أمير المؤمنين أن يخرج الي جاريته فلانة حتى تصيني ثلاثة أصوات فعل فاغتاظ يزيد من ذلك وأمر من يخرج اليه ويأتيه برأسه ثم اتبع الرسول رسولا آخر يأمره أن يدخل اليه الرجل فأدخله فلما وقف بين يديه قال له مالذي حملك على ماسمعت قال الثقة بحلمك والاتكال على عفوك فأمره بالجلوس حتى لم يبق أحد من بني أمية الا خرج ثم أمر فأخرجت الجارية ومعها عودها فقال لها الحق على

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل وان كنت قد أزمعت صرمي فاجملي

فغنته فقال له يزيد قل فقال غني

تألق البرق نجدياً فقلت له ياأيها البرق إني عنك مشغول

فغنته فقال له يزيد قل فقال يامولاي تأمر لي برطل شراب فأمر له به فاستتم شربه حتى وثب وصعد على أعلى قبة ليزيد فرمى نفسه على دماغه فمات فقال يزيد (انا لله وانا اليه راجعون) أتراه الأحمق الجاهل ظن أني أخرج اليه جاريتي وأردها الى ملكي ياغلمان خذوه بيده واحملوها الى أهله ان كان له أهل والا فاصنعوها وتصدقوا عنها فاطلقوا بها الى أهلها فلما توسطت الدار انصرف الى حميرة في وسط دار يزيد قد أعدت للعصر فحدثت نفسها من يدهم وأنشدت

من مات عشقاً فليمت هكذا لاخير في عشق بلا موت

فوثبت نفسها في الحميرة على دماغها فماتت فسري عن محمد وأخرج ساقي .. وقال أبو القاسم البغدادي حضرنا مجلس الاستاذ أبي الفضل بن العميد الوزير فجرى ذكر الجاحظ فغض منه بعض الحاضرين وأزرى به وسكت الوزير عنه فلما خرج الرجل قلت له سكت أيها الاستاذ عن هذا الرجل في قوله مع عادتك في الرد على أمثاله فقال يا أحمد في مثل هذا ينبغي من تركه على جهله ولو وقفته وبينت له لنظر في كتبه وصار ذلك سببا لتعلمه فكتب الجاحظ تعلم العقل أولا والأدب ثانياً ولم أستصلحه بعد ، وكان الجاحظ في آواخر عمره قد أصابه الفالج فكان يملي تصنيفه الأعور

بالصندل والكافور لشدة حرارته والنصف الأيسر لوقرض للقارض لما أحس به من حدره وشدة برده وكان يقول في مرضه اصطلحت على جسدي الاضداد ان أكلت ماردا أخذ برجلي وان أكلت حارا أخذ برأسي وكان يقول أنا من حاني الأيسر مملوح فلو قرض بالمقاريض ماعلمت به ومن حاني الأيمن مقرض فلو مر به الذباب لالمت وفي حصاة لايسرح لي البول معها وأشد ماعلي ست وتسعون سنة وكان ينشد

أترجو أن تكون وأنت شيخ ... كما قد كنت أيام الشباب

لقد كذبتك نفسك ليس ثوب ... دريس كالجديد من الثياب

وحكى بعض الرامكة قال كنت تقلدت السند فأقمت بها ماشاء الله تعالى ثم اتصل بي أني صرفت عنها وكنت كسبت بها ثلاثين ألف دينار فخشيت أن يعجلني بها الصارف فيسمع بمكان المال فيطمع فيه فصنعت عشرة آلاف اهليلجة في كل اهليلجة ثلاثة مثاقيل ولم يمكث الصارف ان أتى فركبت البحر وانحدرت الى البصرة فخبرت أن الخليفة بها وأنه عليل بالفالج فأحببت أن أراه قبل وفاته فصرت اليه فأقمت الى بابدار لطيف فقرعته فخرجت الي خادم صفراء فقالت من أنت قلت رجل عربي وأحب أن أسير بالبشارة الى الشيخ فبلغته الخادم ماقلت فسمعته يقول قولي له وما يصنع بشق مائل وأعلب سائل ولون حائل فقلت للخادمة لابد من الوصول اليه فلما بلغته قال هذا رجل قد اختار بالبصرة وسمع بعلتي فلعل أحب أن أراه قبل موته فأقول قد رأيت الخليفة ثم أذن لي فدخلت وسلمت عليه فرد ردا جميلا وقال من تكون أعزك الله فانتسبت له فقال رحم الله تعالى أسلافك وآبائك السمحاء الأجواد فلقد كانت أيديهم رياض الأرملة ولقد انحدر بهم خلق كثير فسقيا لهم ورعيا فدعوت له وقلت أما أحب أن تنشدني شيئا من شعرك فأنشدني

لئن قدمت قبلي رجال فما ... مشاب على رسلي فكيف تلومها

ولكن هذا الدهر أسرع صرفه ... فسهم مرمصاً وتنقض مبرما

ثم سكت فلما درت الصارف على ذلك رأيت عليه وحايسمه الاهليلج قلت لا قل من الاهليلج الذي معك فسمعت لي وقال له وحد حب معجناً من وقوعه على

خبرى مع كنماني له وبعثت له مائة اهليلجة

وقال أبو الحسن الرمكى أنشدنى الجاحظ

وكان لنا أصدقاء مضوا تفانوا جميعاً وما خلدوا

تساقوا جميعاً كؤس المنون فمات الصديق ومات العدوا

وكانت وفاة الجاحظ فى شهر المحرم سنة خمس وخمسين ومائتين بالبصرة وقد نيف على تسعين سنة رحمه الله تعالى انتهى مختصراً من فوات الوفيات

كتبه

محمد أمين الخانجي

الكتبي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على رسوله سيدنا محمد وآله أجمعين

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ** اني ربما ألفت الكتاب المحكم المتقن في الدين والفقه والرسائل والسيرة والخطب والحراج والأحكام وسائر فنون الحكمة وأسسه إلى نفسي فيتواطأ على الطعن فيه جماعة من أهل العلم بالحسد المركب فيهم وهم يعرفون براعته وفصاحته وأكثر ما يكون هذا منهم اذا كان الكتاب مؤلفاً لملك معه المقدرة على التقديم والتأخير والحط والرفع والترهيب والترغيب فانهم يتناحون عند ذلك اهتياج الابل المعتلة فان أمكنتهم الحيلة في اسقاط ذلك الكتاب عند السيد الذي ألف له فهو الذي قصدوه وأرادوه وان كان السيد المؤلف فيه الكتاب نحريراً فهماً وفقرساً بابياً وحاذقاً فطناً وأعجزتهم الحيلة سرقوا معاني ذلك الكتاب والفوا من أعراضه وحواشيه كتاباً وأهدوه الى ملك آخر وعتوا اليه به وهم قد دموه وثلموه لما رأوه منسوباً إليّ وموسوماً بي ** وربما ألفت الكتاب الذي هو دونه في معانيه وألفاظه فأترجمه باسم غيري وأحمله على من هو في عصره مثل ابن المقفع والخليل وسلم صاحب بيت الحكمة ويحيى بن خالد والعتابي ومن أشبه هؤلاء من مؤلفي الكتب فيأبى ذلك القوم بأعيانهم الطاعنون على الكتاب الذي كان أحكم من هذا الكتاب لاستماع هذا الكتاب وقراءته عليّ وبكتبه بخطوطهم وتصييره إماماً يقتدون به ويتدارسونه بينهم ويأدبون به ويستعملون ألفاظه ومعانيه في كتبهم وخطاباتهم ويروونه عني لغيرهم من طلاب ذلك الجنس فتثبت لهم به رياسة يأتمّ بهم قوم فيه لأنهم يرجعون فيه إليّ ولم ينسب الى ألبتي ** وهذا كتاب وسمته (بالمحاسن

والاضداد) لم أسبق الى نحاته ولم سألني أحد ... ابتدأته بذكر محاسن الكتابة والكتب وختمته في ذكر شيء من محاسن الموت والله يكلؤه من حاسد اذا حسد

محاسن الكتابة والكتب

كانت المعجم تقيد مآثرها بالبيان والمدن والحصون مثل بناء أردشير وبناء إصطخر وبناء المدائن والسدير والمدن والحصون . . ثم ان العرب شاركت العجم في البيان وتفردت بالكتب والأحجار والشعر والآثار فأما من البيان عمدان وكعبة نجران وقصر مأرب وقصر مارد وقصر شموب والأبلق الفرد وغير ذلك من البيان . وتصييف الكتب أشد تقييداً للمآثر على مر الأيام والدهور من البيان لأن البناء لا محالة يدرس وتعفى رسومه والكتاب باق يقع من قرن الى قرن ومن أمة الى أمة فهو أبداً حديد والناظر فيه مستفيد وهو أبلغ في تحصيل المآثر من البيان والتصاوير وكانت العجم تجعل الكتاب في الصخور وتنشأ في الحجارة وجلفة مركبة في البيان فربما كان الكتاب هو الباقي وربما كان هو المحفور اذا كان ذلك تاريخاً لأمر جسيم أو عهداً لأمر عظيم أو موعظة ترتجى نفعها أو احياء شرف يريدون تخليد ذكره كما كتبوا على قنة عمدان وعلى باب القيروان وعلى باب سمرقند وعلى عمود مأرب وعلى بيكر بشقر وعلى الأبلق الفرد وعلى باب الرها يعمدون الى المواضع المشهورة والأماكن المذكورة فيضعون الخط في أبعد المواضع من الدثور وأمنعها من الدروس وأحذر أن يراه من مر به ولا يأتي على وجه الدهور ولولا الحكم المخطوطة والكتب المدونة لبطل أكثر العلم ولعاب ساعات النسيان سلطان الذكر ولما كان للناس مفزع الى موضع اسدكار ولو لم تتم ذلك لحرمنا أكثر السير ولولا ما رسمت لنا الأوائل في كتبها وحفلت من تحبير حكمتها ودونت من أنواع سيرها حتى شاهدنا بها ما غاب عنا وفتحت بها كل مستغلق علمنا الى قليلنا كثيرهم وأدركنا ما لم تكن تدركه الأمهات لتدخين حفظ منه وأهل العلم والخبر وأصحاب الفكر والنظر والعلماء بحارث الدنيا وأرباب النحل ووزنة الأمناء وعيون الحفظة كانوا كتب العلوم والحكمة وكتب الناس وكتب أنسابهم وأخبارهم وكتب أحداثهم وما

والحصرمات وكتب السخفاء وحمية الجاهلية ،، ومنهم من يعرط في العلم أيام حوله وترك ذكره وحداثة سنه ، ولولا حياد الكتب وحسابها لما تحرّكت همم هؤلاء لطلب العلم وبارعت الى حبّ الكتب وانعت من حال الجهل وان يكونوا في عمار الوحش ولدخل عليهم من الضرر والمشقة وسوء الحال ما عسى أن يكون لا يمكن الإخبار عن مقداره إلاّ بالكلام الكثير ،، وسمعت محمد بن الجهم يقول اذا عشيني النعاس في عبر وقت النوم تناولت كتاباً فاحد اهتزازي للفوائد الأريحية التي تعتريني من سرور الاستفاد وعزّ التبيّن أشدّ إيقاظاً من بريق الخمار وهدّة الهدم فاني اذا استحسنت كتاباً واستجدته ورجوت فائدته لم أوثر عليه عوضاً ولم أبع به بدلا فلا أزال أنظر فيه ساعة بعد ساعة كم بقي من ورقه مخافة استفاده وانقطاع المادة من قبله ، وقال ابن داحة كان عبدالله ابن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب لا يجالس الناس فنزل مقبرة من المقابر وكان لا يزال في يده كتاب يقرؤه فسئل عن ذلك فقال لم أر أوعظ من قبر ولا آنس من كتاب ولا أسلم من الوحدة ،، وأهدى بعض الكتّاب الى صديق له دفتراً وكتب معه هديتي هذه أعزّك الله تركو على الإملاق وتربو على الكدّ لا تفسدها العواري ولا تخلقها كثرة التقليب وهي إنس في الليل والنهار والسفر والحضر تصلح للدنيا والآخرة تؤنس في الخلوة وتمتع من الوحدة مسامر مساعد ومحدّث مطاوع ونديم صدق .. وقال بعض الحكماء الكتب نسابين العلماء ،، وقال آخر الكتاب جليس لا مؤنة له ، وقال آخر الكتاب جليس بلا مؤنة ،، وقال آخر ،، ذهب المكارم إلا من الكتب

(قال الجاحظ) ،وأنا أحفظ وأقول الكتاب نعم الذخر والعُدّة والجليس والعمدة ونعم المسرة ونعم النزهة ونعم المشتغل والحرفة ونعم الأنس ساعة الوحدة ونعم العدة ساعة العدة ونعم القرين والدخيل والرفيق ونعم الوزير والنزيل ،، والكتاب وعاء ملئ علما وصرف حشي صرفا وإناء شحن مراحا إن شئت كان أعيى من باقل وإن شئت كان أبلغ من سحبان وائل وإن شئت سرّك نوادره وسحبك مواعظه ومن لك بواعظ مثله وسمسك فكه وناطق أخرس ومن لك بصاحب أعرابيّ وروميّ هنديّ وفارسيّ ماضيّ وبدويّ مولد معجب متمع ومن لك بشيء يجمع الأول والآخر والناقص والوافر

والشاهد والعائب والرفيع والوضيع والغنّ والسمين والشكل وخلافه والجنس وضده ..وبعدها رأيت بُستاناً يحمل في رُدن وروضة تنقل في جُحر يسطق عن الموتى ويترحم عن الأحياء ومن ذلك عُوْنس لا ينام إلا سوملك ولا يسطق إلا بما تهوى آمن من الأرض وأكتم للسر من صاحب السر وأحفظ للوديعة من أرباب الوديعة ولا أعلم جاراً آمن ولا جليساً أنصف ولا رفيقاً أطوع ولا معلماً أجمع ولا صاحباً أظهر كفاية وعناية ولا أقلّ إملالاً ولا إراما ولا أبعد من مراء ولا أنزل لشغب ولا أرهد في جدال ولا أكف عن قتال من كتاب ولا أعمّ بياناً ولا أحسن مواتاة ولا أعجل مكافأة ولا شجرة أطول عمراً ولا أطيب ثمراً ولا أقرب مجتنى ولا أسرع إدراكاً ولا أوجد في كل إبّان من كتاب ولا أعلم بتاجا في حداثة سنّه وقرب ميلاده ورخص ثمنه وإمكان وجوده بجمع من السِّير الصحيحة والعلوم الغريبة وآثار العقول الصحيحة وعهود الأدهان اللطيفة ومن الحكم الرفيعة والمذاهب القديمة والتجارب الحكيمة والاخبار عن القرون الماضية والبلاد الدارجة والأمثال السائرة والأمم البائدة ما يجمعه كتاب ..ومن ذلك براثر إن شئت كانت زيارته عنّا وورده حسنا وإن شئت لرمك لزوم ظلك وكان منك كمعصمك ..والكتاب هو الجليس الذي لا يطريك والصديق الذي لا يغتابك والرفيق الذي لا يملّك والمستمع الذي لا يستزيدك والجار الذي لا يستطلك والصاحب الذي لا يريد استجراح ما عندك بالملق ولا يعاملك بالمكر ولا يخدعك بالمذق ..والكتاب هو الذي إن نظرت فيه أطال امتاعك وشحذ طباعك وبسط لسانك وجود بيانك ومحّ الفاظك وفتح قلبك وعمّر صدرك ومحبب تعظيم العوام وصداقة الملوك يطيعك بالليل طاعته بالنهار وفي السفر طاعته في الحضر وهو المعلّم إن افتقرت اليه لم يحقرك وان قطعت عنه المادة لم يقطع عنك الفائدة وان عرضت لم يدع طاعتك وان هممت بخلاف أعدائك لم يعنف عليك ومتى كنت معانداً منه أدنى خلل لم تصطحبه معه وحشة الوحدة في جليس السوء وإنّ أقل ما يقطع به الفرع بهرهم وتحصيل الكتب ساعات ليهم تصرفي كتب لا يزيد لهم فيه اردد في تجربة وعمل ومروءة وصون عرض وإصلاح دين وتميز مال ورئاسة صناعة واستدامة إنعام .. ولو لم يكن من فضله عليك واحسانه اليك الا منعه لك من الخلوص

على بابك والنظر الى المارّة بك مع ما في ذلك من التعرض للحقوق التي تلزم ومن فضول النظر وملاسة صغار الناس ومن حضور العاطلهم الساقطة ومعايبهم الفاسدة وأخلاقهم الرديّة وجهالتهم المذمومة لكان في ذلك السلامة والعيشة واحراز الأصل مع استفادة الفرع ولو لم يكن في ذلك الاّ أنه يشغلك عن سخف المُنَى واعتياد الراحة وعن اللعب وكل ما تشتهيه لقد كان له في ذلك على صاحبه أسبغ النعم وأعظم المنّة .. وحملة الكتاب وان كثر ورقه فليس مما يملّ لأنه وان كان كتاباً واحداً فانه كتبٌ كثيرة في حطامه والعلم بالشريعة والأحكام والمعرفة بالسياسة والتدبير .. وقال مصعب بن الزبير .. ان الناس يتحدّثون بأحسن ما يحفظون ويحفظون أحسن ما يكتبون ويكتبون أحسن ما يسمعون فاذا أحدث الأدب لحدثه من أفواه الرجال فانك لا ترى ولا تسمع الاّ مختارا ولؤلؤاً منظوما .. وقال لقمان لابنه .. يا بنيّ ناقس في طلب العلم فانه ميراث غير مسلوب وقرين غير معلوب وليس حظّ من الناس وفي الناس مطلوب .. وقال الزهري الأدب ذكر لا يحسنه الاّ الذكور من الرجال ولا ينفعه الاّ مؤنّثهم .. وقال اذا سمعت أدباً فاكتمه ولو في حائط . وقال منصور بن المهديّ للمأمون .. أيحسن بنا طلب العلم والأدب قال والله لأن أموت طالباً للأدب خير لي من أن أعيش قانعاً بالجهل قال فالى متى يحسن بي ذلك قال ما حسنت الحياة بك

خبر صدّه

الحديث المرفوع رحم الله عبداً أصلح من لسانه . وكان الوليد بن عبد الملك لُحَنَة فدخل عليه اعرابيّ يوما فقال اصمني من حجي يا أمير المؤمنين فقال ومن حجّك قال رجل من الحيّ لا أعرف اسمه فقال عمر بن عبد العزيز ان أمير المؤمنين يقول لك من حجّك فقال هو ذا بالباب فقال الوليد لعمر ما هذا قال النحو الذي كنت أحرّك عنه قال لا جرم فاني لا أصلي بالناس حتى أتعلمه قال وسمع اعرابيّ مؤذناً يقول .. أشهد أن محمداً رسول الله فقال يعمل ماذا قال وقال رجل لزياد .. أيها الأمير انّ أبيا هلب وانّ أخا عصبا على ولدنا من أبانا فقال زياد ما منعك من نصك أكثر مما

ساع من ميراث أبيك فلا رحم الله أباك حيث ترك ابنا مثلك ،، وقال مولى لزياد : أيها الأمير احذوا لنا حمار وحش ، فقال ، ما تقول ، فقال ، احسدوا لنا إبراً ، فقال زيادة : الأول خير من الثاني ،، قال واختصم رجلان الى عمر بن عبد العزيز فجعلا يلحنان فقال الحاجب . قد فقد أوديتما أمير المؤمنين ، فقال عمر للحاجب : أنت والله أشد إذاء منهما ، قال وقال بشر المريسي وكان كثير اللحن ، قضى لكم الامير على أحسن الوجوه وأهنؤها ، فقال القاسم التمار : هذا على قوله

إن سليمى والله يكلؤها ضنت بشيء ما كان يرزؤها

فكان احتجاج القاسم أطيب من لحن بشر ،، قال وكان زياد النطي شديد اللكنة وكان نحويا فدعى علامه ثلاثاً فلما أتاه قال : من لدن دأوتك الى أن دخلت ما كنت تصنأ ، يريد دعوتك وحتى دخلت ،، ومر ماسرجويه الطبيب بعماد بن مسلم فقال: يا ماسرجويه إني لأحد في حلقي نحتاً ، قال ، هو من عمل بلعم ، فلما جاوزه قال : تراني لا أحسن أن أقول نامٌ ولكنه قال بالعربية فأحسنه بصدها

محاسن المخاطبات

حكوا عن ابن القرية ،، انه دخل على عبد الملك بن مروان فبينا هو عنده إذ دخل عمرو عبد الملك عليه فقال من هؤلاء الفتية يا أمير المؤمنين ، قال ولد أمير المؤمنين ، قال ، بارك الله لك فيهم كما بارك لأبيك فيك وبارك لهم فيك كما بارك لك في أبيك ، قال فشحى فاه درأ ،، قال وقال عمارة بن حمزة لابن العباس وقد أمر له بجوهر نفيس : وصلك الله يا أمير المؤمنين ورثك فوالله لئن أردنا شكرك على أنعامك لتقصرن شكرنا عن نعمتك كما قصر الله ما عن مرادك ، قيل ودخل اسحاق بن ابراهيم الموصلي على الرشيد وعال مالك ، قال

سوامي سوام المكثرين تحملاً ومالي كما قد تعلمين قليل

وأمرة بالبخل قلت لها اقصري فذلك شيء ما إليه سبيل

وكيف أخافُ الفقرَ أو أحرمُ الغِنا ورأيُ أميرِ المؤمنينَ جميلُ
أرى الناسَ خلاّنَ الجوادِ ولا أرى بخيلاً لهُ في العالمين خليلُ

فقال الرشيد : هذا والله الشعر الذي صحت معانيه وقويت أركانه ومبانيه ولدّ على أهواء القائلين واسماع السامعين ياغلام احمل اليه خمسين الف درهم . قال اسحاق ياأمير المؤمنين كيف أقبل صلتك وقد مدحت شعري بأكرم مما مدحتك به . قال الاصمعي : وعلمت انه أسيد للدراهم مني . قال ودخل المأمون ذات يوم الديوان فنظر الى غلام جميل على أذنه قلم فقال من أنت . قال أنا الداعيُ في دولتك المقبل في نعمتك المؤمل لخدمتك الحسن بن رجاء فقال المأمون : بالاحسان في الدنيا تتفاضل العقول يرفع عن مرتبة الديوان الى مراتب الخاصة ويُعطى مائة ألف درهم تقوية له .. قال .. ووصف يحيى بن خالد الفضل بن سهل وهو غلام على المحوسية للرشيد وذكر أدبه وحسن معرفته فعمل على ضمه الى المأمون فقال ليحيى يوماً أدخل إليّ هذا الغلام المجوسي حتى أنظر اليه فاوصله فاما مثل بين يديه ووقف تحيّر فاراد الكلام فأرتج عليه فادركته كبوة فنظر الرشيد الى يحيى نظرة منكرة لما كان تقدّم من تقريظه اياه فاسعف الفضل بن سهل فقال ياأمير المؤمنين ان من أبين الدلائل على فراهة المملوك شدة افراط هيبته لسيده . فقال له الرشيد أحسنت والله لئن كان سكوتك لتقول هذا انه لحسن ولئن كان شيئاً أدركك عند انقطاعك انه لأحسن وأحسن ثم جعل لا يسأله عن شيء إلّا رآه فيه مقدّماً فضمّه الى المأمون .. قال وقال الفضل بن سهل للمأمون وقد سأله صاحبه لبعض أهل يومان دهاقين سمرقند كان وعده تعجيل اعدادها فأخر ذلك هب لوعدك مدكراً من نعمتك وهيّ سائلك حلاوة نعمتك واجعل ميلك الى ذلك في الكره حثاً على اصطناع شكر ما نالك من نشر تلك الفضول بحقائق الكرم والاساس بناء الجود . فقد جعلت ليلك أخاه تسوالي على ما ترى فيهم وأجدك في التقصير فيه ـ بهم من سير استمار وعاودة في احراج الاكثار من أحصر الاموال متناولا قال ، داً لا تجدى معرفتي بما يجب لامير المؤمنين الهناء به مما يدوم له منهم حسن الثناء ويستمد

بدعائهم طول البقاء ،، وقال الفضل بن سهل للمأمون ،، يا أمير المؤمنين احمل نعمتك سائسة لوجوه حشمك عن اراقة مائها فى عصاصة السؤال فقال والله لا كان ذلك الا كذلك . قال ودخل المتأنى على المأمون فقال ،، حُبّرت بوفاتك فمتنى ثم حادثتى وفادتك فسرتنى فقال يا أمير المؤمنين كيف أمدحك أم عادا أسمك ولا دين الا بك ولا دنيا الا معك فقال سلنى ما بدالك قال يدالك بالعطية أطلق من لسانى بالمسئلة ،، قال وقدم السعدى ابو وحزة على المهلب بن أبى صفرة فقال ،، أصلح الله الأمير انى قد قطعت اليك الدهناء وصرت اليك آباط الابل من يثرب قال فهل أتيتنا بوسيله أو عشرة أو قرابة قال لا ولكنى رأيتك لحاجتى أهلا فاردفت بها أهل ذلك وان يحلّ دونها حائل لم أدم يومك ولم أيأس من غدك فقال المهلب يعطى ما فى بيت المال فوجد مائة ألف درهم فدفعت اليه فأخذها ،، وقال

يا مَنْ على الجُودِ صاعَ اللهُ راحَتَهُ ... فليسَ يحْسِنُ غيرَ البَذْلِ والجُودِ
عَمَّتْ عطاياكَ مَنْ بالشَّرْقِ قاطبَةً ... فأنتَ والجودُ منحوتانِ مِنْ عودِ

وقد يجب على العاقل الراغب فى الادب أن يحفظ هذه المحاضرات ويدمن قراءتها ،، وقد قال الأصمعى

أمَا لو أعى كلَّ ما أسمعُ ... وأحفظُ من ذاك ما أجمعُ
ولم أستفد غير ما قد جمعتُ ... لقيلَ انا العالمُ المقنعُ
ولكنَّ نفسى إلى كلِّ شىءٍ ... من العلمِ تسمعهُ تنزعُ
فلا أنا أحفظُ ما قد جمعتُ ... ولا أنا من جمعهِ أشبعُ
وأقعدَ للجهلِ سيفى بخاس ... وعلمى فى الكتبِ مستودعُ
ومن يك فى علمهِ هكذا ... يكن دهرهُ القهقرى يرجعُ
يضيع من المالِ ما قد جمعتَ ... وعلمك فى الكتبِ مستودعُ
إذا لم تكنْ حافظاً واعياً ... فجمعك للكتبِ ما ينفعُ

وقال بعضهم .. الحفظ مع الاقلال أمكن وهو مع الاكثار أبعد وتعبير الطبائع زمن وطول المعنى أقل .. وفيها قال الشاعر

أتاني هواها قبلَ أن أعرفَ الهوى فصادفَ قلباً خالياً فتمكنا

وقيل .. العلم في الصغر كالنقش في الحجر والعلم في الكبر كالسلامة على المدر .. فسمع ذلك الأحمف فقال الكبير أكثر عقلا ولكنه أكثر شغلا .. كما قال

وإنَّ مَنْ أدَّبتَهُ في الصبَى كالعُودِ يُسقَى الماء في غَرْسِهِ

حتَّى تَرَاهُ مُورِقاً ناضِرًا بعد الذِي أنضرتَ من يَبْسِهِ

والصبيّ من الصبي أفهم وهو له آلف واليه أسرع .. وكذلك العالم عن العالم والجاهل عن الجاهل .. وقال الله تعالى ﴿ولو جعلناه مَلَكا لجعلناه رجلا﴾ لأن الانسان عن الانسان أفهم وطباعه لطباعه آنس

﴿ صدّه ﴾

قال . دخل ابو علقمة النحوي على أعين الطبيب فقال .. اني أكلت من لحوم الحواري وطسْتُ طسأةَ فأصابني وجع بين الوابلة الى دأية العنق فلم يزل يربو ويمو حتى حالط الشراسيف فهل عندك دواء .. قال نعم حدد حوقفا وسرقا ورقرقا فاغسله واسرنه بماء فقال لا أدري ما تقول قال ولا أنا دريت ما قلت .. قال وقال يوما آخر اني أجد معمعة في قفي وقرء في صدري فقال له أما المعمعة فلا أعرفها وأما القرقرة فهي صراط غير نصيح .. قال وأتى رجل الهيثم بن العريان يعزم له قد مطله حقه فقال أصلح الله لأمير ان لي على هذا حقا قد علي عليه فقال له الآخر اصلحك الله ان هذا ماعي معدماً واسنه محولا وشرط عليه أن أعطيه مياومة فهو لا يلقاني في لقم الاقتضاء دهماً فقال له الهيثم أمن بني أميه أنت قال لا قال أمن بني هاشم أنت قال لا قال أمن أكفهم من العرب قال لا قال و بي عليك أرعوا ثيابه فلما أرادوا أن يرعوا ثيابه قال أصلحك الله ان إزاري مرعبل قال دعوه فلو ترك العريب في موضع لتركه في هذا

الموضع .. قال ومرّ ابو علقمة بعض الطرق فهاجت به مِرّة فوثب عليه قوم فجعلوا يعصرون اهابه ثم يؤدّنون في أذنه فأفاق من أيديهم فقال ما لكم تتكأكأون عليّ تكأكؤكم على ذي جنة افرنقعوا عني فقال رجل منهم دعوه فان شيطانه يتكلم بالهندية .. قال وقال الحجّام يحمد اشد قصب الملازم وارهف طبة المشارط وحقّف الوضع وعجل الرع وليكن شرطك وَحْراً ومصّك نهراً ولا تكرهن أبيّاً ولا تردّن أبيّاً فوضع الحجّام محاجمه في حوبته وانصرف

محاسن الظائنات

قال كعب العنبري لعروة بن الزبير .. قد أدّبت دسماً الى اوليد بن عبدالملك وليس يزال عنه شيء فاكتب لي اليه فكتب اليه .. لو لم يكن لكعب من قديم حرمته ما يُعمرُ له عظيم حريرته لوجب أن لا تحرمه التعيّة بطلّ عموك الذي تأمله القلوب ولا تعلّق به الدلوب وقد استشفع بي اليك فوثقت له منك بنعمة لا يخالطه سخط فحقّق أمله وصدّق ثقتي بك تجد الشكر وافياً بالنعمة .. فكتب اليه الوليد .. قد شكرت رغبته اليك وعفوت عنه لمعوله عليك وله عندي ما يحب فلا تقطع كتبك عني في أمثاله وفي سائر أمورك .. وكتب عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر الى بعض عمّاله .. أما بعد فقد عاقني الشك عن عزيمة الرأي ابتدأتني بالعتب من غير جرم ثم عقبتني جفاءً من غير ذنب فأطمعني أوّلك في إحسانك وأيأسني آخرك من ودّك فلا أنا في غير الرجاء فسح لك إطّراحاً ولا في عدد اسطاره منك على ثقة فسيحان من لو شاء كشف إبصاح الرأي عيك وقفا على إسلاف أو افرق عن خلاف .. قال وسخط مسلمة بن عبدالملك على العرزمي بن هيثم فهرب عنه لكونه واجد عليه في أمر بن سمامر فكتب اليه .. ان من حسن أدب الله بالنعمة دوي الأيدي ومن إسباغ شكر الله صفح القادر عن الذنب ومن ثمة سودد حسن الوضع عند الصنائع وقد كتب أودعك الله يا بن عمه من الملك [illegible]

وكيتَه ثم عرلته وحليته وأنا شفيعه فأحب أن تحمل له من قابك نصيبه ولا تحرجه من حسن رأيك فتُضيع ما أودعته وتنوي[1] ما أفدته .. فعفى عنه ورده الى عمله ..
قال وعصب سليمان بن عبد الملك على ابن عُبيد مولاه فشكا الى سعيد بن المسيّب ذلك فكتب اليه .. أما بعد فان أمير المؤمنين في الموضع الذي يرتفع قدره عما تقتضيه رعيته وفي عفو أمير المؤمنين سعة للمسيئين .. فرضي عنه .. قال وطلب العتّابي من رجل حاجة فقضى له بعضها ومطله بعض فكتب اليه .. أما بعد فقد تركتني مستطراً لوعدك منحراً لرفدك وصاحب الحاجة محتاج الى نَعَم هنيئة أو لا فَسريحة والعذر الجميل أحسن من المطل الطويل .. وقد قلت بيتي شعر

بَسطْتَ لِساني ثمّ أوثقْتَ بِصمْتِهِ ... فصمْتُ لِساني بامْتِداحِكَ مُطْلَقُ
فإنْ أنتَ لمْ تنحرْ عِداتي تَرَكْتَني ... وباقي لِسانِ الشكرِ باليأسِ مُوثَقُ

قال .. وكتب عمرو بن مسعدة الى المأمون في رجل من بني عمّه يستشفع له بالزيادة في مرتبه وحمل كتابه تعريضاً .. أما بعد فقد استشفع بي فلان يا أمير المؤمنين لتطوّلك عليّ في إلحاقه بسطرائه من الخاصة فيما يترقون به وأعلمته ان أمير المؤمنين لم يجعلني في مراتب المستشفعين وفي ابتدائه بذلك تعدّي طاعته والسلام فكتب اليه المأمون قد عرفنا تعريضك له وتعريضك لنفسك وأحلناك عليهما ووقّفناك عليهما قال وكتب عمرو بن مسعدة الى المأمون كتاباً يستعطفه على الجند كتابي الى أمير المؤمنين ومَن قبلي من أجداده وقوّاده في الطاعة والانقياد على أحسن ما تكون عليه طاعة جند تأخّرت أرزاقهم واحتاجت أحوالهم فقال المأمون والله لأقضين حق هذا الكلام وأمر باعطائهم لثمانية أشهر قال وقدم رجل من أبناء دهاقين قريش على المأمون ليعدّه سلعة منه فطال على الرجل انتظار خروج أمر المأمون فقال لعمرو بن مسعدة توصل في رقعة بي الى أمير المؤمنين تكون أنت الذي تكتبها تكون لك عليّ نعمتان وكتب ان رأى أمير المؤمنين أن يسلّ سخيمة عبده من رقّة المطل بقضاء حاجته وتأذن له في

(١) [illegible]

الانصراف الي بلده فعل إن شاء الله . فلما قرأ المأمون الرقعة دعا عمراً فعمل بصحته من حبس لمطها وايجار المراد فقال عمرو ما نتيجتها يا أمير المؤمنين قال الكتاب له في هذا الوقت بما وعدناه لئلا يتأخر فعل استحسانا كلامه وجائزة مائة ألف درهم صلة عن دناءة المطل وسماحة الاعمال فعمل ذلك له .. وحدثنا اسماعيل بن أبي شاكر قال . لما أصاب أهل مكة السيل الذي شارف الحجر ومات تحته خلق كثير كتب عبيد الله بن الحسن العلوي وهو والي الحرمين الى المأمون . ان أهل حرم الله وجيران بيته والآف مسجده وعمرة بلاده قد استجاروا بعز معروفك من سيل تراكمت أحرياله في هدم البيان وقتل الرجال والنسوان واجتياح الأصول وحرف الأفئدة حتى ما ترك طارقا ولا تالداً للراجع اليهما في مطعم ولا ملبس فقد شغلهم ضاب العداء عن الاستراحة الي البكاء على الأمهات والأولاد والآباء والاحداد فأجرهم يا أمير المؤمنين بعطفك عليهم واحسانك اليهم تحمد الله مكافئك عنهم ومثيبك عز الشكر منهم قال فوجه اليهم المأمون بالأموال الكثيرة .. وكتب الى عبيد الله أما بعد فقد وصلت شكيتك لأهل حرم الله امير المؤمنين فكاهم بقلب رحمته واعدهم نسيب نعمته وهو متبع ما أسلف اليهم بما يحلمه عليهم عاجلا وآجلا ان أدن الله في تثبيت عزمه على صحة نيته .. قال فصار كتابه هذا آنس لأهل مكة من الأموال التي أنفذها اليهم قال وكتب حمدون بن محمد بن الاشعث الى يحيى بن خالد بسعفه من العمل شكري لك على ما أريد الخروج منه شكر من سأل الدخول فيه قال وكتب علي بن هشام الى اسحاق بن ابراهيم الموصلي ما أدري كيف أصنع أغيب فأشتاق وألقى ولا أشتهي ثم يحدث لي اللقاء الذي طالت منه الشقاء نوعا من الحرقة للوعة الفرقة قال وكتب معقل الى أبي دلف فلان جميل الحال عند الكرام فان كنت لم ترتبطه بفضلك عليه فعل غيرك .. وكتب أبو هاشم الجرجاني الى بعض الامراء عرضي من الامير معذور والصبر على الحرمان معجز وكتب آخر الي صديق له أما بعد فقد أصبح لنا من فضل الله ما لا نحصيه مع كثرة ما نعصيه وما ندري ما نشكر أجميل ما نشر أم كثير ما ستر أم عظيم ما أولى ثم كثير ما سبق غير ما نرى في كل الامور شكره ونحن عالمون بعجزنا عن أداء شكر الله في حسن الائه كشكرنا على حسن آلائه

﴿ ضـدّه ﴾

(قال الحاحظ) كتب أبو المراكي الى بعض ملوك بغداد .. حُمِلْتُ فداك برحمته .. قال وقرأت على عنوان كتاب لابي الحسن الشّمّري .. للموت لا قِلة .. وقرأت أيضاً على عنوان كتاب .. الى الذي كتبَ إليّ

محاسن الجواب

قال دخل رجل على كسرى ابروز .فشكى اليه عاملا عصبه على ضيعة له .. فقال له كسرى منذ كم هي في يدك قال منذ أربعين سنة قال فأنت تأكلها أربعين سنة ماعليك أن يأكل عاملي منها سنة واحدة فقال وما كان على الملك أن يأكل بهرام جور الملك سنة واحدة فقال ادفعوا الى قفاه فأخرجوه فلما خرج أمكنته التفاتة فقال دخلت عظامة وخرجت شتيم فقال كسرى ردوه وأمر برد ضيعته وصيّره في حاشيته .. ويقال ان سعيد بن مرّة الكندي جاء أبا معاوية .. قال له أنت سعيد قال أمير المؤمنين سعيد وأنا ابن مرّة .. قال ودخل السيد بن أنس الازدي على المأمون .. فقال أنت السيد فقال أنت السيد يا أمير المؤمنين وأنا ابن أنس .. قال وقيل للعباس بن عبد المطلب أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هو عليه الصلاة والسلام أكبر مني وأنا وُلِدت قبله . قال وقال الحجّاج للمهلب أنا أطول أم أنت قال الامير أطول وأنا أبسط قامة منه .. قيل ووقف المهدي على امرأة من بني تُعل فقال لها ممن المحور قالت من طيء قال ما منع طيئاً أن يكون فيها آخر مثل حاتم قالت الذي منع العرب أن يكون فيها آخر مثلك فأعجب بقولها ووصلها قيل ولما استوثق أمر العراق لعبد الله بن الزبير وجّه مصعب اليه وفداً فلما قدموا عليه قال لهم وددت أن لي بكل خمسة منكم رجلا من أهل الشام فقال رجل من أهل العراق يا أمير المؤمنين عَلِقتَ وسَلِقتَ بأهل الشام وعَلِق أهل الشام بآل مروان فما أعرف لنا مثلا إلا .. قول الاعشى

عَلَّقتُها عَرَضاً وعَلَّقتْ رَجُلاً غَيْرِي وعَلَّقَ أُخْرَى غَيْرَها الرَّجُلُ

فما وجدنا حواباً أحسن من هذا . قال وقال مسلمة بن عبد الملك . ما شيء يؤتى للعبد بعد الايمان بالله تعالى أحب إليّ من جواب حاضر فان الجواب اذا انعقد لم يكن شيئاً

﴿ ضِدّه ﴾

قال اجتمع عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبرقان بن بدر وعمرو بن الاهتم فذكر عمرو الزبرقان قال يأبى أنت وأمي يا رسول الله انه لمطعام حواد الكعب مطاع في أدانيه شديد العارضة مانع لما وراء ظهره .. فقال الزبرقان بأبي أنت وأمي يا رسول الله انه ليعرف مني أكثر من هذا ولكنه يحسدني . فقال عمرو والله يا بي الله ان هذا لزَمِرُ المروءة ضيّق العَطَن لئيم العمّ أحمق الخال فرأى الكراهية في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اختلف قوله فقال .. يا رسول الله ما كذبت في الأولى ولقد صدقت في الأخرى ولكني رضيت فقلت أسوأ ما أعلم .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من البيان لسحرا وإن من الشعر لحكما وذكروا ان الوليد بن عقبة قال لعقيل بن أبي طالب . عالك عليّ على الثروة والعدد .. قال وسقي ويذلّ الى الحبة قال الوليد أما والله إن شدقيك متصمخان من دم عثمان .. قال عقيل مالك ولقريش وانما أنت فيهم كسيح المِيسر فقال الوليد والله اني لأرى لو أن أهل الارض اشتركوا في قتله لوردوا صَعُوداً فقال له عقيل كلاّ أما ترعى على صحبة أبيك .. قال وقال رجل من قريش لخالد بن صفوان ما اسمك قال خالد بن صفوان بن الاهتم قال ان اسمك لكذب ما أنت بخالد وان أباك لصفوان وهو حجر وان جدك لأهتم والصحيح خير من الأهتم قال له خالد من أي قريش أنت قال من عبد الدار بن قصيّ بن كلاب قال لقد هشمك هاشم وأماتك أمية وجبحت لك جمح وحرمك مخزوم وأقصتك قصيّ شعب عبد درها تفتح الدار وتغلق اذا حرجوا .. قيل ومرّ المرزدق فرأى جامعة الشعر فقال له يا أبا فراس من العمّال

هُوَ القَيْنُ وابْنُ القَيْنِ لا قَيْنَ مِثْلُهُ لِقَطْعِ المَسَاحِي أوْ لِجُذْلِ الأَدَاهِمِ

قال المبرد في الذي يقول

هُوَ اللِّصُّ وابْنُ اللِّصِّ لا لِصَّ مِثْلُهُ لِنَقْبِ جِدَارٍ أوْ لِطَرِّ الدَّرَاهِمِ

محاسن حفظ اللسان

قال أكثم بن صيفي مقتل الرجل بين فكيه — يعني لسانه — وقال .. رب قول أشدّ من صول وقال لكل ساقطة لاقطه .. وقال المهلب لبنيه .. اتقوا زلّة اللسان فاني وجدت الرجل تعثر قدمه فيقوم من عثرته وتزلّ لسانه فيكون فيه هلاكه .. قال يونس بن عبيد .. ليست حلة من حلال الخير تكون في الرجل هي أحرى أن تكون جامعة لأنواع الخير كلها من حفظ اللسان .. وقال قسامة بن زهير يا معشر الناس ان كلامكم أكثر من صمتكم فاستعينوا على الكلام بالصمت وعلى الصواب بالفكر .. وكان يقال ينبغي للعاقل أن يحفظ لسانه كما يحفظ موضع قدمه ومن لم يحفظ لسانه فقد سلّطه على هلاكه .. وقال الشاعر

عَلَيْكَ حِفْظَ اللِّسَانِ مُجْتَهِدَا فَإِنَّ حَلَّ الهَلاَكِ فِي زَلَلِهِ

غيره

وجَرْحُ السَّيْفِ تَأْسُوهُ فَيَبْرَأُ وجَرْحُ الدَّهْرِ مَا جَرَحَ اللِّسَانُ

جِرَاحَاتُ الطِّعَانِ لَهَا الْتِئَامُ وَلاَ يَلْتَامُ مَا جَرَحَ اللِّسَانُ

غيره

إِحْفَظْ لِسَانَكَ لا تَقُلْ فَتَبَلَّى إِنَّ البَلاَءَ مُوَكَّلٌ بِالمَنْطِقِ

غيره

لَعَمْرُكَ مَا تَحْيَا عَلِمْتَ مَكَانَهُ أَحَقُّ بِسَجْنٍ مِنْ لِسَانٍ مُذَلِّلِ

عَلَيكَ مِمَّا لَيسَ يَعنِيكَ قَولُهُ بِقُفلٍ شَدِيدٍ حَيثُ مَا كُنتَ فَاقفِلِ

قيل .. تكلم أربعة من الملوك بأربع كلمات كأنما رميت عن قوس واحد .. قال كسرى .. أنا على ردّ ما لم أقل أقدر مني على ردّ ما قلت .. وقال ملك الهند .. اذا تكلمت بكلمة ملكتني وإن كنت أملكها .. وقال قيصر .. لا أندم على ما لم أقل وقد ندمت على ما قلت .. وقال ملك الصين .. عاقبة ما قد جرى به القول أشدّ من الندم على ترك القول .. وقال بعضهم .. من حصافة الانسان أن يكون الاستماع أحب اليه من النطق اذا وجد من يكفيه فانه لن يُعدم الصمت والاستماع سلامة وزيادة في العلم .. وقال بعض الحكماء .. من قدر على أن يقول فيحسن فانه قادر على أن يصمت فيحسن . وقال بعضهم .. كان ابن عيينة الريحاني المتكلم المصيب صاحب التصانيف يقول .. الصمت أمان من تحريف اللفظ وعصمة من ريع المنطق وسلامة من فصول القول .. وقال أبو عبيد الله كاتب المهدي .. كن على التماس الحظ بالسكوت أحرص منك على التماسه بالكلام .. وكان يقال .. من سكت سلم كان كس قال نعم .. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ان الله تعالى يكره الاسهاق في الكلام يرحم الله امرأ أوجز في كلامه واقتصر على حاجته . قيل وكلم رجل سقراط عند قتله بكلام أطاله فقال .. أنساني اول كلامك طول عهده فارق آخره وهي لتعاونه ولما تقدّم ليقتل بكت امرأته فقال .. لها ما يبكيك قالت تقتل ظلماً قال وكنت تحبين أن أقتل حقاً أو أقتل ظالماً .. وشتم رجل المهلب فلم يُجبه فقيل له حلمت عنه فقال ما أعرف مساويه وكرهت أن أبهته بما ليس فيه .. وقال سلمة بن القاسم عن الزبير قال .. حُملتُ الى المتوكل وأدخلت عليه فقال يا أبا عبد الله الرم أبا عبد الله — يعني المعتزّ — حتى نعلمه من فقه المدينيين فأدخلت حجرة فاذا أنا بالمعتزّ قد أتى في وجهه نحل من دهب وقد عثر به فسال دمه فجعل يمسح الدم .. ويقول

يُصابُ الفتى من عثرة بلسانهِ وليسَ يُصابُ المرءُ من عثرةِ الرِّجلِ

فعثرتهُ من فيهِ ترمي برأسهِ وعثرتهُ بالرِّجلِ تبرَا على مهلِ

فقلت في نفسي سُمِمتُ الى من أريد أن أتعلم منه

﴿ ضـدّه ﴾

سئل بعض الحكماء عن المنطق فقال .. انك تمدح الصمت بالمنطق ولا تمدح المنطق بالصمت وما عُبِّر به عن شيء فهو أفضل منه .. وسئل آخر عنهما فقال .. أجرى الله المساكنة ما أفسدها للسان وأحلها للعي ووالله للمماراة في استخراج حق أهدم للعي من النار في يابس العرفج فقيل له قد عرفت ما في المماراة من الذم فقال ما فيها أقل ضرراً من السكتة التي تورث علة وتولد داء أيسره العي .. وقال بعض الحكماء .. اللسان عضو فان مرنته مرن وان تركته خرن .. ومن أفرط في قوله فاستقيل فالحلم .. ماحكي عن شهرام المروزي فانه جرى بينه وبين أبي مسلم صاحب الدولة كلام فما زال أبو مسلم يحاوره الى أن قال له شهرام يا لَقَطَة فصمت ابو مسلم وندم شهرام على ما سبق به لسانه وأقبل معتذراً خاضعاً ومتمثلا فلما رأى ذلك أبو مسلم قال لسان سبق ووهم فأخطأ وانما العتب شيطان والذنب لي لأني جرأتك على نفسي بطول احتمالي لك فان كنت معتمداً للذنب فقد شركتك فيه وان كنت معلوماً فالعذر يسعك وقد عفونا لك على كل حال قال شهرام أيها الملك عفو مثلك لا يكون غروراً قال أجل قال وان عظيم ذنبي لي يدع قلبي يسكن ولج في الاعتذار فقال أبو مسلم يا محا كنت تسيء وأنا أحسن فقد أحسنتُ أسأتَ

محاسن كتمان السر

قال كان المنصور يقول .. الملك يحتمل كل شيء من أصحابه الا ثلاثاً إفشاء السر والتعرّض لحرمه والقدح في الملك .. وكان يقول سرّك من دمك فانظر من تملكه . وكان يقول سرّك لا تطلع عليه غيرك وإن من أفسد البصائر كتمان السرّ حتى يرم المرؤم .. وقيل لأبي مسلم بأي شيء ادرك هذا الامر قال ارتديت بالكتمان وتررت

بالحزم وخالفت الصبر وساعدت المقادير فأدركت طلبتي وحرت بعيتي .. وأنشد في ذلك

أدركت بالحزم والكتمان ما عجزت ... عنه ملوك بني مروان إذ جهدوا
ما زلت أسعى عليهم في ديارهم ... والقوم في ملكهم بالشام قد رقدوا
حتى ضربتهم بالسيف فانتبهوا ... من نومة لم ينمها قبلهم أحد
ومن رعى غنما في أرض مسبعة ... ونام عنها تولى رعيها الأسد

قال .. وقال عبد الملك بن مروان للشعبي لما دخل عليه .. خمس خصال اربعاً لا تطريني في وجهي ولا تحرن عليّ كذبة ولا تعتان عبدي احداً ولا تغشين لي سراً .. وقال النبي صلى الله عليه وسلم . استعينوا على إنجاح حوائجكم بكتمان السر فان كل ذي نعمة محسود وانشد البريدي في ذلك

النجم أقرب من سر إذا اشتملت ... مبني على السر أصلاع وأحشاء

عنه

وعفسك فاحفظها ولا تفش للعدى ... من السر ما يطوى عليه ضميرها
فما يحفظ المكتوم من سر أهله ... إذا عقد الأسرار صاع كثيرها
من القوم إلا ذو عفاف يعينه ... على ذلك منه صدق نفس وخيرها

قال معاوية بن ابي سفيان . اعنت على علي بن أبي طالب بأربع خصال كان رجلا طهرة عفة لا يكتم سراً وكنت كتوماً للسر وكان لا يسعى حتى تهاجمه الامر مفاجأة وكنت أبادر الى ذلك وكان في أحسن حمد وأشدهم حلافاً وكنت في أطوع حمد وأقلهم حلافاً وكنت أحب الى قريش منه فمهما سألت الله من جامع إلي ومفرق عنه .. وكان يقال . لكاتم سره من كتمه إحدى فضائل الصفر نجاحه والسلامة من شره في أحسن فليحمد الله وله النعمة عليه ومن أساء فليستغفر الله .. وقال بعضهم كتمان سرك يعقبك السلامة وإفشاؤه يعقب الندامة والصبر على كتمان السر أيسر من الندم على افشائه وقال بعضهم ما أقبح بالانسان أن يحرص على ما في يده من الفرص

فيحميه ويمكن عدوه من نفسه باظهاره ما في قلبه من سرّ نفسه وسرّ أخيه ومن عجزه تقويم امره فلا يَلُومَنَّ إلا نفسه ان لم يستقم له .. وقال معاوية ما افشيت سرّي الى احد الا أعقبني طول الندم وشدة الأسف ولا اودعته حوائج صدري فحكمته بين اصلاء إلا أكسبني محمداً وذكراً وسناء ورفعة فقيل ولا ابن العاص قال ولا ابن العاص . وكان يقول .. ما كنت كاتمه من عدوك فلا تظهر عليه صديقك .. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتم سره كانت الخيرة في يده ومن عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن وضع أخيك على أحسنه ولا تظنن بكلمة خرجت من اخيك سوءاً وانت تجد لها في الخير مدخلاً وما كافأت من عصى الله فيك بأفضل من أن تطيع الله جل اسمه فيه وعليك باخوان الصدق فانهم زينة عند الرخاء وعصمة عند البلاء ..

وحدث ابراهيم بن عيسى قال .. ذاكرت المنصور ذات يوم في أبي مسلم وسوء الرأي وكتمته حتى فعل ما فعل .. فأنشد

تقسّمني أمران لم أفتتحهما ... بحزم ولم تعزم كلاهما لي الكرائم
وما سوّر الأحشاء مثل دفينة ... من الهمّ ردّتها اليك المعادن
وقد علمت أقصاه عذلان أنني ... على مثلها مقدامة متحاسر

وقال آخر

صن السرّ بالكتمان يزكك عبّه ... فقد يظهر السرّ المضيع فيندم
ولا تفشين سرّاً إلى غير أهله ... فيظهر حرق الشرّ من حيث يكتم
وما رلت في الكتمان حتى كأنني ... برجع جواب السائلي عنه أعجم
لتسلم من قول الوشاة وتسلمي ... سلمت وهل حيّ على الدهر يسلم

وقال آخر

أمنّي تخاف انتشار الحديث ... وحظيّ في ستره أوفر

ولو لم أصُنْهُ لِبُقْيا عَلَيْكَ نَظَرْتُ لنَفْسِي كَما تَنْظُرُ

وقال أبو نواس

لا تُفْشِ أسْرَارَكَ لِلنَّاسِ ودَاوِ أحزَانَكَ بالكَاسِ
فإنَّ إبْلِيسَ على ما بِهِ أرْأفُ بالنَّاسِ مِنَ النَّاسِ

وقال المبرد . أحسن ما سمعت في حفظ اللسان والسر ما روى لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

لَعَمْرُكَ إنَّ وُشاةَ الرِّجا لِلاَيَتْرُكونَ أديماً صَحيحا
فلاَ تُبْدِ سِرَّكَ إلاَّ إليكَ فإنَّ لِكُلِّ نَصيحٍ نَصيحا

وقال العتبي

ولي صاحِبٌ سِرِّيَ المُكْتَمُ عِندَهُ مَحَارِيقُ نِيرَانٍ بِلَيْلٍ تُحَرَّقُ
عَدَوْتُ على أسْرَارِهِ فكَسَوْتُها ثِيَاباً مِنَ الكِتْمانِ ما تَتَحرَّقُ
فمن كانتِ الأسْرارُ تَطْفُو بِصَدْرِهِ فأسْرارُ صَدْرِي بالأحادِيثِ تُغْرَقُ
فلاَ تُوْدِعِنَّ الدَّهْرَ سِرَّكَ أحْمَقاً فإنَّكَ إنْ أوْدَعْتَهُ مِنْهُ أحْمَقُ
وحَسْبُكَ في سَتْرِ الأحادِيثِ واعِظاً مِنَ القَوْلِ ما قالَ الأدِيبُ المُوَفَّقُ
إذا ضاقَ صَدْرُ المَرْءِ عن سِرِّ نفسِهِ فصَدْرُ الَّذِي يَسْتَوْدِعُ السِّرَّ أضْيَقُ

وقال آخر

لا يَكْتُمُ السِّرَّ إلاَّ كُلُّ ذِي خَطَرٍ والسِّرُّ عِنْدَ كِرامِ النَّاسِ مَكْتُومُ
والسِّرُّ عِنْدِي في بَيْتٍ لَهُ غَلَقٌ قد ضاعَ مِفْتاحُهُ والبابُ مَرْدُومُ

قيل دخل أبو العتاهية على المهدي وقد ذاع شعره في عتبة فقال له أحسنت في حثك ولا أحملك في ذاعة سرك .

To: www.al-mostafa.com

مَنْ كانَ يَزْعُمُ أنْ سيكتُمُ حُبَّهُ ... أو يَستطيعُ السِّرَّ فهو كَذُوبُ
الحُبُّ أغلَبُ للرِّجالِ بقَهْرِهِ ... مِنْ أنْ يُرَى للسِّرِّ فيهِ نَصِيبُ
وإذا بَدَا سِرُّ اللَّبيبِ فإنَّهُ ... لمْ يَبْدُ إلاَّ والفَتى مَغْلُوبُ
إنِّي لأَحْسُدُ داهوَى مُستَحفِظًا ... لمْ تَتَّهِمْهُ أَعْيُنٌ وقُلوبُ

فاستحسن المهدي شعره وقال .. قد عذرناك على إذاعه سرك ووصلناك على حسن شعرك ان كتمان السر أحسن من إذاعته .. وقال زياد لكل مستشير ثقة وان الناس قد ابتدعت بهم خصلتان اذاعة السر وترك النصيحة وليس للسر موضع إلا أحد رجلين إما آخري يرجو ثواب الله أو دنياوي له شرف في نفسه وعقل يصون به حسبه وهما معدومان في هذا الدهر .. وقال المهلب .. ما ضاقت صدور الرجال عن شئ كما تضيق عن السر .. كما قال الشاعر

ولرُبَّما كتَمَ الوقورُ فصرَّحَتْ ... حَرَكاتُهُ لِلناسِ عنْ كِتْمانِهِ
ولرُبما رُزِقَ الفتى بسكوتِهِ ... ولرُبَّما حُرِمَ الفتى بِبَيانِهِ

وقال آخر

إذا أنتَ لمْ تَحفَظْ لِنفسكَ سِرَّها ... فسِرُّكَ عِندَ النَّاسِ أَفشَى وأَضيَعُ

وقال آخر

لِسانِي كَتومٌ لأَسرارِكُم ... ودَمعِي نَمُومٌ لِسِرِّي مُذِيعْ
فلولا الدُّموعُ كَتَمتُ الهَوى ... ولولا الهَوى لمْ تَكُنْ لِي دُمُوعْ

محاسن المشورة

يقال إذا استخار الرجل ربه واستشار نصيحه واجتهد فقد قضى ماعليه ويقضى

الله في أمره ما يحب .. وقال آخر حسن المشورة من المشير قضاء حق النعمة .. وقيل اذا استشرتَ فاصبح وإذا قدرت فاصفح .. وقيل من وعظ أخاه سراً زانه ومن وعظه جهراً شانه .. وقال آخر الاعتصام بالمشورة نجاة .. وقال آخر نصف عقلك مع أخيك فاستشره .. وقال آخر اذا أراد الله لعبد هلاكا أهلكه برأيه .. وقال آخر المشورة تقوّم اعوجاج الرأي .. وقال آخر إيّاك ومشورة النساء فان رأيهنّ الى أفن وعزمهنّ الى وهن

﴿ ضدّه ﴾

قال بعض أهل العلم لو لم يكن في المشورة الا استصفاء صاحبك لك وظهور فقرك اليه لوجب اطّراح ما تميدُ المشورة والقاء ما يكسبه الاستشارة وما استشرت أحداً إلا كسب عندي صديقاً وكاسب عدى قوياً وتصاغرتُ له ودحلتْه العزّة فإيّاك والمشورة وان ساقت لك المذاهب واحتلفت عليك المسالك وأدّاك الاستبهام الى الخطأ القادح فان صاحبها أبداً مستدلّ مستضعف وعليك بالاستبداد فان صاحبه أبداً حليل في العيون مهيب في الصدور ولن تزال كذلك ما استغنيت عن دوى العقول فاذا افتقرت اليها حقرتك العيون ورحمت لك أركانك وتضعضع بنيانك وفسد تدبيرك واستحقرك الصغير واستخف لك الكبير وعرفتَ بالحاجة اليهم وقيل نعم المستشار العلم ونعم الوزير العقل . وممن اقتصر على دون المشورة الشعبي فانه خرج مع ابن الأشعث فقدم به على الحجاج فلقيه يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج فقال له أشر عليّ فقال لا أدري ما أشير ولكن اعتذر بما قدرت عليه وأشار بذلك عليه كافة أصحابه . قال الشعبي فلما دخلت حالفت مشورتهم ورأيت والله غير رأيهم قالوا فسمعت عليه بالامرة ثم قال أيّد الله الأمير ان الناس قد مرونى بالعذر بغير ما بغير الله به لحق عليك الله أن لا أقول في مقامي هذا إلا حق قد جهد وحرّضا فلم تكن لأهويه النجوة ولا الأتقياء الدرة ولقد نصرت الله عليا وظفرت به على بصوت قد بوس ، يصوت فحملك والحجة لك عليه فقال الحجاج أبى والله أحب اليّ قولا ممن يدخل عليه

وسيفه يقطر من دمائنا ويقول والله ما فعلت ولا شهدت أنت آمن يا شعبي فقلت أيها الأمير اكتحلت والله بعدك السهر واستحلست الخوف وقطعت صالح الاحوال ولم أحد من الأمير حلماً .. قال صدقتَ وانصرفتُ

محاسن الشكر

قال بعض الحكماء .. نص شكرك عمن لا يستحقه واستر ماء وجهك بالصناعة .. وقال الفضل بن سهل من أحب الازدياد من النعم فليشكر ومن أحب المنزلة فليكسب ومن أحب بقاء عزه فليسقط دالّته ومكرّه .. ومن ذلك قول رجل لرجل شكره في معروف

لقَدْ ثَبَتَتْ في القَلْبِ مِنكَ مَوَدَّةً ... كما ثَبَتَتْ في الرَّاحَتَيْنِ الأَصابِعُ

قال .. واصطبح رجل رجلا فسأله يوماً أتحبني يا فلان قال نعم أحبك حباً لو كان فوقك لأظلّك أو كان تحتك لأقلّك .. وقال كسرى أبو شروان النعم أفضل من الشاكر لأنه حمل له السبيل الى الشكر .. واختصر حبيب بن أوس هذا في مصراع واحد فقال

آلهان علينا أنْ تَقُولَ وتَفْعَلاَ

الباهلي عن ابي عروة قال مكتوب في التوراة اشكر من انعم عليك وانعم على من شكرك فانه لا زوال للنعم اذا شكرت ولا اقامة لها اذا كفرت والشكر زيادة في النعم وامان من الغير .. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم .. خمس تعاجل صاحبهن بالعقوبة البغي والغدر وعقوق الوالدين وقطيعة الرحم ومعروف لا يشكر .. وانشد الحطيئة عمر وكعب الأحبار عنده

مَنْ يَفْعَلِ الخَيْرَ لا يَعْدَمْ جَوَازِيَهُ ... لا يَذْهَبُ العُرْفُ بَيْنَ اللهِ والنَّاسِ

فقال كعب .. يا أمير المؤمنين من هذا الذي قال هذا فانه مكتوب في التوراة فقال عمر كيف ذلك قال في التوراة مكتوب .. من يصنع الخير لا يصنع عندي لا يذهب العرف بيني وبين عندي .. وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فما هذا الاجتهاد فقال .. أفلا أكون عبداً شكوراً .. وفي الحديث ان رجلا قال في الصلاة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم .. اللهم ربنا لك الحمد حمداً مباركا طيبا زكياً فلما انصرف صلى الله عليه وسلم قال أيكم صاحب الكلمة قال أحدهم أنا يا رسول الله فقال لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرون أيهم يكتبها أولا .. وقيل نسيان النعمة أول درجات الكفر .. وقال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه المعروف يكفّر من كفَره لأنه يشكرك عليه أشكر الشاكرين .

وقد قيل في ذلك

يدُ المَعْرُوفِ غُنْمٌ حَيْثُ كانتْ ... تَحَمَّلَها كَفُورٌ أمْ شَكُورُ

فعِنْدَ الشَّاكِرِينَ لها جَزَاءٌ ... وعِنْدَ اللهِ ما كَفَرَ الكَفُورُ

وقال بعض الحكماء ما أنعم الله على عبد نعمة فشكر عليها إلا ترك حسابه عليها . وقال بعض الحكماء عند الرواحي عن شكر النعم تحلّ عطائم النقم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يقول لعائشة ما فعل بيتك فتقول

يَجْزِيكَ أوْ يُثْنِي عليكَ وإنَّ مَنْ ... أثْنَى عليكَ بما فَعَلْتَ كَمَنْ جَزَى

فيقول صلى الله عليه وسلم صدق العاقل يا عائشة إن الله إذا أجرى على يد رجل خيراً فلم يشكره فليس لله بشاكر وقيل لدى الرمة إنَّ حمصت بلال بن أبي بردة بمدحك قال .. لأنه وطأ مصحي وأكرم محسني وأحسن على خلق لكثير معروفه عندي أن يستولي على شكري ومنهم من يقدّم ترك مقابلة الشكر ويسبه الى مكارم الاخلاق من ذلك ما قاله زرجمهر من اشتهر بمعروفه شكرك عن تعرّض للكافأة

وقال بعض الحكماء إن الكفر يقطع مادة الاشياء فكذلك الاستطالة بالصنيعة تحق الأجر . وقال علي بن عبيدة من مكارم العاجلة وسرعة النفس السريعة ترك مقابلة الشكر

على الاحسان ورفع الهمة عن طلب المكافأة واستكثار القليل من الشكر واستقلال الكثير مما يبذل من نفسه .. وفي فصل من كتاب ولست أقابل أياديك ولا استديم احسانك إلا بالشكر الذي جعله الله للنعم حارساً وللحق مؤدياً وللمزيد سبباً

﴿ ضده ﴾

قال بعض الحكماء .. المعروف الى الكرام يعقب خيراً والى اللئام يعقب شراً ومثل ذلك مثل المطر يشرب منه الصدف فيعقب لؤلؤا ويشرب منه الأفاعي فيعقب سُمّاً .. وقال سفيان وحدنا أصل كل عداوة اصطناع المعروف الي اللئام .. وقال أثارَ جماعة من الأعراب سمعاً فدخلت خباء شيخ منهم فقالوا أخرجها فقال ما كنت لأفعل وقد استجارت بي فانصرفوا وقد كانت هريلا فأحضر لها لقاحاً وجعل يسقيها حتى عاشت فلما كان ذات يوم فوثبت عليه فقتلته .. فقال شاعرهم في ذلك

ومَنْ يَصْنَعِ المَعْرُوفَ مَعَ غيرِ أهلِهِ ... يُلاقِ الذي لاقَى مُجيرُ أمِّ عامرِ
أقامَ لها لمّا أناخَت بِبابِهِ ... لِتَسْمَ أَلْبانَ اللِّقاحِ الدَّوائرِ
فأَسْمَنَها حتّى إذا ما تَمكَّنَتْ ... فَرَتْهُ بأنيابٍ لها وأَظافِرِ
فقُلْ لِذَوِي المَعْرُوفِ هذا جَزاءُ مَنْ ... يَجُودُ بإحسانٍ إلى غيرِ شاكِرِ

قيل .. وأصاب إعرابي جرو ذئب فاحتمله الى حيائه وقرّب له شاة فلم يزل يمتصّ من لبنها حتى سمن وكبر ثم شدّ على الشاة فقتلها .. فقال الاعرابي يذكر ذلك

عَدَتْكَ عَلَى رَبِّيتِي ونَشأْتَ عِنْدِي ... فَمَنْ أَدْراكَ أنَّ أباكَ ذِيبُ
فحمتَ نَسِيَّةً وصِرتَ قَوْمٍ ... بِشاتِهِمُ وأنتَ لها رَبِيبُ
إذا كانَ الطِّباعُ طِباعَ سَوْءٍ ... فلَيْسَ بنافعٍ أدَبُ الأَدِيبِ

وفي المثل .. سَمِّنْ كلبك يأكلك .. وأنشد

هُمُ سَمَّنُوا كَلْبًا لِيَأْكُلَ بَعْضَهُمْ ... ولو عَمِلُوا بالحَزْمِ ما سَمَّنُوا كَلْبًا

وقال آخر

وإنى وقَيْسًا كالمُسَمِّنِ كلْبَهُ ... فخَدَّشَهُ أنيابُهُ وأظافِرُه

وضرب المثل بسِنِمَّار .. وكان بنى للنعمان بن المنذر الخورنق فأحسنه وكره أن يبنى لغيره مثله فرمى به من أعلاه فمات .. فقيل فيه

جَزَيْنا بَنِى سَعْدٍ بِحُسْنِ بَلائِهِمْ ... جَزَاءَ سِنِمَّارٍ وما كانَ ذا ذَنْبِ

وقال بشّار (١)

أُثْنِي عليكَ ولى حالٌ تُكَذِّبُنِي ... فيما أقولُ فأستَحيي مِنَ النَّاسِ
قد قُلتُ إنَّ أباحفصٍ لأكرَمُ مَنْ ... يَمْشِي فخاصَمَنى فى ذاكَ إفلاسِى
حتَّى إذا قيلَ ما أعطاكَ مِنْ صَفَدٍ ... طأطأتُ مِنْ سُوءِ حالى عِندَها راسِي

ولأبى الهول

كأنِّي إذْ مَدَحْتُكَ يا ابْنَ مَعْنٍ ... وآتِي النَّاسُ في رَمَضانَ أُزْنى
فإنْ أكْرُحْتُ عَنْكَ لغيرِ شَىْءٍ ... فلا تفرَحْ كذلك كانَ ظَنِّي

وقال آخر

لَحَى اللهُ قَوْمًا أمْحَتهُمْ مَدائحى ... فقالوا مَقالاً فى مَلامٍ وفي عَتْبِ
أنا حازِمٍ تَمْدَحْ فقلتُ مُمَدِّراً ... هَبُونى امْرَأً حرَّمْتُ سَيْبِي فى كَلْبِ

وقال آخر

عُثْمانُ يَعلمُ أنَّ الحمدَ ذو ثَمَنٍ ... لكِنَّهُ يَشْتَهِي حَمْدَ المجانِ
والنَّاسُ أكيَسُ مِنْ أنْ يَمْدَحوا رَجُلاً ... حتَّى يَرَوا عِنْدَهُ آثارَ إحْسانِ

---

(١) ـ المشهور أن الأبيات لأبى العتاهية وأن العلاء وابن الماء سرقاها

وروى
أبى الملك فى بعض مدحى

وقال آخر

يُحِبُّ المَدِيحَ أبو خالِدٍ ... ويَمْضَبُ مِن صِلَةِ المادِحِ
كَبِكْرٍ تُحِبُّ لَذِيذَ النِّكاحِ ... وتَجْزَعُ مِنْ صَوْلَةِ النّاكِحِ

وقال آخر

ولَوْ كانَ يَسْتَغْنِي عَنِ الشُّكْرِ سَيِّدٌ ... لِعِزَّةِ مُلْكٍ أو عُلُوِّ مَكانِ
لَمَا أمَرَ اللهُ العِبادَ بِشُكْرِهِ ... فقالَ اشْكُرُونِي أيُّها الثَّقَلانِ

محاسن الصدق

قال بعض الحكماء .. عليك بالصدق فإنه السيف القاطع في كفّ الرجل الشجاع بأعزّ من الصدق والصدق عزّ وإن كان فيه ما تكره والكذب ذل وإن كان فيه ما تحبّ ومن عُرِف بالكذب اتُّهم في الصدق .. وقيل الصدق ميزان الله الذي يدور عليه العدل والكذب مكيال الشيطان الذي يدور عليه الجور .. وقال ابن السماك ما أحسني أوخر على ترك الكذب لأني أتركه أبعة .. وقال آخر لو لم يترك العاقل الكذب إلا مروءة لكان بذلك حقيقاً فكيف وفيه المأثم والعار .. وقال الشعبي عليك بالصدق حيث ترى أنه يضرك فإنه ينفعك واجتنب الكذب حيث ترى أنه ينفعك فإنه يضرك .. وقال بعضهم الصدق عزّ والكذب خضوع .. ومُدِح قوم بالصدق فيهم أبو ذرّ رضي الله عنه فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء ولا طلعت الشمس على ذي لهجة أصدق من أبي ذرّ .. ومنهم العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه فإنه روي أنه اطلع على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده جبريل فقال له جبريل هذا عمّك العبّاس قال نعم قال إن الله تعالى يأمرك أن تقرأ عليه السلام وتعلمه أن اسمه عبد الله الصادق وأن له شفاعة يوم القيامة فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فتبسم فقال إن شئت أخبرتك مما به تبسمت وإن شئت أن تقول

فقل فقال هل تعلمني يارسول الله فقال .. لأنك لم تحلف بحيا في جاهلية ولااسلام برّة ولا فاجرة ولم تقتل لسائل لا .. قال والذي بعثك بالحق نبياً ما تبسمت إلا لذلك .. ويروى ان رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال .. اني استبرّ بحلال الزنا والسرقة وشرب الخمر والكذب فأيهنّ أحبت تركته .. قال دع الكذب فمضى الرجل فهمّ بالزنا فقال يسألني رسول الله صلى الله عليه وسلم فان حدثت نقضت ما جعلته له وان أقررت حُدِدْت فلم يزن فهمّ بالسرقة وشرب الخمر فمكر في ذلك فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له قد تركتهن أجمع .. فأمّا من رُخِّصَ له في الكذب فيروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال .. لا يصلح الكذب إلا في ثلاث كذب الرجل لأهله ليرضيها وكذب في إصلاح ما بين الناس وكذب في حرب .. وروي عن المغيرة بن ابراهيم انه قال .. لم يرخّص لأحد في الكذب إلا للحجاج ابن عِلاط فانه لما فُتحت خيبر قال يارسول الله ان لي عند امرأة من قريش وديعة فأذن لي يارسول الله أن أكذب عليك كذبة لعلي أستلّ وديعتي فرخّص له في ذلك فقدم مكة فأخبرهم انه ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم أسيراً في أيديهم يأمرون فيه فقائل يقول يقتل وقائل يقول لا بل يبعث به الى قومه فتكون مِنّةً فجعل المشركون يتناشرون بذلك ويبشرون العبّاس عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم والعبّاس يريهم التجمل وأخذ الرجل ودبعته فاستقبله العباس وقال ويحك ما الذي أخبرت به فأعلمه الخبر ثم أخبره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فتح خيبر ونكح صفية بنت حيي ان أخطب وقتل زوجها وأباها .. ثم قال اكتم عليّ اليوم وغداً حتى أمضي فتفعل ذلك فلمّا مضى يومان أخبرهم العباس بالذي أخبره فقالوا من أخبرك بهذا قال من أخبركم بصدقه

﴿ صدقه ﴾

قيل .. وجد في بعض كتب الهند ليس لكذوب مروءة ولا لحسود راحة ولا لملول وفاء ولا لبخيل صديق .. وقال قتيبة بن مسلم لا يصلح الحوض من كدوب

فانه يقربها وإن كانت بعيدة ويبعدها وإن كانت قريبة ولا الى رجل قد حمل المسألة مأكلة فانه يقدم حاجته قبلها ويجعل حاجتك وقاية لها ولا إلى أحمق فانه يريد نفعك فيضرك .. وقيل أسراك لا يمكنان من كذب كثرة المواعيد وشدة الاعتذار .. وقيل كفاك موبخاً على الكذب علمك بأنك كاذب .. وقال رجل لأبي حنيفة ما كذبت قط قال أما هذه فواحدة .. وفي المثل هو أكذب من أحيمر السنّد .. وذلك انه يؤخذ الحبيس منهم فيزعم انه ابن الملك .. وكذلك يقال أكذب من سيّاح حراسان .. لأنهم يختارون في كل بلد ويكذبون للسؤال والمسألة .. ويقال هو أكذب من الشيخ العريف .. وذلك انه يتزوج في العربة وهو ابن سبعين سنة فيزعم انه ابن أربعين .. ويقال هو أكذب من مسيلمة وبه يضرب المثل .. ومما قيل في ذلك من الشعر

حَسْبُ الكَذُوبِ منَ اللَّيْلَةِ بعضُ ما يُحْكى عليهِ
ما إنْ سَمِعْتُ بكِذْبَةٍ مِنْ غيرِهِ نُسِبَتْ إليهِ

وقال آخر

لقدْ أَخْلَفْتَنى وحَلَفْتَ حتّى إخالُكَ قدْ كَذَبْتَ وإنْ صَدَقْتَا
ألا لا تحلِفَنَّ على كَلامٍ فأكْذَبُ ما تكونُ إذا حَلَفْتَا

وقال آخر

قدْ كُنْتُ أَنْحَرُ دهراً ما وَعَدْتُ إلى أنْ أتلفَ الوَعْدُ ما جَمَعَتْ مِنْ نَشَبِ
فإنْ أَكُنْ صِرْتُ في وعْدى أحاكِدِبٍ فمُضْرَةُ الصِّدْقِ أَفْضَتْنى الى الكَذِبِ

قال الأصمعي — قال الخليل بن سهل .. يا أبا سعيد أعلمت أنّ طول رمح رستم كان سبعين ذراعا من حديد ضمنت في عاتق الراقود فقلت هاهنا اعرابي له معرفة فاذهب به اليه فحدّثه بهذا فذهبت به الى الاعرابي فحدّثه فقال الاعرابي .. قد سمعت بذلك ولعلها أن رستم هذا كان هو واسعديار أبيا اصبان بن عاد بالبادية فوجداه نائماً

ورأسه في حجر أمه فقالت لها ما شأنكما فقالا بلغنا شدة هذا الرجل فأتيناه فاتته فرعا من كلامهما فصححهما فألقاهما الى أسهان فقبرهما اليوم بها .. فقال الخليل فتحك الله ما أكذبك قال يا ابن أخي ما بينا شيئاً إلا وهو دون الراقود .. قيل وقدم بعض العمال من عمل فدعا قوماً الى طعامه وجعل يحدثهم بالكذب فقال بعضهم .. نحن كما قال الله عز وجل (سَمَّاعونَ لِلكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحتِ) .. قيل وكان رجل من أهل المدينة من بين فقيه وراوية وشاعر يأتون بغداد فيرحبون بحلاوة وحال حسنة فاجتمع عدة منهم فقالوا لصديق لهم لم يكن عنده شيء من الأدب .. لو أتيت العراق فلعلك أن تصيب شيئاً .. قال أنتم أصحاب آداب تلتمسون بها .. فقالوا نحن نحتال لك فأحرجوه فلما قدم بغداد طلب الاتصال بعلي بن يقطين وشكا اليه الحاجة فقال ماعندك من الأدب فقال ليس عندي من الأدب شيء غير اني أكذب الكذبة وأحيل الحيلة يسمعها اي صادق وكان طريفاً مليحاً فأعجب به وعرض عليه مالا فأبى أن يقبله وقال ما أريد منك الا أن تسهل أدبي وتدني مجلسي قال ذاك لك وكان من أقرب الناس اليه مجلساً حتى عُرف بذلك .. وكان المهدي قد غضب على رجل من القُوّاد واستصفى ماله وكان يختلف الى علي بن يقطين رجاء أن يكلم له المهدي وكان يرى قرب المديني ومكانه من علي فأتى المديني القائد عشياً فقال ما الخبر قال لك البشرى وحكمك قال أرسلني علي بن يقطين اليك وهو يقرؤك السلام ويقول قد كلمت أمير المؤمنين في أمرك ورضي عنك وأمر برد مالك وضياعك وبأمرك بالعدو اليه لتعدوا معه الى أمير المؤمنين متشكراً فدعا له الرجل بألف دينار وكسوة وحُملان وغدا على علي مع جماعة من وجوه العسكر متشكراً فقال له علي وما ذاك قال أخبرني أبو فلان — وهو الى جنبه — كلامك أمير المؤمنين في أمري ورضاه عني فالتفت الى المديني وقال ما هذا فقال أصلحك الله هذا بعض ذلك المتاع بسرداه فصحك علي وقال علي بذاتي وركب الى المهدي وحدثه الحديث فضحك المهدي وقال إنا قد رضينا عن الرجل ورددنا عليه ماله وأجرى على المديني رزقا واسعاً واستوصى به خيراً ثم وصله .. وكان يعرف بكذاب أمير المؤمنين

محاسن العفو

قيل .. أمر مصعب بن الزبير رجلا من أصحاب المختار فأمر بضرب عنقه فقال .. أيها الأمير ما أقبح بك أن أقوم يوم القيامة الي صورتك هذه الحسنة فاتعلق بأطرافك وأقول رب سل مصعباً فيمَ قتلني فقال أطلموه .. فقال أيها الأمير اجعل ما وهبت لي من عمري في حمص عيش . فقال اعطوه مائة ألف درهم . قال بأبي أنت وأمي اشهدك أن لابن قيس الرقيات منها خمسين ألفاً قال لِمَ قال لقوله فيك

إنَّما مُصْعَبٌ شِهابٌ منَ اللَّـــهِ تجلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظَّلْماءُ
مُلْكُهُ مُلْكُ رَأْفَةٍ ليسَ فيهِ جَبَرُوتٌ ولاَ لهُ كِبرِياءُ

فضحك مصعب وقال . لقد تلطفت وإن فيك لموضعاً للصنيعة وأمر له بالمائة ألف ولابن قيس الرقيات بخمسين ألف درهم قيل وأمر الرشيد يحيى بن خالد بحبس رجل حتى حباية خمسة ثم سأل عنه الرشيد فقيل هو كثير الصلاة والدعاء فقال للموكل به عرّس له بان تكلمني وتسألني اطلاقه فقال له الموكل ذلك فقال قل لأمير المؤمنين إن كل يوم يمضي من نعمتك ينقص من محنتي والأمر قريب والموعد الصراط والحاكم الله فسر الرشيد معشياً عليه ثم أفاق وأمر باطلاقه وقيل ظفر المأمون برجل كان يطلبه فلما دخل عليه قال يا عدو الله انت الذي تفسد في الأرض بغير الحق ياغلام جد اليك فاسقه كأس المنية فقال يا امير المؤمنين ان رأيت ان تسقيني حتى أؤيدك بمال قال لاسبيل الى ذلك فقال يا امير المؤمنين فدعني انشدك ابياتا قال هات فانشده

زعموا بأنَّ البارَ علَّق مرَّةً عصفورُ بَرٍّ ساقَهُ المقدُورُ
فتكلَّمَ العصفورُ تحتَ جناحهِ والبازُ منقضٌّ عليهِ يطيرُ
ما لي لمثلكَ شِدَّةٌ ولئنْ أكلتُ فإنَّني لحقيرُ
فتبسَّمَ البارُ العدلُ بنفسهِ كرَماً وأطلقَ ذلكَ العصفورُ

فقال له المأمون ،، أحسنت ماجرى ذلك على لسانك إلا لبقيـة بقيت من عمرك فأطلقه وحلم عليه ووصله ،، وعن نعيم ان والياً أتي برجل حتى جناية فأمر بضربه فلما مُدّ قال ،، مُحقّ رأس أمك الا ما عمرت عني ،، قال أوجع فقال ،، محق حدّيها ونحرها قال أصرب قال محق ثديها قال أصرب قال محق سرّتها قال ويلكم دعوه لايحدر قليلا ،، وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ، إن الرجل اذا ظُلم فلم ينتصر ولم يجد من ينصره فرفع طرفه الى السماء ودعا قال الله له لبيك عبدي انصرك عاجلا وآجلا .. وقال صلى الله عليه وسلم في قولهم ، انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ،، وقد سئل عن ذلك فقيل ،، أنصره مظلوماً فكيف أنصره ظالماً فقال ،، تمنعه من الظلم فذلك نصرك اياه وقال فُضيل بن عياض بكى أبي فقلت ما يبكيك فقال ،، أبكي على ظالمي ومن أحد مالي أرحمه عبداً اذا وقف بين يدي الله عزّ وجلّ وسأله فلا تكون له حجّة ..وقال الحسن البصري أيها المتصدّق على السائل يرحمه ارحم أولا من ظلمت .. وروى عن عبد الله بن سلام قال ، قرأت في بعض الكتب قال الله عزّ وجلّ إذا عصاني من يعرفني سلّطت عليه من لا يعرفني ،، قال خالد بن صفوان إياكم ومحابيق الصعداء ــ يعني الدعاء ــ

﴿ ضده ﴾

قيل ،، لما قالت التغلبية للحجّاف بن حكيم السلمي في وقعته بالنمر قوّس الله عمادك وأطال شُهّادك وأقلّ رقادك والله ان قتلت إلا نساء أسافلهن دُمّيّ وأعالبهن ثُدِيّ ،، فقال لمن حوله لولا أن تلد مثلها لحلّيت سبيلها فسمع ذلك الحسن البصري فقال ،، أما الحجّاف فحَدوة من نار جهنم .. قيل وما بلى زياد بناء البصرة ثم أصحابه أن يسمعوا من أفواه الناس فأتيَ برجل تلا آية ﴿ تبنون بكلّ ريع آية تعبثون وتتخذون مصانعَ لعلّكم تخلدون ﴾ قال وما دعاك لي هذا قال آية من كتاب الله عزّ وجلّ حطرت على بالي فتلوتها قال والله لأعمس فيك بالآية الباقية ﴿ وإذا بطشتم بطشتم

تجارين) ثم أمر به فبني عليه ركن من أركان القصر .. قال وبعث زياد الى رجل من بني تميم فقال أخبروني بصلحاء كل ناحية فأخبروه فاختار منهم رجالاً فسلمهم الطريق .. وقال لوساع بيني وبين خراسان حبل لعلمت من لقطه. وكان يدفن الناس أحياء وينزع أصلاع اللصوص .. قال وقال عبد الملك للحجاج كيف تسير في الناس قال .. انظر الى محور أدركت زياداً فاسئلها عن سيرته فاعمل بها .. فأخذ والله سنته حتى ما ترك منها شيئاً .. وذكروا أن الحجاج لما أتي المدينة أرسل الى الحسن بن الحسن رضي الله عنه فقال هات سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه قال لا أفعل قال فجاء الحجاج بالسيف والسوط فقال والله لأضربنك بهذا السوط حتى أقطعه ثم لأضربنك بهذا السيف حتى ترد أو تأتيني بهما فقال الناس يا ابا محمد لا تعرض لهذا الجبار قال فجاء الحسن بسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه فوضعهما بين يدي الحجاج فأرسل الحجاج الي رجل من بني أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له هل تعرف سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم فخلطه بين أسيافه ثم قال احزره ثم جاء بالدرع فنظر اليها ثم قال هناك علامة كانت على الفضل بن العباس يوم اليرموك فطُعِن بحربة فخرقت الدرع فعرفناها فوجد الدرع على ما قال فقال الحجاج اما والله لو لم تخبرني به وجئت بغيره لضربت به رأسك .. وذكروا ان الحجاج قال ذات ليلة لجاجبه، أعسس بنفسك فمن وجدته عثى به فلما اصبح أتاه بثلاثة فقال .. اصابح الله الأمير ما وجدت الا هؤلاء الثلاثة .. فقال الحجاج لواحد منهم ما كان سبب خروجك بالليل وقد نادي المنادي أن لا يخرج أحد بالليل قال ، أصلح الله الأمير كنت سكران فعلبني السكر فخرجت ولا أعقل .. ففكر ساعة ثم قال .. سكران عليه سكره خلوا عنه لا تعودن .. ثم قال للآخر ما سبب خروجك قال . أصلح الله الأمير كنت مع قوم في مجلس يشربون فوقعت بينهم مخرقة فحملت على نفسي فخرجت . ففكر الحجاج ساعة فقال رجل أحمق المسألة خلوا عنه .. ثم قال للآخر ما كان سبب خروجك فقال . لي والدة عجوز وأنا رجل جمال فرجعت الى بيتي فقالت والدتي ما ذقت الي هذا الوقت طعاماً ولا دواقا فرجعت أتمس لها ذلك فأخذني العَسَس ففكر ساعة ثم قال .. ياغلام أضرب

عنقه فاذا رأسه بين رجليه

محاسن الصبر على الحبس

قال الكسروي .. وقع كسرى بن هرمز الى بعض المحبّسين من صبر على النازلة كان كمن لم تنزل به ومن طوّل في الحمل كان فيه عطبه ومن أكل بلا مقدار تلفت نفسه .. قيل ودخل ابن الريّات على الافشين وهو محبوس .. فقال يخاطبه

إصبرْ لها صبرَ أقوامٍ نفوسهمُ ... لا تستريحُ إلى عقلٍ ولا فَوَدِ

فقال الافشين .. من عجب الزمان لم يسخ من خيره أو شره ووجد الكرامة والهوان .. ثم قال

لم يسخُ من خيرِها أو شرِّها أحدٌ ... فاذكرْ شواتَها إن كنتَ من أحدِ

خاصتْ بكَ المنيةُ الحمقاءُ عمرتَها ... فملأتَ أنواحَها ترمالكَ بالرَّغَدِ

ولعلّ من الحكم ما خفي عن المشركين

قالتْ حبستُ فقلتُ ليس بضائري ... حبسي وأيُّ منبّهٍ لا يرقدُ

أو ما رأيتَ اللّيثَ ألفَ خيسهِ ... كبرٌ وأوباشُ السباعِ تردّدُ

والنارُ في أحجارِها مخبوءةٌ ... لا تصطلي إن لم تثرْها الأزندُ

والدّرُّ يذركُهُ الطلامُ فتنجلي ... أيّامُهُ وكأنّهُ متجدّدُ

والرّاعيةُ لا يقيمُ كعوبَها ... إلاّ الثقافُ وحدوةٌ تتوقّدُ

عيرُ اللّيالي نادباتٌ غدوةً ... والمالُ عاريةٌ يعادُ ويبتدا

لا يؤيسنّك من تفرّجِ كربةٍ ... حطّتْ بآلكَبِهِ الزمانُ الأنكدِ

فلكلِّ حالٍ معقبٌ ولربّما ... أحلى لذي المكروهِ عمّا تحمدُ

كم من عليلٍ قد تخطّاهُ الرّدى ... فنجا ومات طبيبهُ والعوّدُ
صبرًا فإنّ اليومَ يتعقبهُ غدٌ ... ويدُ الخلافةِ لا تطاولها يدُ
والحبسُ ما لم تنشهُ لدنيّةٍ ... شنعاء نعمَ المنزلُ المتورّد
لو لم يكن في الحبسِ إلاّ أنّهُ ... لا يستذلّكَ بالحجابِ الأعبدُ
بيتٌ يحدّدُ للكريمِ كرامةً ... ويزارُ فيهِ ولا يزورُ ويحمد
أبلغ أميرَ المؤمنينَ ودونهُ ... خوفُ العدى ومخاوفٌ لا تنفد
أنتم بنو عمّ النبيّ محمّدٍ ... أولى بما شرعَ النبيُّ محمّد
ما كانَ من حسنٍ فأنتم أهلهُ ... كرمتْ معارسكم وطابَ المحتد
أمنَ السويّةِ يا ابن عمّ محمّدٍ ... خصمٌ تقرّبهُ وآخرُ يبعد
يا أحمدَ بنَ أبي دؤادٍ إنّما ... تدعى لكلّ كريهةٍ يا أحمدُ
إنّ الدينَ سموا إليكَ بباطلٍ ... أعداءُ نعمتكَ التي لا تجحد
شهدوا وغبنا عنهمُ فتحكّموا ... فيها وليسَ كغائبٍ من يشهد
لو يجمعُ الخصماءُ عندكَ منزلٌ ... يوماً لبانَ لكَ الطريقُ الأرشد
والشمسُ لولا أنّها محجوبةٌ ... عن ناظريكَ لما أضاءَ الفرقد

﴿ صدّه ﴾

.. أنشدنا عصم بن محمد الكاتب لنفسه لما حبسه احمد بن عبد العزيز بن ابي دلف قوله

قالتْ حبستَ فقلتُ حظّ أكيدْ ... أنحى عليّ بهِ الزّمانُ المرصدُ

لو كُنتُ حرًّا كانَ سَرْبي مُطْلَقًا ... ما كُنتُ أُحْبَسُ عَنْوَةً وأُقيَّدُ
لو كُنتُ كالسَّيْفِ المُهَنَّدِ لم يكُنْ ... وَقتَ الكريهةِ والشَّدائدِ يُغْمَدُ
لو كُنتُ كاللَّيثِ الهَصورِ لَمارَعَتْ ... فِيَّ الذِّئابُ وجَذْوَتي تَتَوَقَّدُ
مَنْ قالَ إنَّ الحَبْسَ بَيتُ كَرامةٍ ... فمُكابِرٌ في قولِهِ متَجلِّدِ
ما الحَبسُ إلاَّ بَيتُ كُلِّ مَهانةٍ ... ومَذَلَّةٍ ومَكارِهٍ لا تَنفَدُ
إن رارَني فيهِ العَدُوُّ فشامتٌ ... يُبدِي التَّوَحُّشَ تارَةً ويُصَيِّدُ
أو وارِني فيهِ المَحِبُّ فموجَعٌ ... يُذرِي الدُّموعَ برَفرَةٍ تتَرَدَّدُ
يَكفيكَ أنَّ الحَبسَ بَيتٌ لا يُرَى ... أحَدٌ عليهِ مِنَ الخَلائقِ يَحسُدُ
تَمضِي اللَّيالي لا أذوقُ لِرَقدَةٍ ... طَعماً وكيفَ يَذوقُ مَنْ لا يَرقُدُ
في مُطبَقٍ فيهِ النَّهارُ مُشاكِلٌ ... لِلَّيلِ والظُّلُماتُ فيهِ سَرمَدُ
فإلَى مَتَى هذا الشَّقاءُ مؤكَّدٌ ... وإلى مَتَى هذا البَلاءُ مُخَلَّدُ
مالي مُجيرٌ غيرَ سَيِّدِيَ الذي ... ما زالَ يَكفِلُ نَعمَةَ السَّيِّدِ
عَوَّدتُ حَسَّانَةَ مُهجَتي مَوصِلي ... بِيَسيرِهِ وصَنيعِهِ لا تَجحَدِ
عِشرينَ حَولاً عِشتُ تحتَ جَناحِهِ ... عيشَ المُلوكِ وحالَتي تَتَرَدَّدُ
فحَلا العَدُوُّ بوَصمِهِ مِن قَدرِهِ ... فحَسَاهُ حَمراً نارُهُ تَتوَقَّدُ
فاسمَحْ لِعَبدِكَ دَمعُهُ مَسفوحُ ... فاحسُدْ مَماتَ سَجِيَّةً لا تُعهَدُ
واذكُرْ خَصائِصَ حِدْتي ومَقاوِمي ... أيَّامَ كُنتَ جَميعَ أمري تَحمَدُ

.. وقال عبد الله بن مصعب بن عبد الله بن حمير [illegible]

الله عنهم

خَرَجْنا مِنَ الدُّنْيا ونَحْنُ مِنْ أَهْلِها ... فلَسْنا مِنَ الأَمْواتِ فيها ولا الأَحْيا
إِذا دَخَلَ السَّجّانُ يوْماً لِحاجةٍ ... عَجِبْنا وقُلْنا جاء هذا مِنَ الدُّنْيا
ونَفْرَحُ بالرُّؤْيا فجُلُّ حَدِيثِنا ... إِذا نحنُ أَصْبَحْنا الحَدِيثُ عَنِ الرُّؤْيا
فإِنْ حسنتْ كانتْ بطيئاً مجيئُها ... وإِنْ قَبُحَتْ لم تُنْتَظَرْ وأَتَتْ سَعْيا

وقال آخر

أَلاَ أَحَدٌ يَدْعُو لأَهْلِ محلَّةٍ ... مُقِيمِينَ في الدُّنْيا وقد فارقُوا الدُّنْيا
كأَنَّهُمُ لَمْ يَعْرِفُوا غيرَ دارِهِمْ ... ولم يَعْرِفُوا غيرَ الشَّدائِدِ والبَلْوى

وقال ابن المعتز

تَعَلَّمْتُ في السِّجْنِ نَسْخَ التِّكَكْ ... وكُنْتُ امْرَأً قبلَ حَتْفِي مَلَكْ
وقَيَّدْتُ نَعْدَ رُكُوبِ الجِيادِ ... وما داكَ إِلاَّ بِدَوْرِ الفَلَكْ
أَلَمْ تُبْصِرِ الطَّيْرَ في جَوِّها ... تَكادُ تُلاصِقُ ذاتَ الحَنَكْ
إِذا أَنْصَرَتْهُ خُطُوبُ الزَّمانِ ... أَوْقَعَهُ في حِبالِ الشَّرَكْ
فهَذاكَ مِنْ حاذِقٍ قد يُصادُ ... ومِن غَمْرِ بَحْرٍ يُصادُ السَّمَكْ

•• ووجد في البيت الذي قبله مكتوب بخطه على الأرض

يا نفسُ صَبْراً لعلَّ الخيرَ عُقْباكِ ... حالَتْكِ بَعْدَ طَوالِ الأَمْرِ دُنْياكِ
مرَّتْ بِساحَةِ صيرٍ فقلتُ لها ... طُوباكِ يا لَيْتَنِي إِيَّاكِ طُوباكِ

وقال أعرابي

ولمَّا دخلتُ السِّجْنَ كبَّرَ أَهْلُهُ ... وقالوا أَبو لَيْلَى العَدَاةَ حَرِينُ
وفي البابِ مكتوبٌ على صفحاتِهِ ... بأَنَّكَ تَبْرُو ثُمَّ سَوْفَ يَلِينُ

وفى الحديث المرفوع .. ان يوسف عليه السلام شكى الي الله تعالى طول الحبس فأوحى اليه أنت حبست نفسك حين قلت (رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ) ولو قلت العافية أحب إليَّ لعوفيت .. قال وكتب يوسف عليه السلام على باب السجن .. هذه منازل البلوى وقبور الأحياء وشماتة الأعداء وتجربة الأصدقاء

محاسن المودة

قال بعض الحكماء .. ليس للانسان نعم الا مودات الاخوان .. وقال آخر الازدياد من الاخوان زيادة فى الآمال وتوفير لحسن الحال .. وقيل عاشروا الناس معاشرة ان عشتم حنوا اليكم وإن متم بكوا عليكم .. وقال

قَدْ يَمْلِكُ النَّاسُ حَيًّا لَيْسَ يَنْفَعُهُمْ ... وِدٌّ فَيَرْزَعُهُ التَّسْلِيمُ وَاللُّطَفُ

يَبْلِي الشَّقِيقَيْنِ طُولُ النَّأْيِ بَيْنَهُمَا ... وَتَلْتَقِي شُعَبٌ شَتَّى فَتَأْتَلِفُ

وقال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه لابنه الحسين .. ابذل لصديقك كل المودة ولا تطمئن اليه كل الطمأنينة واعطه كل المؤانسة ولا تنبسط اليه كل الانبساط .. وقال العباس بن عبد المطلب المودة تعاطف القلوب واتلاف الأرواح وأنس النفوس ووحشة الاشخاص عند تنائى اللقاء وظهور السرور بكثرة التزاور وعلى حسب مشاكلة الجواهر يكون الاتفاق فى الخصال .. وقال بعضهم من لم يواخ من الاخوان الا من لا عيب فيه قل صديقه ومن لم يرض من صديقه الا بايثاره إياه على نفسه دام سخطه ومن عاتب على غير ذنب كثر عدوه .. وكان يقال أعجز الناس من فرط فى طلب الاخوان .. وقال الشاعر فى معناه

لَعَمْرُكَ مَا مَالُ الفَتَى بِذَخِيرَةٍ ... وَلَكِنَّ حُسْنَ الْبِشْرِ مِنْ كَرَمِ الْيَدِ

﴿ ضده ﴾

قال المأمون ، الاحوال ثلاث طبقات طبقة كالعداء لا يستغني عنه وطبقة كالدواء يحتاج اليه أحياناً وطبقة كالداء الذي لا يحتاج اليه ،، وكتب بعض الكتّاب ان فلاناً أولاني جميلاً من الشر مقروناً بلطيف من الخطاب في بسط وجه ولين كنف فلما كشفه الامتحان بيسير الحاجة كان كالتابوت المطليّ عليه بالذهب المملوء بالعذرة أضحك حسنه مادام مطبقاً فلما فتح آذاك نتنه فلا أبعد الله غيره ،، ومما قيل في ذلك

واللهِ لو كَرِهَتْ كَفِّي مُسادَمتي ... لقلتُ للكفِّ بِيني إذْ كَرِهْتِيني

وقال آخر

ولو أنّي تحالفني شمالي ... لَمَا أتبعتُها أبدًا يميني
إذا قطعتُها ولقلتُ بيني ... كذلكَ احتوي مَنْ يحتوِني

وقال آخر

مَنْ لم يُرِدكَ فلا تُرِدْهُ ... ليكُنْ كمَنْ لم تستمِدْهُ
باعِدْ أخاكَ ببعدِهِ ... فإذا رأى شرًّا فرِدْهُ

وقال آخر

تَوَدُّ عَدُوِّي ثمَّ تزعمُ أنَّني ... أوَدُّكَ إنَّ الرَّأيَ منكَ لَعازِبُ
وليسَ أخي مَنْ وَدَّ رأيَ عينِهِ ... ولكنَّ أخي مَنْ وُدُّهُ وهوَ غائِبُ

وقال آخر

إنَّ اختبارَكَ لا عن حيرةٍ سلفت ... إلاَّ الرَّجاءَ ومما يُخطِئُ النَّظَرُ
كالمستهيبِ بطنَ السيلِ يحسبُهُ ... حرزًا فنادِرُهُ إذْ بلَّهُ المطَرُ

قال آخر

وصاحبٍ كانَ لي وكُنتُ لهُ ... أشفقُ من والدٍ على وَلَدِ
وكانَ لي مُؤنِساً وكُنتُ لهُ ... ليستْ بنا وَحشةٌ إلى أحدِ
كُنّا كساقٍ مشتْ بها قدمٌ ... أو كذراعٍ نيطتْ إلى عضُدِ
حتّى إذا أمكنَ الحوادثُ من ... حطّي وحلّ الزّمانُ من عُقُدي
إزورّ عنّي وكانَ ينظرُ من ... عينيهِ ويزمي بساعدي ويدي
حتّى إذا استرفدتْ يدي يدَهُ ... كُنتُ كمسترفدٍ يدَ الأسدِ

وقال آخر

يا عجَبًا لمن ربّيتُ طفلاً ... ألقمتُهُ بأطرافِ البنانِ
أعلّمُهُ الرّماية كلّ يومٍ ... فلمّا استدّ ساعدُه رماني
أعلّمُهُ الفتوّةَ كلّ حينٍ ... فلمّا طرّ شاربُهُ جفاني
أعلّمُهُ الرّوايةَ كلّ وقتٍ ... فلمّا صارَ شاعرَها هجاني

محاسن الوزراء

سئل عمّار بن ياسر رضي الله عنه عن الولاية فقال هي حلوة الرضاع مرة الفطام .. وذكروا أنه كان بين عمرو الحجاج بن يوسف عن المدينة وقد وفد من أهل المدينة منهم عيسى بن طلحة بن عبيد الله على عبد الملك بن مروان فشوا على الحجاج وعيسى ساكت فلما قاموا ثبت عيسى حتى خلا له وجه عبد الملك فتناه فجلس بين يديه فقال يا أمير المؤمنين من أين قال عيسى بن طلحة بن عبيد الله فمن أين أنت قال عبد الملك بن مروان قلت أجهلتك أم نسيت نعم قال وما ذاك قال وآسى عليها

الحجاج بن يوسف يسير بالباطل ويحملنا على أن نثني عليه بغير الحق والله لئن أعدت علينا لمصيبتك وان قاتلتنا وعلتنا وأسأت الينا قطعت أرحامنا ولئن قويت علينا لنخلعنك ملكك فقال له عبد الملك انصرف والزم بيتك ولا تذكرن من هذا شيئاً قال فقام الى منزله وأصبح الحجاج غادياً الى عيسى بن طلحة فقال جزاك الله عن خلوتك بأمير المؤمنين خيراً فقد أبدلني بكم خيراً وأبدلكم بي غيري وولاني العراق .. وعن معمر بن وهب قال .. كان عبد الملك عند ما استعفى أهل العراق من الحجاج قال لهم اختاروا أي هذين شئتم — يعني أخاه محمد بن مروان واسمه عبد الله بن عبد الملك — فكتب اليه الحجاج .. يا أمير المؤمنين ان أهل العراق استعفوا عثمان بن عفان من سعيد بن العاص فاعفاهم منه فساروا اليه من قابل وقتلوه . فقال صدق ورب الكعبة وكتب الى محمد وعبد الله بالسمع والطاعة له

﴿ ضده ﴾

كتب .. عبد الصمد بن المعذل الى صديق له ولّى الغائط فأطهر تيهاً

لَعَمْرِي لقدْ أظْهَرْتَ تِيهاً كأنَّما ... تَوَلَّيتَ للمَصْلِ بنِ مَرْوانَ عُكْنَرا
دَعِ الكِبْرَ واستبقِ التَّواضُعَ إنَّهُ ... قَبيحٌ بوالي الغَطِّ أنْ يَتَكَبَّرا
لِحِفْظِ عُيونِ الغطِّ أحْدَثْتَ نَخْوَةً ... فكيفَ بهِ لو كانَ مِسْكاً وعَنْبَرا

وقال ابن المعتز

كمْ تائهٍ بولايَةٍ ... وبعَزْلِهِ يَغْدُو الرَّشِيدْ
شُكْرُ الوِلايَةِ طيِّبٌ ... وحِمَارُهُ صَعْبٌ شَدِيدْ

وقال لبيد

لا تفرَحَنَّ فكلُّ وال يعزلُ ... وكما عزلتَ فعن قريبٍ تُقتَلُ

وَكذَا الزَّمانُ بما يَسُرُّكَ تارَةً وبما يَسوءُكَ تارَةً يَتَنَقَّلُ

محاسن الصحبة

قيل . قال علقمة بن ليث لابنه ، يا بُنيَّ ان نازعتك نفسك الى الرحال يوما لحاجتك اليهم فاصحب من إن صحبته زانك وان تحققت له صانك وان نزلت بك مؤونة مانك وان قلت صدَّق قولك وان صلت شدَّد صولتك واصحب من اذا مددت اليه يدك لفضل مدَّها وان رأى منك حسنة عدَّها وان بدت منك ثلمة سدَّها واصحب من لا تأتيك منه البوائق ولا تختلف عليك منه الطرائق ولا يحدلك عند الحقائق .. وقال آخر اصحب من حوَّلك نفسه وملَّكك خدمته وتحيرك لزمانه فقد وجب عليك حقه ودمامه .. وكان يقال من قل صاحبك فقد باعك مروءته وأدلَّ لقدرك عرضه .. وقال بعضهم لصاحبه انا أطوع لك من اليد وادل من النعل وقال بعضهم اذا رأيت كلباً ترك صاحبه وتبعك فارجمه فانه تاركك كما ترك صاحبه ، وقال ابن أبي دواد لرجل انقطع الى محمد بن عبد الملك الزيات . ما حبرك مع صاحبك فقال لا يعسر في الاحسان الى فقال اما هذا فليس حبك كذب ليس معه

ضدّه

قيل . كان يوسف بن عمر الثقفي يتولى العراقين لهشام بن عبد الملك وكان مسموماً في عمله شرس الخلق وزن يوسف بن عمر درهم فنقص حبة فكتب الى دور الضرب بالعراق تضربون هاهنا مئة .. قيل ودخل في مسجد الكوفة فسكان انسان محدود فقال يا أهل الكوفة لم تهكم أن تدخلوا مسجدكم حتى صلوا عنه فصربت عنقه .. قال وقال لهمام بن يحيى وكان عاملا له يا فاسق حرَّمت مهر صدقة قال اني لم أكن عليها انما كنت على ماء دجلة وعمرت البلاد فاعددت عليه مهر

فقال علم قد أخبرتك اني كنت على ماء دينار وتقول حرّمت مهر جانقدق فلم يزل يعذبه حتى مات .. قال وقال لكاتبه وقد احتبس عن ديوانه يوما .. ما حبسك قال اشتكيت ضرسي قال تشتكي ضرسك وتقعد عن الديوان ودعا الحجام وأمره أن يقلع ضرسين من أضراسه .. وعن المدائني قال .. حدثني رصيع كان ليوسف بن عمر من بني عبس قال كنت لا أحجب عنه وعن حدمته فدعا ذات يوم بحوار له ثلاث ودعا بحجام له يقال له حُدَيج فقرّب اليه واحدة فقال لها اني أريد الشحوص أفأحلمك أو أشخصك معي فقالت صحة الأمير أحبّ إليّ ولكني أحب ان مقامي وتحلبي اعي وأحبّ على قلبه فقال أحسنت التحلف للفحور يا حديج أضرب فصرها حتى أوجعها ثم أمره أن يأتيه بالثانية وقد رأت ما لقيت صاحبتها فقال لها اني أريد الشحوص أفأحلمك أم أحرحك فقالت ما أعدل بصحة الأمير شيئاً بل تحرحني قال أحسب الحجاج ما تريدين أن يعوتك ليلة يا حديج أضرب فصرها حتى أوجعها ثم أمره أن يأتيه بالثالثة وقد رأت ما لقيت المتقدمتان فقال لها اني أريد الشحوص أفأحلمك أم أحرحك قالت الامير أعلم ليبطر أحبّ الأمرين عليه فليفعله قال اختاري لنفسك قالت ما عدى اختيار فليختر الامير قال قد فرغت من كل عمل فلم يسق لي الا أن اختار لك أوجعها يا حديج فصرها حتى أوجعها قال الراوي فكأنما أوجعني من شدة عيطي عليه فوثبت الجارية فتبعها الخادم فلما بعدت قالت الحيرة والله في فراقك ما تقرّ عين أحد بصحبتك فلم يفهم يوسف كلامها فقال ما تقول يا حديج قال قالت كذا وكذا فقال يا ابن الخبيثة من أمرك أن تعامي يا علاء حد السوط من يده فوضع رأسه فما زال يضربه حتى اشتفى فتعرّف من العلام الآخر كم ضربت قال لا أدري قال يا عدوّ الله أتحرح حاصلي من بيت مالي من غير حساب اقتلوه فقتلوه [1]

---

(١) — هكذا في الأصل سنده في يوسف بن عمر ولعلها من أخبار الحجاج كما في غير هذا الكتاب

محاسن التطير

عن عكرمة قال ،، كنّا جلوساً عند ابن العبّاس وابن عمر فطار غراب يصيح فقال رجل من القوم خير خير فقال ابن العباس لا خير ولا شر ،، والذي حضرنا من الشعر في مثله لأبي الشيص

ما فَرَّقَ الأَحْبابَ غَيْرُ اللهِ إلاَّ الإبِلْ
والناسُ يلحَوْنَ غُرَا ... بَ البَيْنِ لمّا جَهِلوا
وما عَلى ظَهْرِ غُرَا ... بِ البَيْنِ تُطْوَى الرِّحَلْ
ولا إذا صاحَ غُرَا ... بٌ في الدِّيارِ ارْتَحلوا
وما غِرابُ البَيْنِ إلاَّ ناقةٌ أو جَمَلْ

وقال آخر

تَرَحَّلْ عَمَّن أنتَ صَبٌّ بمثلِهِ ... وتَلْحَى غُرابَ البَيْنِ لَكَ تَفْعَلُ
أقِمْ فغُرابُ البَيْنِ غيرُ مفرِّقٍ ... ولا شيءَ إلاَّ ما قضى اللهُ يحكمُ

وقال آخر

عَلَيْكَ الذي رَيْثُهم مُهْمِلَةٌ ... يلحونَ كلَّ غُرابٍ يَعِقْ
ما الدَّيْنُ إلاَّ للحسودِ فإنَّهُ ... مهما يُشَتِّتْ شَمْلَهُ يتفرَّقِ
إنْ مَرَّ بَيْمَنِهِ يَدْعُ هَوًى ... وتَشَتَّتْ شَمْلُ جميعِ لاهِي

وقال آخر

لا تَعْدَمَنَّ المرءَ إيلافَهُ ... لا كَوْنَهُ مُصْطَحِبَ الصَّاحِبِ
والمالُ والأَحْزانُ كلٌّ كما ... يَصْحَبُ ويَغْدُو مَعَ الغَالِبِ

﴿ ضدّه ﴾

حُكي عن النعمان بن المنذر ،، أنه خرج متصيّدًا ومعه عديّ بن زيد العبّادي فمرّ بآرام — وهي القبور — فقال عدي ،، أبيت اللعن أتدري ما تقول هذه الآرام قال لا قال ايها ،، تقول

أيُّها الرَّكْبُ المُخِفُّو نَ عَلَى الأَرْضِ تَمُرُّونَ
لَكَمَا كُنْتُمْ فَكُنَّا وَكَمَا كُنَّا تَكُونُونَ

فقال أعِد فأعادها فترك صيده ورجع كئيباً ،، وخرج معه مرّة أخرى فوقف على آرام بظهر الحيرة فقال عديّ ،، أبيت اللعن أتدري ما تقول هذه الآرام قال لا قال ايها تقول

رُبَّ رَكْبٍ قَدْ أَناخُوا عِنْدَنَا يَشْرَبُونَ الخَمْرَ بالماءِ الزُّلال
ثُمَّ أَضْحَوْا عَصَفَ الدَّهْرُ بِهِمْ وكَذَاكَ الدَّهْرُ حالاً بَعْدَ حال

فانصرف وترك صيده ،، قال ولما خرج خالد بن الوليد الى أهل الردّة انتهى الى حيّ من بني تغلب فاغار عليهم وقتلهم ،، وكان رجل منهم جالساً على شراب له وهو يغنّي بهذا البيت

أَلا عَاذِلاتي قَدْ حَبِشْ أَبي بَكْرِ لَعَلَّ مَنَايانا قَرِيبٌ وما نَدْرِي

فوقف عليه رجل من أصحاب خالد فضرب عنقه فاذا رأسه في الجفنة التي كان يشرب بها ،، وهذا كقولهم

إنَّ البَلاءَ مُوَكَّلٌ بالمَنْطِقِ

محاسن الوفاء

قيل في المثل «أوفى من فُكيهة» .. وهي امرأة من بني قيس بن ثعلبة كان من وفائها ان السليك بن سَلَكة عرا نكر بن وائل فلم يجد عملة يلتمسها فخرج جماعة من نكر فوجدوا أثر قدم على الماء فقالوا . ان هذا الأثر لأثر قدم ورد الماء فقعدوا له فلما وافا حملوا عليه فعدا حتى ولج قنة فُكيهة فاستجار بها فادخلته تحت درعها فانتزعوا حمارها فمادت إحوتها فلاؤا عشرة فمنعوهم منها .. قال وكان سليك يقول .. كأني أحد حشوة شعر آستها على ظهري حين أدخلتني تحت درعها .. وقال

لَعَمْرُ أبيكَ والأنباءُ تَنْمي ... لَنِعْمَ الجارُ أُخْتُ بني عُوَارا

منَ الحَفَرَاتِ لم تفصحْ أباها ... ولم ترفعْ لوالدِها شَنَارا

عَنَيْتُ بهِ فُكَيْهَةَ حينَ قامَتْ ... لِنَصْلِ السَّيْفِ ما نَتَزَعوا الحِمارا

ويقال أيضاً .. هو أوفى من أم حبيل .. وهي من رهط اسماء بن زيد من دوس وكان من وفائها ان هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي قتل رجلا من الأزد فطلبت ذلك قومه بالسراة فوثبوا على صرار بن الخطاب الفهري ليقتلوه فعمد حتى دخل بيت امحبين وعاذ بها فقامت في وجوههم ودفعت قومها فمنعوه لها فمشى عمر بن الخطاب فكلمه اخوه فأتته بالمدينة فلما اتتها عرفت القصة فقالت يا بني لست أخيه إلا في الاسلام وهو عار وقد عرفنا مسّتك عليه وأعطاها على ذلك مائة بعير .. ويقال أوفى من السموءل بن عاديا . وكان من وفائه ان امرأ القيس بن حجر لما اراد الخروج الى قيصر استودع السموءل دروعا له فلما مات امرؤ القيس غدر بها فمنعها من ورثة الملك فتحرز منه السموءل فوجد الملك السبيل له حين اخفر وصيح به يا سموءل سلم الي ما قبلك وقد علمت ان امرأ القيس بن عمي وأحق بميراثه فقال سأرجع اليك ولا دخلت اليك فقال . احلّي فأحلّته شمخ أهل بيته فشاورهم وكانوا يريدون دفع الدروع وان يستنقذ اسيره فلما اصبح سرى عليه وقد لبس في دفع الدروع الى رسول قيصر

ماات صانع فدفع الملك اليه وهو ينظر اليه وكان يهوديا وانصرف الملك ووافى السموءل بالدروع الموسم فدفعها الى ورثة امرئ القيس .. وقال في ذلك

وَفَيْتُ بِأَدْرُعِ الكِنْدِيِّ إِنِّي ... إِذا ما خانَ أَقْوامٌ وَفَيْتُ

وقالوا عندَهُ كَنْزٌ رَغِيبٌ ... فَلا وأَبِيكَ أَغْدُرُ ما مَشَيْتُ

بَنى لي عادِيا حِصْنا حَصِيناً ... وبِئْراً كُلَّما شِئْتُ اسْتَقَيْتُ

وفي ذلك يقول الأعشى

كُنْ كالسَّمَوْءَلِ إِذْ طافَ الهُمامُ بِهِ ... في جَحْفَلٍ كَسَوادِ اللَّيْلِ جَرَّارِ

بالأَبْلَقِ الفَرْدِ مِنْ تَيْماءَ مَنْزِلُهُ ... حِصْنٌ حَصِينٌ وجارٌ غيرُ غَدَّارِ

خَيَّرَهُ خُطَّتَيْ خَسْفٍ فقالَ لَهُ ... مَهْما تَقُولَنْ فإِنِّي سامِعٌ حارِ

فقالَ تُكْنَفُ وعَذْرٌ أَنْتَ يَنْهَما ... فاخْتَرْ فما فِيهِما حَظٌّ لِمُخْتارِ

فَشَكَّ غيرَ طَوِيلٍ ثُمَّ قالَ لَهُ ... أَقْتُلْ أَسِيرَكَ إِنِّي مانِعٌ جارِي

ويقال .. أوفى من الحارث بن عبّاد . وكان من وفائه انه أسر عديّ بن ربيعة ولم يعرفه فقال له دلني على عديّ بن ربيعة ولك الأمان فقال أنا آمن ان دللتك عليه قال نعم . قال فأنا عديّ بن ربيعة فخلاّه .. وفي ذلك يقول الشاعر

أَبَتْ نَفْسِي على عَدِيٍّ وقَدْ سَنا ... رَفَهُ المَوْتُ واحْتَوَتْهُ المَنُونُ

ويقال .. هو أوفى من عوف بن مُحَلِّم . وكان من وفائه ان مروان القرظ سرا كبن وائل فقصدوا حيشه وأسروه رجل منهم وهو لا يعرفه فأتى به أمه فقالت : ... تحتال ... كأنك حتى تعرف القرظ فقال مروان وما ترجين من مروان قال عصم ... وتد ترجين من فدائه قال مائة بعير قال . لك ذلك على أن ترديني الى حيث ... عوف بن محلم قالت ... لي مائة فأخذ عوداً من الأرض وقال عد لك ... لي بن عوف فاستجار بجماعة ابله فمضت به الى عوف ثم

ان عمرو بن هند بعث الى عوف أن يأتيه بمروان وكان واحداً عليه فى شيء فقال عوف لرسوله : ان خماعة امتى قد أجارته ، فقال .. ان الملك قد آلى أن يعفو عنه أو يقبع كفه في كفه ، فقال عوف .. يفعل ذلك على أن تكون كفى بين أيديهما ، فأجابه عمرو الى ذلك ، فجاء عوف بمروان فأدخله عليه فوضع يده في يده ووضع يده بين أيديهما فعفى عنه .. ومنهم الطائي صاحب النعمان بن المنذر .. وكان من وفائه ان النعمان ركب فى يوم نؤسه وكان له يومان يوم نؤس ويوم نعيم لم يلقه أحد فى يوم نؤسه إلا قتله ولا فى يوم نعيمه إلا أحياه وحباه وأعطاه فاستقبله فى يوم نؤسه اعرابي من طيء فقال ، حيآ الله الملك ان لى سبية سماراً لم أوص بهم أحداً فان رأى الملك أن يأذن لي في اتيانهم وأعطيه عهد الله أن أرجع اليه اذا أوصيت بهم حتى أضع يدى فى يده فرق له النعمان وقال له لا إلا أن يضمنك رجل ممن يعاشرك ثم تأت قلناه ، وكان مع النعمان شريك بن عمرو بن شراحيل فنظر اليه الطائى وقال

يا شريكَ بنَ عَمْرِو هلْ منَ الموْتِ مَحالَهْ
يا أخا كلِّ مُضافٍ يا أخا مَنْ لا أخا لَهْ
أخا النعمان فكُّ الـ ـعَنْ شيخٍ غيرِ خالَهْ
بن سبيانَ تسلْـ ـصلحَ به نعمانُ

فقال شريك هو على أصلح الله الملك فمضى الطائي وأحل له حلا الذي فيه فلما كان ذلك اليوم حضر النعمان سريرا وجلس عليه وصرفهما يومئذ وهو يقول ليس لك على حق شيء فمن شاء أقام شخص والنعمان ينظر فى سروره فلما سرحت ليس لك على حق يومئذ فجعل يتخلى فجاء كما كان فلما أتى النعمان وقد رأيت كرمه وسكرمه فاذا كرمه عند الذى ضمنك وهو يموت فلما رجع الى النعمان وقد كون لأهله ولولده أمر رفع يده فوسمه وأشعره

ولقدْ دَعَتْنِي للخِلافِ عَشِيرَتِي فأَبِيْتُ عِنْدَ تَجَهُّمِ الأَقوالِ
إنِّي امْرُؤٌ مِنِّي الوَفاءُ خَلِيقَةٌ وفِعالُ كلِّ مُهَذَّبٍ بَذَّالِ

فقال النعمان : ما حملك على الوفاء قال . ديني قال : وما دينك قال : النصرانية قال اعرضها عليّ فعرضها عليه فتنصر النعمان

﴿ ضدّه ﴾

قيل كتب صاحب بريد همذان الى المأمون وهو بخراسان يعلمه ان كاتب صاحب البريد المعزول أخبره ان صاحبه وصاحب الخراج كانا تواطئا على اخراج مائتي ألف درهم من بيت المال واقتسماها بينهما ، فوقّع المأمون إنّا نرى قبول السعاية شراً من السعاية لأن السعاية دلالة والقبول اجارة وليس من دل على شيء كمن قبله وأجاره فأنف الساعي عند ذلك وقال يا أمير المؤمنين رضي الله عنك المعذرة فان الساعي وان كان في سعايته صادقاً لقد كان في صدقه لئيما اذ لم يحفظ الحرمة ولم يهب لصاحبه ،، قال ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك فقال يا أمير المؤمنين عندي نصيحة قال وما نصيحتك هذه ، قال فلان كان عاملا ليزيد بن معاوية وعبد الملك والوليد فخانهم فيما تولاه ثم اقتطع أموالا كثيرة حاليةً فهو يستخراجها منه . قال أمت شرمه وأحون حيث اطلعت على امره وأظهرته ولولا اني أنفرُ الصباح لعاقبتك ولكن اختر مني خصلة من ثلاث . قال اعرضهن يا أمير المؤمنين قال ان شئت فتشنا عما ذكرت فان كنت صادقا عاقبناك وان كنت كاذباً عاقبناك وان استقلت أقلناك فاستقاله الرجل

محاسن السخاء

روي عن نافع قال ، لقي يحيى بن زكرياء عليه السلام ابليس لعنه الله فقال

أخبرني بأحب الناس اليك وأبغضهم اليك . قال .. أحبهم إليّ كل مؤمن بخيل وأبغضهم إليّ كل منافق سخيّ . قال : وما ذاك . قال . لأن السخاء خلق الله الأعظم فأحب أن يطلع عليه في بعض سخائه فيغفر له .. وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : السخيّ قريب من الله قريب من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة قريب من النار ولجاهل سخي أحب الى الله عز وجلّ من عابد بخيل وأدوأ الداء البخل .. وقال صلى الله عليه وسلم ما أشرقت شمس إلا ومعها ملكان يناديان يُسمعان الخلائق غير الجن والانس وهما الثقلان اللهم عجل لمنفق خلفاً ولممسك تلفاً وملكان يناديان أيها الناس هلموا الى ربكم فان ما قلّ وكفى خير مما كثر وألهى .. وعن الشعبيّ قال ، قالت أم البنين ابنة عبد العزيز أخت عمر بن عبد العزيز وكانت تحت الوليد بن عبد الملك ، لو كان البخل قميصاً ما لبسته أو طريقاً ما سلكتها وكانت تعتق في كل يوم رقبة وتحمل على فرس في سبيل الله وكانت تقول ، البخل كل البخل من بخل على نفسه بالجنة .. وقيل اعتقت هند بنت عبد المطلب في يوم واحد أربعين رقبة .. وقال بعض الحكماء ثواب الجود حامد ومحمة ومكافأة وثواب البخل حرمان واتلاف ومذمة .. وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يا عليّ كن شجاعاً فان الله يحب الشجاع وكن سخياً فان الله يحب السخيّ وكن عبوساً فان الله يحب العبوس يا عليّ وان انسان سألك حاجة ليس له أهل فكن أنت أهلها وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم السخاء شجرة في الجنة من أخذ منها غصناً لم تتركه في الجنة .. وقال عبد العزيز بن مروان لو لم يدخل على البخلاء في لؤمهم لاستوحشهم الله عز وجلّ لكان عقيما وقال صلى الله عليه وسلم تجافوا عن ذنب السخيّ فان الله آخذ بيده كلما عثر وقال جبريل حدثني عن أحب أن يعرف قصص خلقه على سائر الاشياء فيغفر لي ما تحدث به عن خلق من مواهب الخالق ومنائح الرازق كيف يعذب من هو خائف من خطيئته ولا يرضى لخلقه بالقنوط من رحمته ويدخل الجنة من لا يستحق ذلك لولا وعده فكيف بمن وعد في كتابه من لا

معروفاً حمياً وأظهره ليتطوّل به على المنعم عليه فقد نبذ الدين وراء ظهره واستوجب أن لا يعده من الابرار ولا يذكره في الأتقياء والصالحين .. قيل : وسئل الاسكندر ما أكبر ما شيدت به ملكك ، قال : استدارى الي اصطناع الرجال والاحسان اليهم .. قال : وكتب ارسطاطاليس في رسالته الي الاسكندر . واعلم ان الايام تأتي على كل شئ فتخلقه وتخلق آثاره وتميت الافعال إلا ما رسخ في قلوب الناس فاودع قلوبهم محمة آبدة تبقى بها حسن ذكرك وكريم فعالك وشرف آثارك .. قال ولما قُدّم بزرجمهر الي القتل قيل له انك في آخر وقت من أوقات الدنيا وأول وقت من اوقات الآخرة فتكلم بكلام تذكر به .. فقال أي شئ أقول الكلام كثير ولكن ان أمكنك أن تكون حديثاً حسناً فافعل .. قيل وتنازع رجلان احدهما من أبناء العجم والآخر اعرابي في الضيافة فقال الاعرابي . نحن أقرى للضيف قال وكيف ذلك ، قال لأن أحدنا ربما لا يملك إلا بعيراً فاذا حلّ به ضيف نحره له ، فقال له الاعجمي فنحن احسن مذهباً في القرى منكم ، قال وما ذاك ، قال نحن نسمي الضيف مهمان ومعناه انه اكبر من في المنزل واملكنا به . وقال بعض الحكماء تابع الجود من قام بالمجهود .. وقيل الجواد من لم يعص بالموجود .. وقال المأمون الجود بذل الموجود والبخل سوء الظن بالمفقود .. قيل وشكا رجل الي إياس بن معاوية كثرة ما يهب ويصل الناس ويعتق . قال ان السفقة داعية الرزق وكان جالساً على باب فقال للرجل اغلق هذا الباب فأغلقه فقال هل يدخل فيه الريح قال لا . قال فافتحه ففتحه فجعلت الريح تخرق في البيت فقال هكذا الرزق اغلقت فلم يدخل الرزق فكذلك اذا امسكت لم يأتك الرزق قيل ووصل المأمون محمد بن عبّاد المهلّبي عائة الف دينار ففرّقها على اخوانه فبلغ ذلك المأمون فقال يا أبا عبد الله ان بيوت الأموال لا تقوم بهذا . فقال يا أمير المؤمنين الجود بالموجود سوء الظن بالمفقود وعن أمية بن يزيد الأموي قال كنت عند عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية فجاءه رجل من أهل بيته فسأله المعونة على تزويج فقال له قولا جميلاً فيه وعد وقلّة اطماع . فلما قام من عنده ... صاحب حديثه فقال عجبت لهذا الرجل ... واستكثر ما اعطاه وقلما كنت

رددت عليه رداً طننا أنك تعطيه شيئاً قليلا فاذا أنت أعطيته أكثر مما أمل . فقال : انى أحب أن يكون فعلي أحسن من قولي .. وبحاتم يضرب المثل في السخاء . فحدثنا عن بعض حالات حاتم قيل كان حاتم جواداً شاعراً وكان حيثما نزل عرف منزله وكان ظفِراً إذا قاتل غلب واذا غنم نهب واذا سئل وهب واذا ضرب بالقداح سبق واذا أسر أطلق . وكان أقسم أن لا يقتل واحد أمه .. قيل : ولما بلغ حاتماً قول المتلمّس الضبعيّ

قليلُ المالِ تُصلحهُ فيبقى ... ولا يبقى الكثيرُ على الفسادِ
وحفظُ المالِ أيسرُ من بغاهُ ... وضربٍ في البلادِ بغيرِ زادِ

فقال . ماله قطع الله لسانه يحرض الناس على البخل أفلا قال

فلا الجودُ يُفني المالَ قبلَ فنائهِ ... ولا البخلُ في مالِ الشحيحِ يزيدُ
فلا تلتمسْ رزقاً بعيشٍ مقتّرٍ ... لكلِّ غدٍ رزقٌ يعودُ جديدُ
ألمْ ترَ أنَّ الرزقَ غادٍ ورائحٌ ... وأنَّ الذي أعطاكَ سوفَ يُعيدُ

قيل : ونزل على حاتم ضيف ولم يحضره القرى فنحر ناقة الضيف وعشّاه وغدّاه وقال [illegible] عشرون [illegible] من [illegible] قومه من أتانا [illegible] ناقتان بعد العيرة . [illegible] وحكوا عن حاتم انه خرج في الشهر الحرام [illegible] كان [illegible] فكي الأسير [illegible] فقال [illegible] في بلادي ولا معي شيء [illegible] [illegible]

وسألته القرى فلم يفعل وحمل يضرب القمر برجله ويقول

عَجِّلْ أَبا سَعَّابَةٍ قِرَاكَا فسوف أُنبي سائلي ثَنَاكَا

فقال بعضهم مالك تنادي رمة وباتوا مكانهم فقام صاحب القول من نومه مذعوراً فقال : يا قوم عليكم مطايا كم فإن حاتماً أتاني فانشدني

أَبا الخَيْبَرِيِّ وأَنتَ امْرُؤٌ طلومُ العَشِيرَةِ شَتَّامُها
فما دا أَرَدْتَ إلى رِمَّةٍ بدَوِّيَّةٍ صَخِبَتْ هامُها
تُنَعِّي أَداها وإعْسارَها وحَوْلَكَ طَيٌّ وأَنعامُها
وإنَّا لَنُعْمِمُ أَضيافَنا مِنَ الكُومِ بالسَّيْفِ نِعْتامُها

وقيل في المثل هو اجود من كعب بن مامة وكان من إياد وبلغ من جوده انه خرج في ركب فيهم رجل من بني المنتفق فاسط في شهر ناجر والحأهم العطش فضلوا فتصافوا ماءهم فحمل المنتفق ينشر بعيره فاذا اراد كعب ان يشرب بعيره قال آثر اخاك المنتفق فيؤثره حتى اضرّ به العطش فلما راى ذلك استحث ناقته وبادر حتى رفعت له اعلام الماء وقبل له رد كعب فانك ورّاد فمات قبل ان يرد وبحا رفيقه .. ومن قول ابي تمام

هوَ الحَزْمُ أَيَّ النَّواحي أَتَيْتَهُ فلَحْتَهُ المعْرُوفُ والجُودُ ساحِلُه
كَرِيمٌ إذا ما جِئْتَ للعُرْفِ طالِباً حَباكَ بما تَحْوِي عليهِ أَنامِلُه
فلَوْ لم يَكُنْ في كَفِّهِ غيرُ نفسِه لجادَ بها فليَتَّقِ اللهَ سائِلُه

وللبحتري

لوأَنَّ كفَّكَ لم تُخدِلْ مؤمِّلَها لكفاهُ عاجِلُ وَحْلِكَ المُتهلِّلِ
ولوأَنَّ مَجْدَكَ لم يَكُنْ مُتقادِماً أَعْناكَ آخرُ سُؤدُدٍ عن أَوَّلِ

ولكرمان السطاح في أبي دلف

نَطَلٌ بِصَدْرِ حُسَامِهِ وسِنَانِهِ ... أَجْلَانِ مِنْ صَدَرٍ ومِنْ إِبْرَادِ
وَرِثَ المَكَارِمَ وابْتَنَاهَا قَاسِمٌ ... بِصَفَائِحٍ وأَسِنَّةٍ وجِيَادِ
يَا عِصْمَةَ العَرَبِ التِي لَوْ لَمْ تَكُنْ ... حَيًّا إِذًا كَانَتْ بِغَيْرِ عِمَادِ
إِنَّ العُيُونَ إِذَا رَأَتْكَ حِدَادُهَا ... رَجَعَتْ مِنَ الإِجْلَالِ غَيْرَ حِدَادِ
وإِذَا رَمَيْتَ الثَّغْرَ مِنْكَ بِعَزْمَةٍ ... فَتَحَتْ مِنْهُ مَوَاضِعَ الأَسْدَادِ
وكَأَنَّ رُمْحَكَ مِنْقَعٌ فِي عُصْفُرٍ ... وكَأَنَّ سَيْفَكَ سَلٌّ مِنْ فِرْصَادِ
لَوْ صَالَ مِنْ عَضَبٍ أَبُو دُلَفٍ عَلَى ... بِيضِ السُّيُوفِ لَدُنَّ فِي الأَعْمَادِ
أَوْرَى وَوَرَّ لِلْعَدَاوَةِ والهَوَى ... نَارَيْنِ نَارَ دَمٍ ونَارَ زِنَادِ

قال أبو هفان أنشدت هذه الأبيات عبد العزيز بن أبي دلف فسُرّ من رأى . فقال هل سمعت بمثل هذه الأبيات . قلت لا . قال ولغيره في أبي دلف

ولَوْ يَحُورُ لَقَالَ النَّاسُ كُلُّهُمُ ... لَوْلَا أَبُو دُلَفٍ مَا أَوْرَقَ الشَّجَرُ

قال ابن يحيى النديم دعاني المتوكل ذات يوم وهو محمور فقال أنشدني قول عمارة في أهل حداد . فأنشدته

مَنْ يَشْتَرِي مِنِّي مُلُوكَ مُحَرَّمٍ ... أَبِعْ حَسَبًا وَبَنِي هِشَامٍ بِدِرْهَمِ
وأُعْطَى رِجَاءَ المَدْحِ ذَاكَ زِيَادَةً ... وَمَنْحَ دِينَارٍ بِغَيْرِ تَلَثُّمِ
فَإِنْ طَلَبُوا مِنِّي الزِّيَادَةَ زِدْتُهُمْ ... أَبَا دُلَفٍ والمُسْتَضَلَّ بْنَ كُلْثُمِ

فقال المتوكل ويلي على ابن النوشاء على حسبه يمحو سيئة عدس قل فهل عندك من المدح في أبي دلف القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل قول الأعرابي لمن يقول فيه

أبا دُلَفٍ إنَّ السَّماحةَ لم تَزَلْ ... مُذَلَّلةً تَشكو إلى اللهِ ذُلَّها
فبَشَّرَها رَبِّي بميلادِ قاسمٍ ... فأرسَلَ جبريلاً إليها فحَلَّها

وقال غيره

حرٌّ إذا جئتَهُ يوماً لتسألَهُ ... أعطاكَ ما ملكتْ كفّاهُ واعتذرا
يُخفي صنائعَهُ واللهُ يُظهرُها ... إنَّ الجميلَ إذا أخفيتَهُ ظهرا

وقال آخر

فتىً عاهدَ الرَّحمنَ في بذلِ مالِهِ ... فليسَ تَراهُ الدَّهرَ إلاَّ على العَهدِ
فتىً قصُرتْ آمالُهُ عن فعالِهِ ... وليسَ على الحُرِّ الكريمِ سِوى الجَهدِ

وقال آخر

إذا ما أتاهُ السَّائلونَ تَوَقَّدَتْ ... عليهِ مَصابيحُ الطَّلاقةِ والبِشرِ
لهُ في ذُرى المعروفِ نُعمى كأنَّها ... مَواقِعُ ماءِ المُزنِ في اللِّدِ القَمرِ

وقال آخر

عادَ السُّرورُ إليكَ في الأعيادِ ... وسَعِدتَ مِن دُنياكَ بالإسعادِ
رِفقاً بعبدٍ حالَ ما أوليتَهُ ... رِفقاً فقد أثقلتَهُ بأيادي
مَلأَ النُّفوسَ مهابةً وتجلَّةً ... بذرٌ بدا متعمِّماً بسوادِ
ما إن أرى لكَ مُشبِهاً فيمَن أرى ... إنَّ الكرامَ قليلةُ الأندادِ

وقال في ابن دواد

بدا حينَ أثرى بإخوتِهِ ... فقلَّلَ عنهمُ شاةَ العَدَمْ
وحذَّرهُ طولُ الزمانِ ... مَدارَ قَتلِ انتقالِ النِّعَمْ

فليسَ وإنْ مَجَّ الباخلو ن يَقْرَعُ سِنّاً لهُ منْ نَدَم
ولاينكتُ الأرضَ عندالسُّؤالِ ليمنعَ سؤّالهُ عنْ نَعَمْ .
ولكنْ يُرَى مُشْرِقاً وَجهُهُ ليزعمَ في مالهِ منْ زَعَمْ

ويروى فى الحديث انه لا يجتمع الشح والايمان في قلب عبد صالح أبداً .. ويقولون الشحيح أعذر من الظالم أقسم الله نعمته لا يباركه بخيل فى جنته .. وقال النبى صلى الله عليه وسلم من فتح له باب من الخير فليغتنمه فانه لايدرى متى يغلق عنه .. وقال الشاعر فى ذلك

ليسَ في كُلِّ ساعةٍ وأوانٍ تتهيَّا صنائعُ الإحسانِ
فإذا أمكنَتْ تقدَّمْتُ فيها حذرًا منْ تعذُّرِ الإمكانِ

وذكر عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه ان أمير المؤمنين علياً صلوات الله عليه بعثه الى حكيم بن حزام بن خويلد يسأله مالا فانطلق به الى منزله فوجد فى الطريق صوفاً فأخذه ومرّ بقطعة كساء فأخذها فلما صار الى المنزل أعطاه طرف الصوف فجعل يغتله حتى صيره خيطاً ثم دعا بمزادة خرقه فرقعها بالكساء وخيّطها بالخيط ومرّ فيها ثلاثين ألف درهم فحملت معه .. قال وأتى قوم قيس بن سعد بن عبادة الانصارى رحمه الله يسألونه فى حاجة فصادفوه فى حائط له يتتبع ما سقط من التمر فيجمل جيّده ورديئه على حدة فهموا بأن يرجعوا عنه وقالوا ما نحب عنده خيراً ثم كلموه وأعطاهم فقال رجل من القوم لقد رأيناك تصنع شيئاً لا نشبه فعالك فعال وما ذاك فأخبروه فقال ان لدى رأسه نؤول الى جميع ما نرجو .. منها قيل تعود الي تعود إلى .. وأنشد

رُبَّ كثيرها حةٍ صعيرْ وفي البحور تمرقُ البحور

وقال آخر

قد يلحقُ الصغيرُ بالجليل وما انقرضَ من لا فيل

وسحُقُ النَّخلِ مِنَ الصَّيلِ

قال . وأتى رجل طلحة بن عبيد الله فسأله حاجة فرآه يهنأ بعيراً له فقال ياغلام احرج اليه مدرة فقدمها وقال : أردت أن أنصرف حين رأيتك تهنأ البعير فقال . إنا لا نسيع البعير ولا يتعاظمنا الكثير

مساوى البخل

امثل السائر فى البخل هو أبخل من مادر . وهو رجل من بنى هلال بن عامر بلغ من بخله انه كان يسقى ابله فتى في أسفل الحوض ماء قليل فسلح فيه ومدر الحوض به فسمي مادراً .. وذكروا ان بنى هلال وبني قرارة تنافروا الى أنس بن مدرك وتراضوا به . فقالت بنو هلال يا بنى قرارة اكلتم ابر الحمار فقالت بنو قرارة لم نعرفه . وكان سبب ذلك ان ثلاثة اصطحبوا قراريّ وثعاليّ وكلابي فصادفوا حمار وحش ومضى القراري فى بعض حوائجه فطبخوا وأكلوا وجاء القراري إبر الحمار فلما رجع قالوا قد جاء ذلك حقك فكل . فأقبل يأكل ولا يسيغه . فجعلوا يضحكون منه ثم أخذ السيف وقام اليهما وقال لتأكلن منه أولأقتلنكما فامتنعا فضرب أحدهما فقتله وتناوله الآخر فاكل منه . فقال فيهم الشاعر

تَنَذَّتُكَ يافَرَارَ وأنتَ شيخٌ ... إذا خيّرتَ تُخطئُ فى الخيارِ

أَصَحَّ حايَةٌ أدمَتْ بسمْرٍ ... أَحَبُّ إليكَ أم إبرُ الحمارِ

بلى إبرُ الحمارِ وحصيَتاهُ ... أَحَبُّ إليَّ فَرَارَةَ مِنْ فَرَارِي

فسأل بنو قرارة منكم يا بني هلال من سقى ابله فلما رويت سابح في الحوض ومدره بخلا فقهرهم أنس بن مدرك على الهلاليين فاخذ القراريون منهم مائة بعير وكانوا تراهنوا عليها . وفي بني هلال يقول الشاعر

لقد جللت خزيا هلال بن عامر بني عامر طرا بسلحة مادر

فأف لكم لا تذكروا الفخر بعدها بني عامر أنتم شرار العشائر

وفي المثل .. هو أخل من أبي حباحب . وهو رجل في الجاهلية بخل من بخلائهم كان يسرج السراج فاذا أراد أحد أن يأخذ منه أطفأه . فضرب به المثل .. ومنهم صاحب بحيح بن سلكة اليربوعي فانه ذكر أن بحيحاً اليربوعي خرج يوماً يتصيد فعرس له حمار وحش فأتبعه حتى دفع الى أكمة فاذا هو برجل أعمى أسود قاعد في أطمار بين يديه ذهب وفضة ودرّ وياقوت فدنا منه فتناول بعضها ولم يستطع أن يحرك يده حتى ألقاه فقال . يا هذا ما هذا الذي بين يديك وكيف يستطاع أحد وهل هو لك أم لغيرك فاني أعجب مما أرى اجواد انت فنجود لنا أم بخيل فاعذرك فقال الأعمى أطاف رجلا فقد مد سببا وهو سعد بن حسرم بن سماس فأتي به نعطك ما تشاء . فانطلق بحيح مسرعا قد استطيرَ فؤاده حتى وصل الى قومه ودخل حيه ووضع رأسه فنام فما به من الهم لا يدري مَن سعد بن حسرم فاتاه آت في منامه فقال له يا بحيح ان سعد بن حسرم في حي بني عجلان من ولد دهل بن شيبان ، فسأل عن بني عجلان فسأل عن حسرم بن سماس فاذا هو شيخ قاعد على باب خبائه فحيّاه بحيح فرد عليه السلام فقال له بحيح من انت ، قال انا حسرم بن سماس ، قال له فابن ولدك سعد قال خرج في طلب بحيح اليربوعي وذلك بعد أن آتاه في منامه خبره بن ملاله في واحي بني يربوع لا يعلم به الا بحيح اليربوعي ، فضرب بحيح فرسه وهو يقول

أتطلبني من قد عناني طلابه فها أنا ذا سعد بن حسرم

أنيب الى يربوع سعي اتعابه وحتف لكل أتعس حي بحتم

فلما دنا من محلته سمع سعد فضرب بحيح ... فلما دنا قال يا سعد هل بقي في بحيح فضل وحده حتى ... على الحر كما عاب ... ول من قاطعه حتى ... سكان ...

الرجل الأعمى عنهما ونزل المال فاخذه سعد كله . فقال نجيح : يا سعد قاسمني . فقال له اطو عني وعن مالي كشحاً . وأبى أن يعطيه شيئاً فانتضى نجيح سيفه فحمل يضربه حتى رد فلما وقع قتيلا تحوّل الرجل الحافظ للمال سعلاة فاسرع في أكل سعد وعاد المال الى مكانه فلما رأى نجيح ذلك ولّى هارباً الى قومه .. قيل . وكان ابو عدس بخيلا وكان اذا وقع الدرهم في يده نقره باصبعه ثم يقول . كم من مدية قد دحتها ويد قد وقعت فيها فالآن استقرّ بك القرار واطمأنّت بك الدار ثم يرمي به في صندوقه فيكون آخر العهد به .. قيل ونظر سليمان بن مراحم الى درهم فقال في شق . لا إله إلا الله . وفي شق محمد رسول الله مايمنعني أن تكون إلا معادة وقذفه في صندوقه .. وذكروا انه كان مالي عامل على الخراج يقال له المسيّب فاتاه شاعر يمتدحه فلم يعطه شيئاً ثم سعل سعلة فصرط .. فقال الشاعر

أتيتُ المُسيّبَ في حاجةٍ ... فما زال يسعلُ حتى صَرَطْ

فقال غلطتَ حسابَ الخراج ... فقلتُ من الصَّرْطِ جاء الغلطْ

فما زالوا يقولون ذلك حتى هرب منها من عبر عربل .. قال وكتب ارسطاطاليس الى رجل شيئاً فلم يعمل فكتب اليه ان كنت أردت فلم تقدر فمعذور وان كنت قدرت ولم ترد فسيأتيك يوم تريد فيه فلا تقدر .. قال وسمع ابو الاسود الدؤلي رجلا يقول من يعشّي الجائع . فعشّاه ثم قام الرجل ليخرج فقال هيهات تخرج فتؤدي الناس كما آديتني . ووضع رجله في الأدهم حتى أصبح . قال وكان رجل يأتي ابن المقفّع فيلح عليه ويسأله أن يعدّي عنده و يقول لعلك تظن اني أكلمك لك شيئاً والله لا اقدّم لك إلا ما عندي فلما أتاه لم يجد في بيته إلا كسراً يابسة وملح جريش . وجاء سائل الى الباب فقال له وسّع الله عليك . فلم يذهب فقال والله لئن خرجت اليك لأدقنّ رأسك فقال ابن المقفّع للسائل ويحك لو عرفت من صدق وعده ما أعرف من صدق وعده لم ترد كله ولم تقم طرفه عين قال وكتب ابراهيم بن سيابة الى صديق له كان المال في يده فكتب اليه المال كما [illegible] والرجل قال والمال كما [illegible]

فكتب اليه ان كنت كاذباً فعجلك الله صادقاً وان كنت صادقاً فعجلك الله مصدوراً .. وكتب آخر الى آخر يصف رجلا . أما بعد فانك كنت تسأل عن فلان كأنك هممت به أو حدثتك نفسك بالقدوم اليه فلا تفعل فان حسن الظن به لا يقع في الوهم الا بحدلان الله والطمع فيما عنده لا يخطر على القلب إلا بسوء التوكل على الله والرجاء فيما في يده لا ينبغي الا بعد اليأس من رحمة الله انه يرى الايثار الذي يُرضى به التبذير الذي يعاقب عليه والاقتصاد الذي أمر به الاسراف الذي يعاقب عليه وان بني اسرائيل لم يستبدلوا العدس والبصل بالمنّ والسلوى إلّا لفضل أخلاقهم وقديم علمهم وان الصنيعة مرفوعة والصلة موضوعة والهدية مكروهة والصدقة ممحوسة والتوسع ضلالة والجود فسوق والسخاء من خمرات الشياطين وان مواساة الرجال من الذنوب الموبقة والافضال عليهم من احدى الكبائر وأيم الله انه يقول ان الله لا يضر أن يؤثر المرء في خاصة على نفسه ويضر ما دون ذلك لمن يشاء ومن آثر على نفسه فقد ضلّ ضلالاً بعيداً كأنه لم يسمع بالمعروف إلا في الجاهلية الذين قطع الله آثارهم ونهى المسلمين عن اتباع آثارهم وان الرحمة لم تأخذ أهل مدين إلّا لسخاء كان فيهم ولا أهلك الريح عاداً إلا لوشح كان منهم فهو يحثني العقاب على الاعناق ويرجو الثواب على الاعتار ويعدّ نفسه حاسراً ويعدها الفقر ويأمرها بالبخل خيفة أن تمرّ به قوارع الدهر وان يصيبه ما أصاب القرون الأولى فاقم رحمك الله مكانك واصطبر على عسرك عسى الله أن يبدلنا وإياك خيراً منه زكاة وأقرب رحما .. ولبعض الكتّاب أما بعد فان كثير المواعيد من غير منح عار على المطلوب اليه وقلتها مع منح الحاجة مكرمة من صاحبها وقد رددتنا في حاجتنا هذه في كثرة مواعيدك من غير منح لها حتى كأنا قد رضينا بالتعلل لها دون النجاح كقول القائل

لاتحملنّا كلكموز تمرزعة ... إن هاتة الماء روته الموعيد

وكتب آخر ما رأيت من حيف قولك أمرّه سوء فعلك ولا مثل تسويفك حالفه طول تكذيبك ولا مثل قرب بعدك ناعده مراطل معيشك ولا مثل يأس مدافعك وحرمانه احبال رجائه حين [illegible]

وكأنه ريبك فيهم بالخديعة لتدرك منهم فرصة الهلكة .. وقد قيل : وعد الكريم نقد وتعجيل ووعد اللئيم مطل وتأجيل .. وقال بعضهم وعدتنا مواعيد عرقوب ومطلتنا مطل نعاس الكلب وعرورتنا عرور السراب ومنيتنا أماني الكذوب .. ولبعضهم . أما بعد فلا تدعين معلماً وعدك فالعذر الجميل أحسن من المطل الطويل فان كنت تريد الانعام فاسمح وان تعذرت الحاجة فاوضح واعلمني ذلك لأصرف وجه الطلب الى غيرك .. وذكروا ان فتى من مراد كان يختلف الى عمرو بن العاص فقال له ذات يوم ألك امرأة . قال لا . قال فتزوج وعليّ المهر . فرجع الى أمه فأخبرها الخبر فقالت

إذا حدّثتك النفس انك قادرٌ على ما حوت أيدي الرجال فكذّبِ

فتزوج وأتى عمرو بن العاص فاعتلّ عليه ولم يجز وعده فشكى ذلك الى أمه فقالت

لا تمضين على امرئ في ماله وعلى كرائم حرّ مالك فاعضبِ

ووصف اعرابي رجلا فقال له سر مطمع ومطل مؤنس وكسبُ منه أبداً بين الطمع واليأس لا بذل سريع ولا مطل مريح .. وقال اعرابي أنا من فلان في أماني تهبط العصم وخلف يذكر العدم ولست بالحريص الذي اذا وعده الكذوب علق نفسه لديه وأتعب راحلته اليه .. وذكر اعرابي رجلا فقال له مواعيد عواقبها المطل وثمارها الخلف ومحصولها اليأس . ويقال سرعة اليأس أحد النجحين .. وقال بعضهم مواعيد فلان مواعيد عرقوب ولمع الآل وبرق الخُلّب وأماني الكذوب وبارق الخاتب وسلف نحب الراعدة .. ومما قيل في ذلك

أروحُ وأغدُ ومحوكمُ في حوائجي فأصبحُ منها عدوة كالذي أمسى
وقد كنتُ أرجو للصديق شفاعتي فقد صرتُ أرضى أن أشفعَ في نفسي

ولأبي نواس

وعدتني وعدك حتى إذا أطمعتني في كنزِ قارونِ
جئت من الليل بسالة تعسلُ ما فاتَ نصاوون

ولأبي تمام

يحتاج من يرتجي نوالكم ... إلى ثلاث من غير تكذيب
كنوز قارون أن تكون له ... وعمر نوح وصبر أيوب

وقال آخر

إني رأيت من المكارم حسبكم ... أن تلبسوا خز الثياب وتشبعوا

وقال حسان بن ثابت

إني لأعجب من قول غررت به ... حلو يمد اليه السمع والبصر
لو تسمع المضم من ضم الجبال به ... طلت من الراسيات المضم تنحدر
كالخمر والشهد يجري فوق ظاهره ... وما لباطنه طعم ولا خبر
وكالسراب شبيها بالغدير وإن ... تبغ السراب فلا عين ولا أثر
لا ينت العشب عن برق وراعدة ... غراء ليس لها سيل ولا مطر

وقال آخر

رأيت أبا عثمان يبذل عرضه ... وحرث أبي عثمان في أحرز الحرز
يحن الى حاراته بعد شسعه ... وحاراته عرني تحن إلى الحمر

وقال آخر

ما كنت أحسب أن الحرز فاكهة ... حتى نزلت على أوفى بن منصور
الحابس الروث في أعفاج بعلته ... حوفا على الحب من لقط العصافير

وقال آخر

والك ذوبة حرط القتاد ... وحرك كالتزيد في المداد
ترى الإصلاح صومك لا لنسك ... وكثر الحمر من عمل المداد

أرى عمرَ الرغيفِ يطولُ حدًّا ... لديكَ كأنهُ من قومِ عادِ

وقال آخر

اللؤمُ مسكٌ على الطعامِ طباعُ ... فمالُ بيتكَ ما حييتَ حياعُ
وإذا يمرُّ ببابِ دارك سائلٌ ... حمّاتَ عليهِ نوابحٌ وسباعُ
وعلى رعيلكَ حيةٌ مسمومةٌ ... وعلى حوانيك عقربٌ وشجاعُ

وقال آخر

يا تاركَ البيتِ على الضيفِ ... وهارباً عنهُ منَ الخوفِ
ضيفك قد جاء بخيرٍ لهُ ... فارجعْ وكُنْ ضيفاً على الضيفِ
إذا شتا الضيفُ طبيخ الشتا ... أتاهُ بالشهوةِ في الصيفِ
وإنْ دنا المسكينُ من بابهِ ... شدَّ على المسكينِ بالسيفِ

وقال آخر

أرى صنفكَ بالدارِ ... وكربَ الجوعِ يخشاهُ
على خيرِك مكتوبٌ ... سيكفيكمْ اللهُ

وقال آخر

لأبي نوحٍ رغيفٌ ... أبدا في خيرِ دايه
أبدا يمسحهُ الدهـ ... ـرُ بكمٍّ ووقايه
وإذا كانَ بيتٍ ... حطَّ فيهِ بعبايه
سيكفيكمْ اللهُ ... إلى آخرِ الآيه

وقال آخر

الحُزْنُ يُبْطِي حينَ يَدْعوهِ ... كأَنَّهُ يَقْدُمُ مِنْ قافِ
ويَمْدَحُ المِلْحَ لأَصْحابِهِ ... يَقُولُ هذا مِلْحُ سِيرافِ
سِيَّانِ أَكْلُ الخُبْزِ فِي دارِهِ ... وقَلْعُ عَيْنَيْهِ بِخَطَّافِ

وقال آخر

فتىً لا يُغارُ على عِرْسِهِ ... ولكنْ يُغارُ على خُبْزِهِ
فمِنْهُ يَذُلُّ الجودِ مَقْوصَةٌ ... وكَفُّ السَّماحةِ فِي عَجْزِهِ

وقال آخر

يَصُونُونَ أَثْوابَهُمْ فِي البُيُوتِ ... وأَرْواحَهُمْ نَذْلَةٌ فِي السِّكَكْ
يَبِيعُونَ مَنْ رامَ رُعْفانَهُمْ ... ويَذْبُونَ مَنْ رامَ حَلَّ التِّكَكْ

وقال آخر

أَمَّا الرَّغِيفُ عَلَى الخِوَا ... نِ فَمِنْ حَمامَاتِ الحَرَمْ
مَا إِنْ يُحَسُّ ولا يُمَـ ... ـسُّ ولا يُذاقُ ولا يُشَمْ
مِنْ رَاهُ أَحْضَرَ يَابِساً ... بَاقِي القُرُوشِ مِنَ البُرَمْ

وقال آخر

أَتَيْنَا أَبَا طَاهِرٍ مُفْطِرِينَ ... إِلَى دَارِهِ فَرَحِمْنَا صِيَامَا
وَجَاءَ بِخُبْزٍ لَهُ حَابِسٍ ... فَفَاتَ دُعَوْهُ وَتَوْكِرَمَا

وقال آخر

يَحُلُّ بِمَاءٍ وَفُوهُ ... مُعَصَّبٌ فِي وَسَطِ لَبْنِ
تَحَاوَلَا لَا يَطْمَعُ فِي حَبَرٍ ... وَلَوْ سَمِعَ حَبَرَ

ذكر حديثه بن محمد طائي قال ... رشيد ملاحم من ... ملاء

نواس فى الحمام

وما رَوَّحْنَا لِتَذُبَّ عنَّا ... ولكن خِفْتَ مَرْزِئَةَ الذُّبابِ

شَرابُكَ كالسَّرابِ إذا التَقَينا ... وخبرُكَ عندَ مُنْقَطَعِ التُّرابِ

وقال آخر

خانَ عَهْدِى عَمْرٌو وما خُنْتُ عَهْدَه ... وجَفانى وما تَعَيَّرْتُ نَعْدَه

لَيْسَ لي ما حَيِيتُ ذَنْبٌ إليهِ ... غيرَ أنّى يوماً تَغَدَّيتُ عِنْدَه

وقال الخليل بن احمد العروضي الأزدى

فكَمَاهُ لمْ تُخلَقا للنَّدى ... ولمْ يَكُ بُخْلُهما بِدْعَه

فكفٌّ على الحبزِ مقوصةٌ ... كما نَقَصَتْ مِائةٌ تِسْعَه

وكفٌّ ثلاثةُ آلافِها ... وتِسعٌ مَشِيبُها الهاشِرْعَه[1]

وقال ابن أبي العل

وكُلُّ مَنْ أَحْتَدِيهِ في نَدًى ... أَدْوَمُ مِمَّا لَدَيهِ فى صَمَد

يَعْقِدْ لى باليسارِ أربَعَةً ... مَقْوصَةً تِسْعَةً إلى العَدَد

وقال آخر

أَبَيْتَ أبا عَمْرٍو أُرَجِّي نَوَالَهُ ... فراد أبو عَمْرٍ على حَزْنِي حُزْنا

فكُنْتُ كَباغِي الخيرِ لَمَّا أَدْنِهُ ... فآبَ بلا أَدْنٍ ولم تَسْتَفِدْ قَرْنا

(١) [illegible] ذكر حمد بن محمد الخطابى فى كتابه الحامد فى الله [illegible] وعلى هذا أولوا قول الخليل رحمه الله مكفف وكذا [illegible] ولا أرى أن يكون [illegible] هاهنا دنيا وسمه قال [illegible]

محاسن الشجاعة

قيل ،، كان باليمامة رجل من بني حنيفة يقال له حمحدر بن مالك وكان فتىً فاتكاً شجاعاً شاعراً وكان قد أمرّ على أهل هجر وناحيتها فبلغ ذلك الحجاج بن يوسف فكتب الى عامل اليمامة يوبّخه ويلاعب حمحدر به ويأمره بالتجرد في طلبه حتى يظفر به فبعث العامل الى فتية من بني يربوع بن حنظلة فجعل لهم جعلا عظيما ان هم قتلوا حمحدراً أو أتوه به أسيراً ووعدهم أن يوفدهم الى الحجاج ويسمي فرائضهم فخرج الفتية في طلبه حتى اذا كانوا قريباً منه انتشوا اليه رجلا منهم يريه أنهم يريدون الانقطاع اليه والتحرم به فوثق بهم واطمأن اليهم فبينما هم على ذلك اذ شدوه وثاقاً وقدموا به الى العامل فبعث به معهم الى الحجاج وكتب يثني على الفتية فلما قدموا على الحجاج قال له أنت حمحدر ؟ قال نعم ، قال ما حملك على ما نعى عنك ؟ قال : جراءة الجنان وجفوة السلطان وكلب الزمان قال فما الذي بلغ من أمرك فيحترس منك ويصلك بسلطانك ولا كلب زمانك ؟ قال لو بلاني الأمير لوجدني من صالحي الاعوان ومنهم الفرسان ومن أوفى على أهل الزمان ، قال الحجاج إنا قد عفونا عن قتلك فما أنت قائل ؟ قال مؤونتك وان قتلته حاجتك ويسارك قال قد أعجبت صاحبك الأمنة فاعجل به وقرّب فتية فضربوه بسيوفهم حتى برد ، ثم ألقي في السجن وكتب الى عامله يأمره أن يعيد له جسداً صالحاً فلما بلغت العامل أن بعث اليه بالجسد ضرب قد أمرّ على أهل تلك الناحية وسعى عامة من عنده ومسح دوابهم فجعل منهم وحمد في ناحية ثم مرّ على نحو منه وقدموا به على الحجاج ثم ولي في حين وأحيى الرابع ثم بعث الى حمحدر فخرج وأعطى سيفاً وقال لي عليه فمشى الى الناس وأنشأ يقول

ليت ولت وما كان صنعك ... كلاهما دون ما رموك

وصولة في نطفة وسناك ... ما يكسب الفتيان ذاك

وتطعن شيخاً وابن أروك ... وهو أحق منك بالطعان

الذِّئْبُ يَعْوِي والغُرَابُ يَبْكِي

حتى اذا كان منه على قدر رمح تَعَلَّى الأسد ورأر وحمل عليه فتلقاه حجدر بالسيف فضرب هامته فطلقها وسقط الأسد كأنه حيمه قوّضتها الريح فانثنى حجدر وقد تاطّح بدمه لشدة حملة الأسد عليه فكبر الناس ، فقال الحجاج يا حجدر ان أحببت أن أطلق سلاحك وأحسن صحبتك وجائزتك فعلت بك وان أحببت أن تقيم عندنا أقمت فأسسنا فرسنك . قال : أختار صحبة الأمير فعرض له وجماعة أهل بيته .. وأنشأ حجدر يقول

يا جَمْلُ إنَّكِ لو رأيتِ نَسائي ... في يَوْمِ هَيْجٍ مُرْدِفٍ وعَجاجِ
وتقدَّمي للَّيثِ أَرْسُفُ مَحوَهُ ... حتَّى أُكابِدَهُ على الإحراجِ
جَهْمٌ كأنَّ حَنِينَهُ لمَّا بَدَا ... طَلَقُ الرِّحا مُتَمَجِّرُ الأَثْباجِ
يَزْنو بناظِرَتَيْنِ تَحْسَبُ فيهما ... مِنْ طَنِّ حالِهِما شُعاعُ سِراجِ
شَثْنٌ بَراسِنُهُ كأنَّ نُبُوبَهُ ... رَزَقُ المَعاوِلِ أو شَذَاةُ رِماحِ
وكأنَّما حِيطَتْ عليهِ عِمامَةٌ ... رَقْماءُ أو حَقٌّ مِنَ الدِّيباجِ
قَرْنانِ مُخْتَصِرانِ قد رَنَّتْهُما ... أُمُّ المَنِيَّةِ عِيرُ ذاتِ نِتاجِ
وعَلِمْتُ أنِّي إنْ أُنِخْتُ بِرَالَةٍ ... أَمْ مِنْ لَحَاجِ لَسْتُ مِنْ لَحَّاجِ
فمَشَيْتُ أَرْسُفُ في الحَدِيدِ مُكَبَّلاً ... بالمَوْتِ يَمْشِي عِنْدَهُ أَتْباعي
والنَّاسُ مِنْهُ سامِتٌ وعَصابَةٌ ... عَبَرَتْهُمُ لي بالحُلُوقِ سَواحي
فعَلَمْتُ هامَتَهُ بِحَسْرٍ كُلُّهُ ... أَطْمٌ يَقُوصُ مَقاتِلَ الأَرْواحِ
ثمَّ انْتَسَبْتُ وفي القَمِيصِ شاهِدٌ ... مِمَّا جَرَى مِنْ شاحِبِ الأَوْداحِ
قُلْ لِلَّتي دُو حِمامِ ماجِدٍ ... مِنْ نَسْلِ أَمْلاكٍ دَوَى نُوَّاحِ

فلئن قذفتُ إلى المنية عامدًا إني لخيرك بعدَ ذلك راجي

علمَ النساء بأنني لا أنثني[1] إذ لا يتقنَ بميزةِ الأزواج .

وحكي عن الطفيل بن عامر العمري قال . خرجت ذات يوم أريد الغارة وكنت رجلا أحب الوحدة فبينا أنا أسير اذ ضللت الطريق الذي أريده فسرت أياماً لا أدري أين أتوجه حتى عمد وادي فجعلت آكل الحشيش وورق الشجر حتى أشرفت على الهلاك ويئست من الحياة فبينا أنا أسير اذ أبصرت قطيع غنم في ناحية من الطريق فمالت اليها واذا شاب حسن الوجه فصيح اللسان قال لي يا ابن العم أين تريد . فقلت أردت حاجة لي في بعض البلدان وما أظنني الا قد ضللت الطريق . فقال أجل ان بينك وبين الطريق مسيرة أيام فانزل حتى تستريح وانطلق وترتاح فرسك وبات فرسي لفرسي حشيشاً وجاء إليّ بشواء كثير وبنى لي كانون فسخن وأصبح بكر وجعل يكتب لي ويطعمني حتى اكتفيت فلما جنّ الليل قام وفرش لي وقال نم فهو فرشك فقلت أنا أنام وأدعك لعملك وارجع لشغلك فحلفت ووضعت رأسي فلما أن أتم الليل قال جارية لم تر عيناي مثلها قط حسناً وجمالا فصعدت الى السقف وجعل كل واحد منهما يشكو الي صاحبه ما يلقى من الوحدة ويمتنع علي النوم فلما كان في وقت السحر قامت الى مربطها فاذا صبيحا دوب فقال لها من رجل من فلان بن فلان . فالتفت لي فعرفته فقال له ويحك يا فلان قومه فاحلب هذه وصعد هذا في هذا المكان . فقال أنا عبد أسود كيف يصعد الى هذه التي رأيتها وكانت هي أيضاً لي وامها فشاع خبري في الناس فجعل كل واحد منهم يقول انا لي ولك ما رأى شيئاً وما هي الا ساعة حتى سمعت الناس من كل ناحية يقولون هذا الطفيل وعمت بكرة الصيحة وكثر صراخهم فقد ضاع منهم فقال لا حاجة لي في بركات تجلب علينا الشر من حيث لا نعلم فرحلا عن تلك الناحية وسار شهرين حتى بلغ بلاد

[1] ـ [illegible]

فصاقت علىّ الدنيا برحبها وخرجت فى أثرها فلما رأتنى فرحت فرحاً شديداً فقلت لها: لا تخبرى أحداً انى سلكت سبيل ثم أتيت زوجها وقلت انا رجل من الأزد أصبت دماً وانا خائف وقد قصدتك لما أعرف من رغبتك فى اصطناع المعروف ولى نصر بالعم ان رأيت أن تعطينى من غنمك شيئاً فاكون فى جوارك وكنفك ففعل . قال : ثم وكرامة فاعطانى مائة شاة وقال لى لا تبعد بها من الحى وكانت ابنة عمى تخرج إلىّ كل ليلة فى الوقت الذى رأيت وتنصرف فلما رأى حسن حال العم أعطانى هذه فرضيت من الدنيا بما ترى . قال فاقمت عنده أياما فبينا انا نائم اذ سمعت وقال يا أحا بنى عامر . قلت له . ما شأنك . قال ان ابنة عمى قد أبطأت ولم تكن هذه عادتها ووالله ما أطن ذلك إلا لأمر حادث فحدثنى . فحمات أحدثه .. فانشأ يقول

ما بالُ مَيَّةَ لا تأتى كعادتِها ... هل هاجها طَرَبٌ أو صدَّها شغلُ

لكنَّ قلبىَ لا يَعصيهِ غيرُكمُ ... حتى المماتِ ولا لى غيرَكمْ أملُ

لو تعلمينَ الذى بى من فراقِكمُ ... لَمَا اعتذرتِ ولا طابَ لكِ العِلَلُ

نفسى فداؤكِ قد أحللتِ بى حرقاً ... تكادُ من حرِّها الاحشاءُ تنفصلُ

لو كان عاديةٌ منهُ على جَبَلٍ ... لَزَلَّ واهبِطَ من أركانهِ الجَبَلُ

فوالله ما اكتحل بنومٍ حتى انفجر عمود الصبح وقام ومرّ نحو الحىّ فانطأعى ساعة ثم أقبل ومعه شىء وجعل يبكى عليه . فقلت له ما هذا . قال هذه ابنة عمى افترسها السبع فاكل بعضها ووضعها بالمرب منى فاوجع والله فى ثم تناول سيفه ومرّ نحو الحى فبطأ هنيهة ثم أقبل الىّ وعلى عاتقه ليث كأنه حمار فقلت له ما هذا . قال صاحبى . قلت وكيف علمته . قال انى قصدت الموضع الذى أصابها فيه وعلمت أنه يعود الى ما فعل بها فجئت قاصداً الى ذلك الموضع فعلمت انه هو فحملت عليه فقتلته ثم قد شعر فى الارض وهمى وأخرج ثوبا حديداً وقال يا أحا بنى عامر اذا انا مت فاحملنى فيها فى هذا الثوب ثم . هذا فى هذه الحفرة وهيل التراب واكتب هذين

البيتين على قبرها وعليك السلام

كُنَّا على ظَهرِها والعيشُ في مَهلٍ ... والدَّهرُ يَجمعُنا والدَّارُ والوَطَنُ
فخانَنا الدَّهرُ في تفريقِ الفتَيا ... واليومَ يَجمعُنا في بَطنِها الكَفَنُ

ثم التفتَ الى الأسد وقال

أَلا أَيُّها اللَّيثُ المُدِلُّ بنفسه ... هَبِلتَ لقد جرَّتْ يداكَ لنا حُزْنا
وغادَرْتني فَرْداً وقد كُنتُ آلِفاً ... وصيَّرْتَ آفاقَ البلادِ لنا سِجْنا
أأَصحبُ دَهراً حاتِمَ بنَ عبدِ الله ... معاذَ إلهي أَنْ أَكونَ له خِدْنا

ثم قال : يا أحمد بن عامر اذا فرغت من شأنها فصح في أذن عبده لعله يردّها الى صاحبها ثم قام الى شجرة فاحتش حتى مات فغمته درحتها في ذلك الثوب ووضعتها في تلك الحفرة وكنت البيتين على قبرها ورددت العم الى صاحبها وسألى القوم فأخبرتهم الخبر فخرج جماعة منهم فقالوا والله لنحرقن عليه بعظمانه فخرجوا وأخرجوا مائة ناقة وتسامع الناس فاجتمعوا اليها فنحرت ثلاثمائة ناقة ثم انصرفوا .. وقيل انه كان من أمر عبد الرحمن بن الأشعث الكندي ما كان قال الحجاج اطلبوا لي شهاب بن حرقة السعدي في الأسرى أو القتلى فطلبوه فوجدوه في الأسرى فلما دخل على الحجاج قال له ما قال انا شهاب بن حرقة قال والله لأقتلنك ولم يكن للأمير بد من قتلي قال وما قال لأن في حصالا يرغب فيهن الأمير قال وما هن قال سخاء بالنفس وجود بالمكنة أحمى الجار وأذب عن الدمار واجود على العسر واليسر وعفو عن الذنب قال احتجم ما احسن هذه الخصال فاخبرني أشد شيء مر عالك قال لم صاح بك لأم

يا ذا الأسر * ومركبي وثير ... في عسكر قوي * في أين هوى
يصبو كالأجدل * والطير كاللوذ ... ما يتقي فيه * في كل ذا أسبه
فمرت حسرة عود * وهدر حبس وا ... حتى فرت ريش * ه
ن ذا السحرين * عن هوى ... الجهير * حبس
حتى ذا كان الجر * من ... د * ه

موقـرة متـاعا * مقبـلة سراعا فصلت بالسـلام * مع سـادة فتيان
فسقتهـا جميعـا * أحثهـا سريعا أريد رمل عالج * أمنح بالمناحيح
أسير في الليالي * حرقاً بعيداً حالي وقد لقيـا تعبا * وبعد ذاك نصبا
حتى اذا هبطنا * من بعد ما صعدنا عنت لنا بغدانه * قد كان فيها عانه
رميتها بقوسي * في مهمه كالورس حتى اذا ما أمعنت * بالعفر ثم درمت
وردت قصراً سهلا * في حوفه طعام حلا وعنده حُييمه * في حوفها نعيمه
عريره كالشمس * فاقت جميع الأنس فصحت مهري عندها * حتى وقفت معها
حييت ثم ردّت * لي أعصب وحيّت فقلت يا لعـوب * والعلعلة العروب
هل عندكم قراه * إذ نحن بالعراء قالت نعم ترحب * في ثلثي وقرب
أربع هنا عتيدا * ولا تكن بعيـدا حتى يجيئك عامر * مثل الهلال زاهر
فصحت عن قرب * في ناعس الكثيب حتى رأيت عامرا * يحمل ليثاً حادرا
على عـاتق سـبنح * كمثل طود اللاعج

قال وكان الحجاج متكئاً فاستوى جالساً ثم قال . ويحك دعامي السجع والرجز وحدثني الحديث . قال . نعم أيها الأمير ثم قال فربط فرسه وجمع حجارة وأوقد عليها ناراً وشقّ عن بطن الأسد وألقى مرارته في النار فصاحت أصابع الله الأمير أسمع لحم الأسد نضيجاً فقالت له حيمه قد جاءك نصيبك وأنت في الصيد . قال فافعل . قال ها هو ذا بين الكلب والحيمه فأومأت لي فأتيتها فاذا أنا بغلام أمرد كأن وجهه دارة القمر فرمى لي بعض فرسه ودعاني الى طعامه فلم أمتنع من أكل ثم أمسك عن الطعام وكان أدنى حيمة منه فجعل يقطع لي آخره ثم مال الى [illegible] حتى أتى على آخره فبينما نحن كذلك [illegible] وثب الى فرسه وركب فرسي وتناولت رمحي وصرت معهم [illegible] فقال [illegible] فقال [illegible] فقال ثم قال يا غلام هل لكم في [illegible] فقال [illegible] من أين فلست

أقاتل من لا أعرفه ولا أقاتل الا كمؤاً أعرفه . فقال . أنا عاصم بن كلسة السعدي فشدّ عليه .. وأنشأ يقول

إنّك يا عاصمُ بي لجاهـل ... إذْ رُمْتَ أمرًا أنت عنهُ ناكل
إني كميٌّ في الحروبِ باسلْ ... ليثٌ إذا اصطكّ اللّيوثُ نازل
صرّاتُ هاماتِ العدى منازل ... قتّالُ أقرانِ الوغا مقاتل

ثم طعنه فقتله وقال يا فتيان هل لكم في العافية والا فارس وفارس فتقدم اليه آخر من أصحابه فقال له الغلام من أنت . فقال أنا صابر بن حرقة . فشد عليه وأنشأ يقول

إنك والإلهِ لستَ صابرا ... على سيانِ يطلبُ المقادِر
ومصلٍ مثلَ السّهاب ماترا ... في كفّ قرمٍ يمنعُ الحرائرا
إني إذا رُمتُ امرأً فآسرا ... يكونُ قرني في الحروبِ ناترا

ثم طعنه فقتله وقال يا فتيان هل لكم في العافية والا فارس لنارس فلما رأت سبت هاي أمره وأسقط على أصحابه فقالت احملوا عليه حملة رجل واحد فعند ذلك قال يقول

لأن صبرت لموت تحت صا ... رمة تطلبون رحمة كما

ولا أريد بعدها حياة

فركب بعيدة فرسها وأخذت رمحه وقاتل بحالده وبعيده حتى قتل من عشرين رجلا فصاح في أصحابه فقالت يا غلام قد قتلت العدة الوافرة فقال ما كان أحسن هذا لو كان أولا وآخرا ولكن ثم قال يا عامر بن حرقة اعلم أني وهذه التي وحش في هذه الفيافي مسيرة شهر وشهر ومعي من الزاد ما يكفينا فقال من أين صاحبكم قد حسرت عنه وجوه الناس فقال أين سيركم قال نحو أرض الحجاز فقال كل ما معه ومن قاتل معي منكم

الابل موقرة متاعاً فحد منها حاجتك فقال لا أرب لي فيها ولو أردت ذلك لكنت اقدر عليه فارتحلنا عنه مصرفين . فقال الحجاج الآن يا عدوّ الله طاب قتالك لمدرك بالمتى قال كان حروجي على الامير اصلحه الله اعظم من ذلك فان عفى عني الامير رجوت أن لا يؤاخذني بسره فأطلقه ووصله ورده الى بلده

﴿ ضدّه ﴾

قال دخل ابو رشيد الطائي على عثمان بن عفان في خلافه وكان بصراً فقال له بلغني انك تجيد وصف الأسد . فقال له لقد رأيت منه منظراً وشهدت منه محراً لا يزال ذكره يتجدد على فمي . قال هات ما مرّ على رأسك منه . قال خرجت يا أمير المؤمنين في سيّارة من اعراب قبائل العرب ذوي شارة حسنة ترتمي بنا المهارى ناكساتها القرواسيات ومعنا النعال عليها العبيد يقودون عاتق الخيل يريد الحارث بن أبي شمر الغسّاني ملك الشام فاخرونّا بالمسرى حمارّ القيظ حتى اذا عصف الأفوار ودنت الشمس وشالت المياه وادكّ الحوراء المعراء ودنا الصيخد وصرّ الجندب وسايق العصفور العصب في وجاره قال قائلنا انها الركب عوّروا بنا في دوح هذا الوادي فاذا واد كثير الدغل دائم الظل شجر قد معّة وأطياره مرنّة فحططنا رحالنا بأصول دوحات كهيلات فاصبنا من فضلات المزاود واسعفنا بالماء البارد فأنا انصف حرّ يومنا ومماطلته وطاولته إذ صرّ أقصى الحلل أذنيه وخفض الأرض بيديه ثم مالت أن حال فحمحم ومال فهمهم ثم فعل فعله الذي ليه واحد بعد واحد فضضت الحلل وتكعكعت الابل وتقهقرت الحلل في مثل شكاله و هض بعقاله فعلمنا أن قد ايسنا وانه السبع لا شكّ فيه فقرع كل امرئ منا إلى سيفه واسبه من حرّتاه ثم وقف له ورد فاقبل يتطالع في مشيه كأنه محبوب او في شجر لسدره حيص والاعين عطيط ولفارقه وميض ولأرساغه نهض كأنما تخبط هشيما او عنّ صريماً واد هامة كالحجّ وحدّ كالمسّ وعينان كجمرتين كأنهما سراجا هدان وقسرة رئبال وظهر مه رهله وكتد معد وورو ممرط وساعد مجدول وعضد مفتول وكعب مثل الراس الى محالب كالمخاض ثم صرب

بدنه فارهج وكسر فافرح عن أبيات كالمعاول معقولة غير معلولة وهم أشدق كالدار الأحمق ثم تمطى فأسرع يديه وحمر وركبه رجليه حتى صار طلّه مثليه ثم أقعى فاقشعرّ ثم مل فاكفهرّ ثم تجهّم فارمأرّ فلا والذي بيته في السماء ما اتقياه مأول من أح لنا من ذي فراره كان صحم الحراره فوهصه بـ أقعصه فقصقص متنه وهقر بطنه فجعل يلغ في دمه فما مرت أصحابي بعد لأي ما استعدموا فكرّ مقشعرّ الزبرة كأنّ به شيهماً حولياً فاختاج من دوني رحلا أمحردا حوليا فمضه بضعة فترايات أوصاله وانقطعت أوداجه ثم بهم فهرّ ثم دفر وزبر ثم رأر شرحر ثم لحظ فوالله لحات البرق يتطاير من تحت حنوه عن مثاله وعنه فارتعشت الأيدي واضطكت الأرجل وأطلت الأصلاع فارتجت الأسماع وحنّ الحي العيون وبحر اللون ولحف الظهور المتون ثم ساءت الصدور ... النفوس

عبوس سموس مصلخد حماس ... حرى على الأروح للقرن قاهر

مسيع ويحمى كلّ واد يرومه ... شديد أصول الماصعين مكابر

رائه ستن وعيناه في الدجى ... كجمر المصافي وجهه الشرّ ظاهر

[illegible] ... إذا قلص الأسداق عنه حناجر

[illegible]

نسوة من العرب لم يكن لهن رجل فتزوجت واحدة منهن رجلا كان يقام الى الصحى فاذا انتبه صرسه وقال له قم فاصطلح ويقول لو لعادية تهتدى — أى جيل عادية عليكن معيرة فادفعها عنكن — فلما رأين ذلك فرحن وقلن ان صاحبنا لشجاع ثم أقبلن وقلن تعالين نحرضه فأتينه كلهن يأتينه فأيقظنه فقال لو لعادية تهتدى . فقلن له نواصي الخيل معك . فجعل يقول الخيل الخيل ويصرط حتى مات فضرب به المثل .. وقيل لحسان انهزمت فقصب الأمير عليك . قال . يقصب الأمير وأنا حي أحب إلى من أن يرضى وانا ميت وقيل لبعض الحمقاء مالك لا تغزو . قال . والله اني لأكره الموت على فراشي فكيف أمره اليه زحفاً .. قال وقال الحجاج لحميد الارقط وقد أنشده قصيدة يصف فيها الحرب يا حميد هل قاتلت قط . قال لا أيها الأمير إلا في اليوم . قال وكيف كانت وقعتك . قال انتهت وأنا منهزم .. ومما قيل في ذلك من الشعر

طَلَّتْ تُشَجِّعُنِي هِنْدٌ بِتَضْلِيلِ ... وَلِلشَّجَاعَةِ حَظٌّ غَيْرُ مَجْهُولِ

هَاتِي شُجَاعاً لِغَيْرِ القَتْلِ مَصْرَعُهُ ... أَوْحِدْكِ أَلْأَمَ حَانٍ غَيْرِ مَقْتُولِ

الحَرْبُ تُوسِعُ مَنْ يَصْلَى بِهَا حَرَباً ... يُتْمَ العِيَالِ وَإِسْكَالَ المَثَاكِيلِ

اسْمُ الوَغَى اشْتُقَّ مِنْ وَعْوَاءِ يَحْزِبُهَا ... يَعْدُونَ لِلمَوْتِ كَالطَّيْرِ الأَبَابِيلِ

وَاللهِ لَوْ أَنَّ حِزْبِلاً تَكَفَّلَ لِي ... بِالنَّصْرِ مَا خَاطَرَتْ نَفْسِي لِحِزْبِيلِ

هَلْ غَيْرَ أَنْ يَعْذِرُونِي أَنَّنِي فَشِلٌ ... فَكُلُّ هَذَا نَعَمْ فَاعْرِفْ وَتَعْذِيلِي

إِنْ أَعْذِرِ مِنْ فِرَارِي فِي الوَغَى أَبَدَاً ... كَانَ اعْتِذَارِي رَدَى دَاعٍ يَقُولُ

إِسْمَعْ أُحَيِّرْكَ عَنْ نَأْيِي بِذِي سَلَمٍ ... حَلَّافٍ بَأْسِ المَسَاعِيرِ البَهَالِيلِ

أَمَّا تَذُدْ مِنْهُمُ شَوْسٌ عَسُودُ بِهِ ... سَمَّاءُ تَسْرُعُ فِي عَرْضِي وَفِي طُولِي

فقلت ويحكم لا ترهبوا جلدي ... زغبي كسير وسيفي غير مصقول

لما اتقيتهم طوعا بذات يدي ... وانصعت أطوي الفلا ميلا إلى ميل

الله خلصني منهم وفلسفتي ... حتى تخلصت غضوب السراويل

وقال آخر

أضحت تشجعني هند فقلت لها ... إن الشجاعة مقرون بها العطب

لا والذي حجت الأنصار كعبته ... ما يشتهي الموت عندي من له أرب

للحرب قوم أضل الله سعيهم ... إذا دعتهم إلى حوماتها وثبوا

ولست منهم ولا أهوى فعالهم ... لا القتل يعجبني منهم ولا السلب

وقال آخر

يقول لي الأمير بغير جرم ... تقدم حين حل بنا المراس

فما لي إن أطعتك في حياة ... ولا لي غير هذا الرأس راس

محاسن حب الوطن

قال عمر بن الخطاب لولا حب الوطن لخرب بلد السوء وكان [illegible]

الى أوطانها مشاقة والى مولدها توّاقه . وحدّثنا بعض بني هاشم قال قلت لاعرابي من اين اقبلت قال من هذه البادية قلت واين تسكن منها قال ما اقطع الحي حتى صرته ما بين لعمر الله أريد بها بدلا ولا اسعى عنها حولا حفّتها الفلوات فلا يعلو الى ماؤها ولا تحمى ترابها الشمس فيها أدى ولا قذى ولا دعك ولا موم ونحن نأوه عيش واوسع معيشه واسع نعمة قلت مما طعامكم قال لحم الطير والصيد والضباب والرايع مع القلائد والحيات ورعما والله أكلنا القدّ المشتويا الجلد فلا نعلم احداً أخصب منا عيشاً فالحمد لله على ما رزق من السعة وبسط من حسن الدعة . وقيل لاعرابي كيف تسمع بالباديه اذا اصعب النهار واسعل كل شيء طلا فقال وهل العيش إلّا ذلك يعني أحدنا ميلا فيعرض عرقاً كأنه الخال ثم يعصب عصاه ويلقي عليه كساءه وتهب الرياح من كل جانب فكأنه في روض كري وقال بعض الحكماء عسرك في البدو خير من يسرك في حضرك . وقيل لاعرابي ما الذي علمك الكفاية ولزوم الاوطان والخلوص مع الاخوان وقيل له الذي قلل التمثل في البداوة التنحي عن الاوطان . وقال بعض الأدباء العرب دثة وشيه قيل وقال الآخر لا يرضى من وطنه وكرله وسهله العربه ويتسهل وحزنه وشهب الحكماء العرب بالبهائم بالطير الذي كل اوبه فلا ترى ولا تحب عليه وكان يقال العرب من ربعه وسهله كالعرب الذي زايل ارضه وسهله فهو دائم لا يزول ابدا . وكان يقال لحلي عن مسقط رأسه كالعرب عن موطنه الذي هو لكل شيء مرتبة ولكل كأس قرعة ولكل رأس رعية . وحسن من سمات وصدق قول الله عزّ وجلّ ولو أن كتبنا عليهم اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم ولقد حسن من قال لولا خلال سنّها العرب لكان الموت بالعلل وقد تقدّم ذكر بعض ما يتعلق بهذا الباب في فصل تقدّم ذكره من هذا الكتاب وبالله التوفيق

حنانًا إلى أرض بها الحضرُ سارِي وحلَّتْ بها عني عقود التمائم
وألطف قوم بالمعى أهلُ أرضهِ وأرعاهمُ للعهد حين التقائه

وقال آخر

احنّ إلى أرض الحجازِ وحاجتي حمامٌ تنحّد دونها الطرفُ مصعدُ
وما اطربي من نحو نجد سماعي أجلْ لا ولكني على ذاك انفردُ
عسى كلّ يوم عثرة تمّ عبرة لعينك عني ماؤها يتحدّرُ
عسى لستريح القلب فإما تحدرُ حزين وإما نازحٌ يتذكرُ

وقال آخر

[illegible] شجب سنك من الهوى [illegible] الحبّ إلاّ للحبيب الأوّل
[illegible] مرّ في الأرض بالغه الفتى وحاسبه [illegible] لأوّل منزل

[illegible] في سرح قرأت على حاشية شعر وهو

[illegible] يحبّ [illegible] حرّه العريب
[illegible] تحبّ من [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

فلا تجزع فكلُّ فتىً سيأتي ... على حالاته سعةٌ وضيقُ

قال ووجدت على حائط بات مكتوباً

عليكَ سلامُ اللهِ يا خيرَ منزلٍ ... رحلنا وخلفناكَ غيرَ ذميمِ
فإنْ تكنِ الأيامُ فرّقنَ بيننا ... فما أحدٌ من ربيها بسليمِ

وقال آخر

وإنّ اغترابَ المرءِ من غيرِ حاجةٍ ... ولا فاقةٍ يسمو لها لعجيبُ
فحسبُ امرئٍ ذُلاً ولو أدركَ الغنى ... ونالَ ثراءً أنْ يُقالَ غريبُ

وقال آخر

إنّ الغريبَ وإنْ يكنْ في غبطةٍ ... لمعذّبٌ وفؤادُهُ محزونُ
ومتى يكونُ معَ التغرّبِ عاشقاً ... ومفارقاً يا ربِّ كيفَ يكونُ

وقال آخر

إنّ الغريبَ دليلٌ أينَ ما سلكا ... لو أنّه ملكٌ كلَّ الورى ملكا
إذا تغنّى حمامُ الأيكِ في غصنٍ ... حنّ الغريبُ إلى أوطانهِ فبكى

وقال آخر

سلِ اللهَ الإيابَ منَ المغيبِ ... فكم قد ردّ مثلكَ من غريبِ
وسلِّ الحزنَ منكَ بحسنِ ظنٍّ ... ولا تيأسْ من الفرجِ القريبِ

وقال آخر

تصبّرْ ولا تعجلْ وقيتَ من الردى ... لعلّ إيابَ الطاعنينَ قريبُ
فقلتُ وفي قلبي حوى لفراقها ... ألا لا تصبّرني فلستُ أجيبُ

وقال آخر

أعاذِلَ حبي للغريبِ سَجِيَّةٌ وكُلُّ غريبٍ للغريبِ حَبيبُ .
لَئن قلتُ لم أحزَنْ من البينِ إنْ مَضَوا لطيَّتِهم إني إذاً لَكذُوبُ
بلى غُرَّاتُ الشوقِ أصرمتِ الحشا فما ضَنَّتْ لها من مُقلَتَيَّ غُروبُ

وقال آخر

إذا اغتَرَبَ الكريمُ رأى أُموراً مُحلَّلةً يَشيبُ لها الوليدُ

وقال آخر

ما كنتُ أحسِبُ أن يكو نَ كذا تمرُّ فنا سريعا
نحل الزمانُ عليَّ أنـ ـنَتقي كما كُنَّا جميعا
فأحلَّني بِفِي بَلْدَةٍ وأحلَّكَ البلدَ الشَّسيعا
قد كنتُ أنتظرُ الوِصا لَ فصِرتُ أنتظرُ الرُّجوعا

وقال آخر

نسيمُ الخزامى والرِّياحُ التي حرَتْ بنجد على نجدٍ تُذكِّرني نجدا
أتاني نسيمُ السِّدرِ طيباً إلى الحِمَى فذكَّرني نجدا فقطَّعني وَجْدا

وفي معناه (الدعاء للمسافر) ناعم ضائع واسرّ طائر .. ولا كان لك مرك ولا اشتّ لك مسعى ولا تعذّر عليك مطلب .. سهل الله لك السير وأنالك القصد وطوى لك البعد يسرة العمر وكرامة المدخر .. على العثار اليمون والكوكب السعد لي حيث تعاصرا دي الحوادث عنك وتتعاص بوائب الأيام دون سهولة مطلب ونجاح مسعى .. كان الله لك في سفرك جميعاً وفي حضرك صهراً نسي نجيح وأوسع سرح .. ألقى الله عليك وهدأ لك رجاك وسرّ أوبتك أهلك ولا زالت آمالك مقيمة وعلى سعد حظوظ

مطلب وأسر منقلب وأكرم مدأة واحمد عاقبة .. اشخص مصحوبا بالسلامة والكلاءة آتياً بالنجح والغبطة محوطاً فيما تطالعه بالعناية والشفقة .. في ودائع الله وكنفه وجواره وستره وأمانه وحفظه وذمامه .. وقال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم اني أريد سفراً ، فقال : في كنف الله وستره وزودك الله التقوى ووجهك الى الخير حيث ما كنت أستخلف الله فيك وأستحلفه منك .. وقال الشاعر

في كنفِ اللهِ وفي سترِه ... مَنْ لَيْسَ يَخلُو القلبُ مِنْ ذِكْرِه

وقال آخر

إرحَلْ أَنا نشرٍ بأَيْمَنِ طائرٍ ... وعلى السَّعادَةِ والسَّلامَةِ قافِلِ

﴿ ضده ﴾

قال بعض حكماء الفلاسفة اطلبوا الرزق في البعد فانكم ان لم تكسبوا مالا غنم عقلا كثيراً .. وقال آخر لا يألف الوطن الا سيق العطن .. وقيل لاتوحشك الغربة اذا آنستك النعمة ، وقيل الفقير في الأهل مصروم والغني في الغربة موصول .. وقال لا تستوحش من الغربة اذا أنستَ مصروما .. وقيل أوحشْ قومك ما كان في إيحاشهم أنسك واهجر وطنك ما متّعه سكنك ، وانشد

لايمنعنّكَ حفضُ العيشِ في دَعَةٍ ... نزوعُ نفسٍ إلى أهلٍ وأوطانِ

تلقى بكلِّ بلادٍ إنْ حللتَ بها ... أهلاً بأهلٍ وجيراناً بجيرانِ

وقال آخر

بتَتْ لكَ الدّارُ غيرَ آمنةٍ ... فالمشي حيثُ انتفى دارُ

وفي معناه (الدعاء على المسافر) بالبارح الأسأم والساغ الأعصب والعرد الأكمد والسفر الأبعد .. لاانتشرت به مطيته ولا استقامت به أمنيته ولا تراحت ميته .. بحس مستمر وعيش مرّ .. لا قرى اذا استضاف ولا أمن اذا خاف .. ويقال ان علياً عليه

السلام لما اتصل به مسير معاوية قال لا أرشد الله قائده ولا أسعد رائده ولا اصاب عيناً ولا سار الا ريثاً ولا رافق الا ليثاً اسعده الله واسحقه واوقد على اثره واحرقه لا حط الله رحله ولا كشف محله ولا نشر به اهله لا ركن له مطلب ولا رحب له مذهب ولا نشر له مرام الا فرح الله له عمه ولا سرّي همه لا سقاه الله ماء ولا حلّ عقده ولا اورى زنده حمله الله سعر العراق وعصى الشقاق .. وانشد

بأنكدِ طائرٍ ولشرِّ حالِ ... لأبعدِ غايةٍ وأخسِّ حالِ
بحدِّ السُّدِّ حيثُ يكونُ منّي ... كما بين الجنوب إلى الشمال
غريباً تمتطي قدميكَ ذعراً ... على خوفٍ تحنّ إلى العيال

وقال آخر

إذا استقلّتْ بك الرِّكابُ ... فحيثُ لا درّتِ السحابُ
وحيثُ لا تنتمي فلاحاً ... وحيثُ لا يرتجى إيابُ
وحيثُ ما دُرْتَ فيهِ يوماً ... قابلكَ الدّئبُ والغرابُ

وقال آخر

فسر بالنحوس إلى بلدة ... تعمّرْ فيها ولا تروقْ
ولا تزرع الارضَ من زهرةٍ ... ولا يثمرُ الشجرُ المورقْ
تمسُ البحارُ بها مرّةً ... وتكدي السحابُ بها المغدقْ

وقال آخر

أذى خصالكَ الهند والصين ... وكل حسنٍ لك مقرون
حيث لا يأنس مستوحش ... وحيث لا يفرح محزون
تهوى بك الأرضُ إلى بلده ... ليس بها منك ولا ضين

محاسن الدهاء والحيل

الهيثم بن الحسن بن عمار قال ،، قدم شيخ من خراعة أيام المختار فنزل على عبد الرحمن بن أبان الخراعي فلما رأى ما تصنع سوقة المختار من الإعظام جعل يقول يا عباد الله اما المختار يصنع هذا والله لقد رأيته يتتبع الإماء بالحجار فبلغ ذلك المختار فدعا به وقال ما هذا الذي بلغني عنك • قال . الباطل ، فأمر بضرب عنقه ، فقال لا والله لا تقدر على ذلك • قال ولِمَ • قال اما دون أن أنطر اليك وقد هدمتَ مدينة دمشق حجراً حجراً وقتلت المقاتلة وسبيت الذرّية ثم تصلبني على شجرة على نهر والله اني لأعرف الشجرة الساعة وأعرف شاطئ ذلك النهر فالتفت المختار الى أصحابه فقال لهم ان الرجل قد عرف الشجرة فحبس حتى اذا كان الليل بعث اليه فقال يا أخا خراعة أومراح عند القتل • قال اناشدك الله أن أقتل صباحا • قال• وماتطلب هنها • قال • أربعة آلاف درهم اقضي بها ديني • قال ادفعوها اليه وإيّاك أن تصبح بالكوفة فقصها وخرج عنه ،، قال كان سراقة البارقي من طرفاء أهل الكوفة فأسره رجل من أصحاب المختار فأتي به المختار فقال له أسرك هذا • قال سراقة كذب والله ما أسرني إلّا رجل عليه ثياب بيض على فرس أبلق • فقال المختار الا ان الرجل قد عاين الملائكة حلوا سبيله • فلما أفلت منه أنشأ يقول

أَلا أُبْلِغْ أَبَا إِسحاقَ أَنِّي ... رَأَيتُ البَلْقَ دُهْماً مُصْمَتاتِ

أُرِي عَيْنَيَّ ما لم تَرَأَيَاهُ ... كِلَانَا عالِمٌ بالتُّرَّهاتِ

كَفَرْتُ بِوَحيِكم وجَعَلْتُ نَذْراً ... عَلَيَّ قِتالَكُمْ حَتَّى المَماتِ

وعنه قال كان الأحوص بن جعفر المخزومي يتعدّى في دور اللحّ في يوم شديد البرد ومعه جمرة بن بيض وسراقة البارقي فلما كان على ظهر الكوفة وعليه الوبر والحر وعليهما الأطمار قال جمرة لسراقة . أن يذهب بنا في البرد ونحن في أطمار • قال .

سأكفيكه فيما هو يسير إذ دنا منهم راكب مقبل فحرك سراقة دابته نحوه وواقصه ساعة ولحق بالأحوص فقال له ما حملك الراكب . قال زعم ان خوارج خرجت بالقطقطانة . قال : بعيد . قال . ان الخوارج تسير في ليله ثلاثين فرسخا وأكثر . وكان الأحوص أحد الحساب فثنى رأس دابته وقال ردوا طعامنا سعدي في المنزل فلما حاذى منزله قال لأصحابه ادخلوا ومضى الي خالد بن عبد الله القسري فقال . خرجت خارجة بالقطقطانة . فنادى خالد في العسكر فجمعهم ووجه خيلا تركض نحو الماء لتعرف الخبر فعلموا أنه لا أصل للخبر . فقال للأحوص من أعلمك بهذا . قال سراقة . قال وأين هو . قال في منزلي . فأرسل اليه من أتاه به قال . أنت أخبرته عن الخارجة قال ما فعلت أصلح الله الأمير . قال له الأحوص أتكذبني بين يدي الأمير . قال خالد . ويحك أصدقني . قال نعم أخبرنا في هذا الرد وقد ظهر الجر والوبر ونحن في أطمارنا هذه فأحببت أن أردده فقال له خالد ويحك وهذا مما يتلاعب به .. وسراقة هذا هو القائل

قالوا سراقة عنين فقلت لهم ... الله يعلم أني غير عنين

فان ظننتم بي الشيء الذي زعموا ... فقربوني من بنت ابن ياسين

وذكروا . أن شبيب بن يزيد الخارجي مر بغلام مستلق في الفرات فقال له يا غلام اخرج الى أسألك فعرفه الغلام فقال له اني أخاف أن أقوم اراد خرجت حتى الس ثيابي . قال نعم . فخرج وقال والله لا ألتمس اليوم فصحك شبيب وقال خدعتني ورب الكعبة ووكل به رجلا من أصحابه يحفظه أن لا يصيبه أحد بمكروه .. قال وكان رجل من الخوارج يقول

فمنا يزيد والبطين وقعنب ... ومنا أمير المؤمنين شبيب

فسار البيت حتى سمعه عبد الملك بن مروان فأمر بضرب عنقه وهو في بيته . فقيل بين يديه قال أبيات الغائل * وهو أمير المؤمنين شبيب *

قال لا أقل هكذا . أمير المؤمنين اما قلت * وهو أمير المؤمنين شبيب *

فضحك عبد الملك وأمر بتحلية سبيله فتخلص بدهائه وفطنته لازالة الاضرار من الرفع الى المصب .. وزعموا أن عمرو بن معدى كرب هجم فى بعض غاراته على شاة حبلى منفردة وأخذها فلما أمعن بها بكت فقال . ما يبكيك ، قالت . أبكي لفراق سات عمي هنّ مثلي فى الجمال وأفضل مني خرجت معهن فانقطعنا عن الحي . قال . وأين هن ، قالت . خلف ذلك الجبل ووددت اذ أخذتني انك أخذتهن معي فامض الى الموضع الذى وصفته ، فمضى الي هنالك فما شعر شيء حتى هجم على فارس شاك فى السلاح فعرض عليه المصارعة فصرعه الفارس ثم عرض عليه صروبا من المناوشة فعله الفارس فى كلها فسأله عمرو عن اسمه فاذا هو ربيعة بن مكدّم الكناني فاستقد الجارية .. وعن عطاء ان محارق بن عمار ومعن بن رائدة تلقيا رجلا بلاد الشرك ومعه جارية لم يريا أحسن منها شانا وجمالا فصاحا به حلّ عنها ومعه قوس فرمى بها وهما الاقدام عليه ثم عاد ليرمي فانقطع وتره وسلم الجارية واسد فى جبل كان قريباً منه فاقتداه وأخذا الجارية وكان فى أذنها قرط فيه درّة فانتزعاه من أذنها فقالت وما قدر هذه لو رأيتما درّ بين معه فى قلنسوته وفى القلنسوة وتر قد أعدّه وبسيه من الدهن فلما سمع قول المرأة ذكر الوتر فأخذه وعقده فى قوسه فوليا ليس لهما همّة الّا النجاء وحليا عن الجارية . وعن الهيثم قال كان الحجاج حسوداً لا يتمّ له صنيعة حتى يفسدها فوجه عماره بن تميم اللخمي الي عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث فظفر به وصنع ما صنع ورجع الى الحجاج بالفتح ولم ير منه ما أحب وكره مسافرته وكان عاقلا رفيقاً بعمل يرفق به ويقول ايها الأمير أشرف العرب أنت من معرفته بحرف ومن وضعته اتضع وما يذكر ذلك لك مع رفعك وبلائك ومشورتك ورأيك وما كان هذا كله الا بصنع الله وتدبيره وليس أحد يشكر له ذلك مني ومن ان أشعث وما خطر بحق عزم الحجاج على المسير الي عبد الملك فاجتمع عماره ومعه وعمارة يومئذ على أهل فلسطين أمر فلم يزل يلطف بالحجاج فى مسيره ويعظمه حتى قدموا على عبد الملك فلما قام الخطباء بين يديه وأثنى على الحجاج قام عمارة فقال يا أمير المؤمنين سل الحجاج عن طاعتي ومناصحتي وبلائي قال الحجاج يا أمير المؤمنين صنع وصنع ومن نفسه وبحدته وعفافه كذا وكذا وهو أبغض الناس نفية

وأعلمهم بتدبير وسياسة ولم يُبقِ فى الثناء عليه غاية ، فقال عمارة : قد رضيت يا أمير المؤمنين ، قال نعم فرضى الله عنك حتى قالها ثلاثا فى كلها يقول قد رضيت . قال عمارة فلا رضى الله عن الحجاج يا أمير المؤمنين ولا حمله ولا عافاه فهو ، الله السوء التدبير الذي قد أفسد عليك أهل العراق والناس عليك وما أتيت إلا من قبله ومن قلة عقله وضعف رأيه وقلة نصره بالسياسة فلك والله أمثالها ان لم تعزله . فقال الحجاج مه يا عمارة . فقال لا مه ولا كرامة كل امرأة له طالق وكل مملوك له حرّ ان سار تحت راية الحجاج ابداً ، قال ابى أعلم أنه ما حرج هذا منك الا عن معتة ولك عندي العتبى وأرسل اليه ارجع اليه . فقال ما كنت أظن ان عقلك على هذا أرجع اليه بعد الذى كان من طعنى عليه وقولي عند أمير المؤمنين ما قلت فيه لا ولا كرامة

﴿ صـــدّه ﴾

قيل فى المثل ، هو أحمق من محل وهو محل بن لحيم ، وذلك انه قيل له ما سمّيت فرسك فقأ عينه وقال سميته الأعور فقال الشاعر فيه

رَمتنى بنو عِجْلٍ بداء أبيهمُ وأيُّ امرِئٍ فى النَّاس أحمقُ من عِجْلِ

أليسَ أبوهمْ عارَ عينَ حوَادِه فصارَتْ به الأمثالُ تضرَبُ فى المَثَلِ

وقيل هو أحمق من هسقة وبلغ من حمقه انه سلّم له بعير فجعل يمدي من وحد بعيرى فهو له ، فقيل له ويحَ تمشده قال وأين حلاوة الظفر والوجدان ، واجتمعت اليه الطغاوة وهو راسب في رجل ادّعى هؤلاء وهؤلاء فيه فقالوا قد رضينا بحكم أول طالع يطلع علينا فطلع عليهم هسقه فما رأوه قالوا انصرفوا فقد طلع علينا فلما دنا قصوا عليه القصة فقال هسقة احكم فى هذا بين ذهوبه فى نهر الصمة وثقوبه فيه فان كان راسباً رسب وان كان عسوماً عام وقال رجل لأعرابى أكون من أحد هذين الحيين ولا حاجة لي في المال وقيل هو أحمق من دُعَة وهى مدينة بمعج تزوّجت فى بنى العنبر وهي صغيرة فلما صرفها عجائز صنعن لها تزيد فخلا بها فرجت

تتزر فصاح الولد فجاءت معترفة فصاحت يا أماه هل يفتح الحمر فاه قالت نعم ويدعو أباه فسكت فو العمر بذلك فقيل هو الحمراء .. وقيل هو أحمق من باقل وكان اشترى عنزاً باحد عشر درهما فسئل كم اشتريت العنز ففتح كفيه وفرق أصابعه وأخرج لسانه يريد أحد عشر درهما فعيروه بذلك قال الشاعر

يلومونَ في حُمْقِهِ باقِلاً ... كأنَّ الحَماقةَ لمْ تُخْلَقِ
فلا تكثروا العَذْلَ في عيِّهِ ... فلَلصَّمْتُ أحْمَلُ بالأَموَقِ
خُروجُ اللِّسانِ وفَتْحُ النَّانِ ... أحَبُّ اليَّ مِنَ المَنْطِقِ

ومما قيل فيه أيضا من الشعر

يا ثابِتَ العَقْلِ كمْ عايَنْتَ ذا حُمُقٍ ... الرِّزْقُ أغْرَى بهِ مِنْ لازِمِ الحَرَبِ
فإنَّني واحِدٌ في النَّاسِ واحِدَةٌ ... الرِّزْقُ أروَعُ شيءٍ عنْ دَوِي الأَدَبِ
وخَصْلَةٌ ليسَ فيها مَنْ يُخالِفُني ... الرِّزْقُ والنولُ مَقْرونانِ في سَبَبِ

وقال آخر

أرى رَمَداً نَوْكاهُ أسعَدُ خَلْقِهِ ... على أنَّهُ يَشْقَى بهِ كلُّ عاقِلِ
عَلاهُ وَقَهُ رِحْلاهُ والرَّأسُ تَحْتَهُ ... فكَبَّ الأَعالي بارتِفاعِ الأَسافِلِ

وقال آخر

كمْ مِن قَوِيٍّ قَوِيٍّ في تَقَلُّبِهِ ... مُهَذَّبِ اللُّبِّ عنهُ الرِّزْقُ مُنْحَرِفُ
ومِنْ ضَعيفٍ ضَعيفِ العَقْلِ مُخْتَلِطٍ ... كأنَّهُ مِنْ حَلِيمِ البَحْرِ يَغْتَرِفُ

محاسن المحاضرة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . أنا سيد ولد آدم ولا فخر .. وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا ينشد بيتاً من شعر

إني امرؤٌ حِميَرِيٌّ حين تَنْسِبُني ... لا من رَبيعةَ آبائي ولا مُضَرِ

فقال له . ذلك الأم لك وأبعد عن الله ورسوله .. وقال بعضهم

إذا مُضَرُ الحَمْرَاءُ كانتْ أُرُومَتي ... وقامَ بنصْرِي خارِمٌ وابنُ خارِمِ

عطَسْتُ بأنفٍ شامِخٍ وتناوَلَتْ ... يَدايَ الثُّرَيَّا قاعداً غيرَ قائمِ

شعيب بن ابراهيم عن عليّ بن زيد عن عبد الله بن الحارث عن عبد المطلب بن ربيعة قال .. مرّ العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه بنفر من قريش وهم يقولون انما محمد في أهله مثل نخلة نبتت في كناسة فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد منه فخرج حتى قام فيهم خطيباً ثم قال أيها الناس من أنا . قالوا أنت رسول الله . قال أفأنا محمد عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ان الله عزّ وجلّ خلق خلقه فجعلني من خيرخلقه ثم جعل الخلق الذي انا منهم فريقين فجعلني من خيرالفريقين من خلقه ثم جعل الخلق الذي أنا منهم شعوباً فجعلني في خيرهم شعباً ثم جعلهم بيوتاً فجعلني من خيرهم بيتاً فأنا خيركم بيتاً وخيركم والداً وانى نشأت لكم فيكم فمن علم منكم فقد علم ومن لم يعلم فانا محمد عبد الله بن عبد المطلب ثم قال قم يا سعد فقام على نشزه فقال يقرّب امرؤ منكم عماً مثل هذا وخالاً مثل هذا . وحدثنا سلمان بن الحسن الدستوائي عن اسماعيل بن مهران العسكريّ عن أبان بن عثمان عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه قال لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرض نفسه على القبائل خرج وأنا معه وأبو بكر وكان نسّابة العرب فوقف على مجلس من مجالس العرب عليهم الوقار والسكينة فسلّم أبو بكر فسدّد عليهم فردّ عليه السلام فقال أيّ القوم أنتم فقال رجل من هامتها أظهرها فقالوا نحن من هامة قومها ومعدن قومها

قالوا ذهل ، قال ذهل الأكبر أم ذهل الأصغر ، قالوا بل الأكبر ، قال فمنكم عوف الذي كان يقال لا حُرَّ بوادي عوف ، قالوا لا قال أفمنكم بسطام بن قيس صاحب اللواء ومنتهى الأحياء ، قالوا لا ، قال أفمنكم حسّاس بن مرة حامي الذمار ومانع الجار ، قالوا لا ، قال أفمنكم المزدلف صاحب العمامة قالوا لا ، قال أفأنتم أخوال الملوك من كندة ، قالوا لا ، قال أفأنتم أصهار الملوك من لخم قالوا لا ، قال فأنتم من ذهل الأكبر اذاً أنتم من ذهل الأصغر ، فقام اليه اعرابي علاه جبن نقل وجهه فأخذ زمام ناقته ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف على ناقته يسمع محاطبته ، فقال

لنا على سائلنا أن نسأله ... والعبء لا تعرفه أو تحمله

يا هذا انك قد سألتنا أيّ مسألة شئت فلم تكتمك شيئاً فأخبرنا عن أنت ، فقال ابو بكر من قريش ، فقال نخ نخ أهل الشرف والرئاسة فأخبرني من أي قريش أنت ، قال من بني تيم بن مرة ، قال أفمنكم قصيّ بن كلاب الذي جمّع القبائل من فهر فكان يقال له مجمّع ، قال ابو بكر لا ، قال أفمنكم هاشم الذي يقول فيه الشاعر

عمرو العلى هشم الثريد لقومه ... ورجال مكة مسنتون عجاف

قال أبو بكر لا قال أفمنكم شيبة الحمد الذي كان وجهه نصيّ في الليلة الداجية مطعم الطير ، قال لا قال أفمن المفيضين بالناس أنت ، قال لا ، قال أفمن أهل الرفادة أنت ، قال لا ، قال أفمن أهل السقاية أنت قال لا ، قال أفمن أهل الحجابة أنت ، قال لا ، قال أما والله لو شئت لأخبرتك لست من أشراف قريش ، فاحتدّ أبو بكر زمام ناقته منه كهيئة المغضب ، فقال الاعرابي

صادف در السيل درّ يدفعه ... في هضبة ترفعه وتضعه

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عليّ كرم الله وجهه فقلت يا أبا بكر لقد وقعت من هذا الاعرابي على باقعة قال أجل ، وأما حسن ما من طامة الا وفوقها طامة وان البلاء موكل بالمنطق قال وأبى الحسن بن عليّ رضي الله عنهما معاوية بن أبي سفيان وقد سبه ابن عباس رحمه الله فأمر معاوية بارزاله فبدأ معاوية مع عمرو بن

العاص ومروان بن الحكم وزياد المدّعى الى ابي سفيان يتحاورون في قديمهم وحديثهم إذ قال معاوية : قد أكثرتم الفخر ولو حضركم الحسن بن عليّ وعبد الله بن عباس لقصروا من أعنتكم . فقال زياد : وكيف ذاك يا أمير المؤمنين وما يقومان لمروان بن الحكم في عرب منطقه ولا لنا في تواديخنا فابعث اليهما حتى نسمع كلامهما . فقال معاوية لعمرو ما تقول في هذا الليل فابعث اليهما في غد فبعث معاوية رسله يريد اليهما فاتيا فدخلا عليه وبدأ معاوية فقال اني أحاكما وأرفع قدركما عن المسامرة بالليل ولا سيما أنت يا أبا محمد فانك ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيد شباب أهل الجنة فشكر له فلما استويا في مجلسهما علم عمرو ان الحدّث ستقع به فقال . والله لا بدّ أن أتكلم فان قهرتُ فسبيل ذلك وان قُهِرتُ أكون قد ابتدأت فقال ياحسن إنا قد تفاوضنا فلنا ان رجال بني أمية أصبر على اللقاء وأمضى في الوغاء وأوفى عهداً وأكرم جيرة وأمنع لما وراء ظهورهم من بني عبد المطلب ثم تكلم مروان بن الحكم فقال : كيف لا يكون ذلك وقد قارعناهم فعاسناهم وحارسناهم فملكناهم فان شئنا عفونا وان شئنا بطشنا . ثم تكلم زياد فقال مايسعني لهم أن يذكروا الفضل لأهله ويحمدوا الخير في معدنه نحن الحملة في الحروب ولنا الفضل على سائر الناس قديماً وحديثاً فتكلم الحسن ابن عليّ رضي الله عنه فقال ليس من الحزم أن يصمت الرجل عند إرادة الحجة ولكن من الإفك أن ينطق الرجل بالخنا وصوّر الكذب في صورة الحقّ . أما عمرو أفتجترئ بالكذب وجراءة على الافك ما زلت أعرف مساوئ الحاضرة فيها مرة بعد أخرى تذكر مساويء الدّجى وأعلام الهدى وفرسان الطراد وحتوف الاقران وأسامة السحاب وبيض السيفان ومعادن العلم وينابيع السؤدد ثم أنكم أحييتم بعد موته ظهوركم وقد كنتم [illegible] وتركتم [illegible] وقمتم رحاها على قطبها وفرت عن ناجم وصار سعير الحرب فيكم وفيما [illegible] وسلم على أن [illegible] وكنتم همزي في هذا اليوم غير [illegible] من بني عبد المطلب [illegible] وأما [illegible] لا أكثر في قريش [illegible] ما [illegible]

فلما رأيت الصرعام قد دميت برائنه واشتبك أنيابه كنت كما قال الأول

تَصَبَّصَنْ ثُمَّ رَمَيْنَ بِالأَبْعَارِ

فلما من عليك بالعفو وأرجى خلاقك بعد ما ساق عليك وغصصت بريقك لاتقصد منا مقصد أهل الشكر ولكن تساويا وتحاريا وعض من لا يدرك ثاراً ولا يلحق ضراية ثم التفت إلى زياد وقال وما أنت يا زياد وقريش ما أعرف لك فيها أديماً صحيحاً ولا فرعاً ناشئاً ولا قديماً ثابتاً ولا منبتاً كريماً كانت أمك بغياً يتداولها رحالات قريش وخيار العرب فلما ولدتَ لم تعرف لك العرب والداً فادّعاك هذا — يعني معاوية — فما لك والافتخار تكفيك سمية ويكفيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي سيد المؤمنين الذي لم يرتد على عقبيه وعمّاي حمزة سيد الشهداء وجعفر الطيار في الجنة وأنا وأخي سيدا شباب أهل الجنة . ثم التفت الى ابن عباس فقال انما هي نعاث الطير اقبض عليها الباري . فأراد ابن عباس أن يتكلم فأقسم عليه معاوية أن يكفّ فكفّ ثم حرجا فقال معاوية أحاد عمرو الكلام أولاً لولا أن حثّته دحضت وقد تكلم مروان لولا أنه نكص ثم التفت الى زياد فقال ما دعاك الى محاورته ما كنت إلا كالمحل في كفّ العقاب . فقال عمرو أفلا رميت من ورائنا . قال معاوية إذاً كنت سريككم في الجهل أفأفاخر رجلا رسول الله صلى الله عليه وسلم جدّه وهو سيد من مضى ومن بقي وأمه فاطمة سيدة نساء العالمين ثم قال لهم والله لئن سمع أهل الشام ذلك انه للسوأة السوآء فقال عمرو لقد أبقى عليك ولكنه طحن مروان وزياداً طحن الرحا بثفالها ووطئهما وطيء البازل القراد بتأمه فقال زياد والله لقد فعل ولكنك يا معاوية تريد الاعراء بيننا وبينهم لاحرم والله لا شهدت مجلساً يكونان فيه إلا كنتَ معهما على من فاخرهما فخلا ابن عباس بالحسن رضي الله عنه فقبّل بين عينيه وقال افديك يا ابن عمي والله ما زال محمد يرجّرك وأنت تصول حتى شبابي من أولاد العلايا ثم ان الحسن رضي الله عنه غاب أياماً ثم رجع حتى دخل على معاوية وعنده عبد الله بن الزبير فقال معاوية يا أبا محمد اني أعلم لعباً لعبتَ الدهر فأرح نفسك فقام الحسن رضي الله عنه فشرح

فقال معاوية لعبد الله بن الزبير لو افتخرت على الحسن فأنت ابن حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته ولأبيك في الاسلام نصيب وافر ، فقال ابن الزبير : ابا له ثم حمل لياته يطلب الحسين فلما أصبح دخل على معاوية وجاء الحسن رضي الله عنه فحياه معاوية وسأله عن مبيته فقال خير مبيت وأكرم مستفاض فلما استوى في مجلسه قال له ابن الزبير . لولا انك حوار في الحروب غير مقدام ما سلمت لمعاوية الأمر وكنت لا تحتاج الى احتراق السهوب وقطع المراحل والمفاوز تطلب معروفه وتقوم ساقه وكنت حريا أن لا تفعل ذلك وأنت ابن علي في بأسه ونجدته فما أدري ما الذي حملك على ذلك أضعف حال أم وهي بصيرة ما أظن لك مخرجا من هذين الحالين اما والله لو استجمع لي ما استجمع لك لعلمت اني ابن الزبير واني لا أنكص عن الأبطال وكيف لا أكون كذلك وجدتي صفية بنت عبد المطلب وأبي الزبير حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشد الناس بأساً وأكرمهم حسباً في الجاهلية وأطوعهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فالتفت الحسن اليه وقال أما والله لولا ان بني أمية تنسبني الى العجز عن القتال لقلت كففت عنك تهاوناً بك ولكن سأبين ذلك لتعلم اني لست بالكيل أأباي تعير وعلي تفخر وهم تلد الحدائد في الجاهلية مكرمة الا تزوجه عمتي صفية بنت عبد المطلب فولدت له على جميع العرب وشرف بكلها فكيف تفاخر من في الفلادة واسطتها في الأشراف سادتها خير أكرم أهل الأرض جدا لا السرف الا ثق وأكرم العرب ثم تزعم أني سعيت الأمر لمعاوية فكيف يكون ويحك كذبت والله أن أشجع العرب وبنت وحشية سيدة النساء وحبيبة لامهات لم أفعل ويحك ذلك حسداً ولا فرقاً ولكنه مني مذنب وهو عالم بذلك ولا يخفى الموءده على أحد من مضر لأنكم يا بني عبد شمس واهل الحق دون غيركم كيف لا تكونون كما قول وقد سمع أمير المؤمنين وسلم يكنك بعقبه فكنس عن عقبه وجميع حشمه من حسن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل فيه بقية نحو لأعدائه وأنت في الأمة قش في عينه لا صبرا وأنى ما أشاء وقد وطئت لكعبة بالأمس وطئا سالكها والا لأستقر بها النوى وقعيت عن عبد شمس كالكلب عن الحوشب بموت فحين وجب لك الاسم ذكر ما سخر لأبيك من

سول وأنت تخدع النساء ثم تفتخر على بني الأماء لم تزل الأقاويل ما مقبولة وعليك وعلى أبيك مردودة دخل الناس في دين جدّي طائعين وكارهين ثم بايعوا أمير المؤمنين صلوات الله عليه فسار الى أبيك وطلحة حين نكثا البيعة وخدعا عرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقُتلا عند نكثهما بيعته وأتي بك أسيراً تعدو من يدك فاشدته الرحم الا يقتلك فعفى عنك فأنت عتاقه أبي وانا سيدك وأبي سيد أبيك فدق وقال أمرك فقال ابن الزبير اعدرنا يا أبا محمد فانما حملني على محاورتك هذا واشتهى الاعراء بينا فهلاّ إذ جهلتُ أمسكتَ عني فكم أهل مت سجيتكم الحلم ، قال الحسن ، يا معاوية انظر أن تركب عن محاورة أحد ويحك أتدري من أي سحرة أنا والى من أنتمي انه قبل أن اسمك بسمة يخجل بها الركبان في آفاق البلدان ، قال ابن الزبير هو لذلك أهل فقال معاوية أما انه قد شفا بلابل صدري منك ورمى مقتلك فقبت في يده كالحجل في كف الباري يلاعب بك كيف شاء فلا أراك تفتخر على أحد بعدهما ، وذكروا أن الحسن بن علي صلوات الله عليهما دخل على معاوية فقال في كلام جرى بينهما ، وذكر ذلك

فيم الكلام وقد سبقتُ مُبرّزاً ... سبق الجواد من المدى والمقوس

فقال معاوية إياي تعني والله لآتينّ بما يعرفه قائلك ولا ينكره حاسدك انا ابن من طلحاء مكة لا ابن أحدهما جوداً وأكرمهما أبوّة وجدوداً وأوفاهما عهوداً انا ابن من ساد قريشاً ناشئاً فقال الحسن أجل إنك ابن أفعى تصحر يا معاوية نواباً ابن ماء السماء وعبد قريش وابن من ساد أهل الدنيا بالحسب الثاقب والسرف الفائق والقديم السابق ابن من [illegible] ابن من بعجت بضعته الرحم وبل لك شدي أو قديم كقدمي [illegible] أقول لا صدقاً لقولك ، فقال الحسن رضي

نحن أناس لا توسط بيننا ... لنا الصدر دون العالمين أو القبر

[illegible]

To: www.al-mostafa.com

أكرم الناس أماً وأماً وعماً وعمةً وخالاً وخالةً وجداً وجدةً ، فقام مالك بن عجلان وأومى الى الحسن بن علي صلوات الله عليه فقال : هو ذا أبوه علي بن أبي طالب وأما فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمه جعفر الطيار وعمته أم هانئ بنت أبي طالب وخاله القاسم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخالته زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجده رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدته خديجة بنت خويلد فسكت القوم ونهض الحسن فأقبل عمرو بن العاص على مالك فقال أحُبُّ بني هاشم حملك على أن تكلمت بالباطل . فقال ابن عجلان ما قلت إلا حقاً وما أحد من الناس بطالب مرضاة مخلوق بمعصية الخالق إلا لم يُعط أمنيته في دنياه وكُتب له بالشقاء في آخرته . فقال هاشم أنصركم عوداً وأوراكم زنداً أكذلك هو يا معاوية قال اللهم نعم . قال فما استأذن الحسن بن علي رضي الله عنه على معاوية وعنده عبد الله بن جعفر وعمرو بن العاص فأذن له فلما أقبل قال عمرو قد جاءكم الفهِه العيي الذي كأن بين لحييه عنبسة ، فقال عبد الله بن جعفر مه والله لقد رمت صخرة ملمعة تحط عنها السيول وتقصر دونها الوعول لا تنالها السهام ولا تطيرها الرياح والحسن إليك فإنك لا تزال راتعاً في خطإ رجل من قريش ولقد رميت فما برح سهمك وقدحت فما أورى زندك فسمع الحسن الكلام فما أحفله فقال له معاوية لا يزال عندك سيد يرتع في لحوم الناس أما والله لئن ثلمت بكلمة لتجدن بها ما تقوم به الأمور وتحرج به الصدور ثم أنشأ يقول

أتأمرني يا معاوي عند سهم ... بشتمي والملا منه شهود

إذا أحدثت بالسها قريش ... فقد عمت قريش ما تريد

أأنت تطال تستمي سهمه ... فسعد منه دون ولا بيد

وإنك من بني كأني تسبني ... ومن عجب تسبني وتكيد

ولا حد كحدي يا بن حرب ... رسول الله شيد كل ساعد

ولا عم كعمي من قريش ... له حسن الحسين

فما مثلي تهكمَ يا ابنَ حربٍ ولا مثلي يُنهنهُ الوعيد
فمهلاً لا تبيحَ منّا أموراً يَشيب لهولها الطفل الوليد

وذكروا ان عمرو بن العاص قال لمعاوية ابعث الي الحسن بن علي فأمره أن يخطب على المنبر فلعله يحصر فيكون في ذلك ما نعيّره به فبعث اليه معاوية فأمره أن يخطب فصعد المنبر وقد اجتمع الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي بن أبي طالب ابن عمّ النبي أنا ابن البشير النذير السراج المنير انا ابن من بعثه الله رحمة للعالمين انا ابن من بُعث الى الجن والانس انا ابن مستجاب الدعوة انا ابن الشفيع المطاع انا ابن اوّل من ينفض رأسه من التراب انا ابن اول من يقرع باب الجنة انا ابن من قاتلت معه الملائكة ونصر بالرعب من مسيرة شهر وامعن في هذا الناب ولم يزل حتى أظلمت الأرض على معاوية ، فقال ياحسن قد كنت ترجو ان تكون خليفة وليس هناك ، قال الحسن انما الخليفة من سار بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل بطاعته وليس الخليفة من دان بالجور وعطل السنن واتخذ الدنيا اماً وأماً ولكن ذلك ملك أصاب ملكاً يتمتع به قليلاً ويعذّب بعده طويلاً وكان قد انقطع عنه واستعجل لذته وبقيت عليه تبعته فكان كما قال الله تعالى ﴿ وإنْ أدْرِي لَعَلَّهُ فتنة لكم ومَتاع الى حين ﴾ ثم انصرف فقال معاوية لعمرو ما أردت إلا هتكي ما كان اهل الشام يرون احداً مثلي حتى سمعوا من الحسن ما سمعوا ، قال وقدم الحسن بن علي رضي الله عنه على معاوية فلما دخل عليه وجد عنده عمرو بن العاص ومروان بن الحكم والمغيرة بن شعبة وصناديد قومه ووجوه اهل بيته ووجوه أهل اليمن واهل الشام فلما نظر اليه معاوية اقعده على سريره واقبل عليه بوجهه ريه السرور به وقدومه عشية مروان وقد كان معاوية قال لهم لا تجاوروا هذين الرجلين فقد قلدناكم العار عند أهل السماء — يعني الحسن بن علي رضي الله عنه وعبد الله بن عباس — فقال مروان يا حسن لولا حلم امير المؤمنين وما قد ساد له آباؤه الكرام من الحلم العلا ما أقعدك هذا المقعد

ولمثلك وانت لهذا مستحق تقودك الجماهير اليها فلما قاومتنا وعلمت الاطاقة لك بفرسان أهل الشام وسادتهم بني أمية أدعنت بالطاعة واحتجرت بالبيعة وجئت تطلب الأمان أما والله لولا ذلك لأراق دمك ولعلمت انا نعطي السيوف حقها عند الوغى فاحمد الله إذ ابتلاك بمعاوية وعفى عنك بحلمه ثم صمت بك ما ترى ، فنظر اليه الحسن وقال ويلك يا مروان لقد تقلدت بقلائد العار في الحروب عند مشاهدتها والمجادلة عند محاطتها هدلتك أمك لنا الحجيج الدوالع ولنا عليكم ان شكرتم النعم السوابغ تدعوكم الي النجاة وتدعونا الي النار فشتان ما بين المنزلين تفخر بنو أمية وترغم انوفهم بفرار في الحرب أسد عند اللقاء ثكلتك الثواكل اولائك البهاليل السادة والحماة الذادة والكرام القادة سو عند المطلب اما والله لقد رأيتهم أنت وجميع من في المجلس ما هالتهم الأهوال ولا حادوا عن الأبطال كالليوث الضارية الباسلة الحقيقة قصدها وكيت هاربا وأحدث أسيراً فقلدت قومك العار لأنك في الحروب حوار اتهريق دمي فهلاّ أهرقت دم من وثب على عثمان في الدار فذبحه كما يذبح الجمل وانت تنعو نعاء النعجة وتنادي بالويل والثبور كالمرأة الوكعاء ما دفعت عنه بسهم ولا سعت دونه بحرب قد ارتعدت فرائصك وعنى قصرك واستغثت كما استغيث العبد ربه فانجيتك من القتل ثم جعلت تحث عن دمي وتحض على قتلي ولو رام ذلك معاوية منك لذبح كما ذبح ابن عفان وانت معه أقصر يداً واضيق ذرعاً وأحبن قلباً من أن تجسر على ذلك ثم ترغم اني استايت بحلم معاوية بما والله هو اعرف بشأنه وأشكر لنا إذ وليناه هذا الأمر فتى بدا له فلا يعصين حسبه في الندى عند فوالله لأعمى أهل الشام بحيث يضيق فضاؤه ويستأصل فرسانه ثم لا يسعك عند ذلك الروعن والهرب ولا تنتفع بتدريجك الكلام فمحض من لا يجهل آباؤنا الكرام التقدما الأكابر وفروعنا السادة الأخيار الأفاضل انطق بي كنت صادقاً فقد عمرو معق بالحما وتعلق بالصدق ، ثم أنشأ يقول

قد يضرط العير والمكواة تأخذه ... لا يضرط العير والمكواة في النار

فقال أمرك يا مروان ، وأقبل على معاوية فقال قد بعثت من هذا الرجل

وأنت تأبى إلا انهماكاً فيما لايعنيك أربع على نفسك فليس أبوه كأبيك ولاهو مثلك أنت ابن الطريد الشريد وهو ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم الكريم ولكن رب ماحث على حتفه بظلمه فقال مروان ارم دون بيضتك وقم بحجة عشيرتك ثم قال لعمرو . لقد طمعك أبوه فوقيت نفسك بخصيتيك ومنها ثنيت أعنتك وقام معتصماً فقال معاوية لاتحار الا بحار فتعمرك ولا الحسان فتقهرك واسترح من الاعتذار ،، قال ولقي عمرو بن العاص الحسن بن علي عليهما السلام في الطواف فقال ياحسن ارغمت ان الدين لا يقوم إلا بك وبأبيك فقد رأيت الله أقامه بمعاوية فجعله ناساً بعد ميله وبيناً بعد خفائه اوبرضى الله قتل عثمان أم من الحق أن تدور بالبيت كما يدور الحمل بالطحين عليك ثياب كعرق البيض وانت قاتل عثمان والله انه لألم للشعث واسهل للوعث ان يوردك معاوية حياض أبيك ، فقال الحسن صلوات الله عليه إن لأهل النار علامات يُعرفون بها وهي الإلحاد في دين الله والموالاة لأعداء الله والإعتراف على دين الله والله انك لتعلم ان علياً لم يتريث في الأمر ولم يشك في الله طرفة عين وايم الله لتنتهين يا ابن العاص أو لأقرعن قصتك — يعني حيبه — قراع وكلام وإياك والحراء على فاني من عرفت لست بصعيب المعمر ولا وهش المشاشة — يعني العظام — ولا عرى الملأ كلمة وابي لمن قريش كأوسط القلادة معرق حسبي لاأدعي لغير أبي وقد تحاكمت فيك رجال من قريش فغلب عليك الأمهما حسباً وأعظمها لعبه فإياك عني فانما أنت نحن ونحن أهل بيت الطهارة أذهب الله عنا الرجس وطهرنا تطهيرا. قال واجتمع الحسن بن علي صلوات الله عليهما وعمرو بن العاص فقال الحسن قد علمت قريش بأسرها اني منها في عز أرومتها ثم اطلع على ضعف ولم أعكس على حسب اعرف نسبي وأدعى لأبي . فقال عمرو وقد علمت قريش انك ان أقلها عقلا وأكثرها جهلا وان فيك خصالا لو لم يكن فيك إلا واحدة منها لشملك حزيها كما شمل الباس الحالك وأيم الله لئن لم تنته عما أراك تصنع لأكسن لك حافة كخلد العائط اذا اعتاطت رحمها فما تحملي أرميك من حللها بأحر من وقع الأثافي أعرك منها أديعك عرك السلعة فالك طالما ركبت المنحدر ورتعت في أعراض الوعر التماساً للمرقة وإسناداً للشنه ولن يريدك الله فيها إلا قطاعة . فقال الحسن أما والله لو كنت تسمو بحسبك

وتعمل برأيك ما سلكت فج قصد ولا حلت راية مجد أما والله لو أطاعنا معاوية لجعلك بمنزلة العدوّ الكاشح فانه طال ما تأخر شأوك واستتر داؤك وطمح بك الرجا الى الغاية القصوى التي لا يورق بها عصلك ولا يحصر منها وعيك أما والله لتوشكن يا ابن العاص أن تقع بين لحيي ضرغام ولا يحيك منه الروعان اذا التمت حلقتا البطان .. ابن المنذر عن أبيه عن الشعبي عن ابن عباس انه دخل المسجد وقد سار الحسين بن عليّ رضي الله عنه الى العراق فاذا هو بابن الزبير في جماعة من قريش قد استغلاهم بالكلام فجاء ابن عباس فضرب بيده على عضد ابن الزبير وقال أسجعت والله كما قال الشاعر

يالكِ من قُنْبَرَةٍ بمَعْمَرِ خَلَا لكِ الجَوُّ فبيضي واصفِرِي
ونقِّرِي ما شئتِ أنْ تُنَقِّرِي قد ذَهَبَ الصيَّادُ عَنكِ فاشري
لابُدَّ مِنْ أحدِكِ يوماً فاصْبِرِي

حلت الحجارة من الحسين بن عليّ واقبلت تهدر في حوائها فعجب ابن الزبير وقال والله انك لترى انك أحق بهذا من غيرك . فقال ابن عباس انما يرى ذلك من كان في حال شك واما من ذلك على يقين . قال وبأيّ شيء استحق عندك انك بهذا الأمر أحق مني . فقال ابن عباس لأنا أحق من يُدَلّ بحقه وبأيّ شيء استحق عندك انك أحق بها من سائر العرب إلاّ ما . فقال ابن الزبير استحق عندي اني أحق بها منكم لشرفي عليكم قديماً وحديثاً . فقال أب أشرف أم من شرفت به . فقال بل من شرفت به رأدى شرفا الى شرفي . قال فهي الزيادة أم منك فتبسم ابن عباس فقال ابن الزبير يا ابن عباس دعني من لسانك هذا لدى تمامه كيف شئت والله لا تصوبنا أبداً قال ابن عباس صدقت حين قلت بل مع الله لا نحب من أبغضه الله قال يا ابن عباس أما ينبغي لك أن تصلح عن كلمة واحدة قال اني سمعت عمر يقول ما من هرّ فلا والفضل لأهل الفضل . فقال ابن الزبير فأين الفضل قال عند أهل البيت لا تصرفه عن أهله فتضيعه في غير أهله فتفسده قال ابن الزبير أفلست من أهله قال بلى ان شئت الحسد ولزمت الحسد والقضى حديثها ... ابن الزبير

ابن عباس انه قال قدمت على معاوية وقد قعد على سريره وجمع من بني أمية ووفود العرب عنده فدخلت وسلمت وقعدت فقال : يا ابن عباس من الناس ، فقلت : نحن ، قال : فادا عنهم ، قلت . فلا أحد ، قال : فانك ترى أني قعدت هذا المقعد بكم ، قلت نعم فمن قعدت ، قال عن كان مثل حرب بن أمية ، قلت . من كفأ عليه اناءه واجاره بردائه ، قال فغضب وقال . أرحني من شحصك شهراً فقد أمرت لك بصلتك وأسعفتها لك . فلما خرج ابن عباس قال لجلسته ألا تسألوني ما الذي أغضب معاوية ، قالوا بلى فقل فصلك . قال : إن أباه حرباً لم يلق أحداً من رؤساء قريش في عقبة ولا مضيق إلا تقدمه حتى يحوره فلقيه يوما رجل من تميم في عقبة فتقدمه التميمي فقال حرب انا حرب بن أمية فلم يلتفت اليه وجاوزه فقال موعدك مكة فخافه التميمي ثم أراد دخول مكة فقال من يجيرني من حرب بن أمية فقيل له عبد المطلب فقال عبد المطلب أجل قدراً من أن يجير على حرب فأتي ليلا الى دار الزبير بن عبد المطلب فدق بابه فقال الزبير لعبده قد جاءنا رجل إنما طالب قرى وإما مستجير وقد أحياه الي ما يريد ثم خرج الزبير اليه ،، فقال التميمي

لاقيتُ حَرْباً فى الثنيةِ مقبلاً ... والصُّبحُ أبلجَ ضوؤُه للسارِى
فدعا بصوتٍ واكتنى ليروعنى ... وسما عليَّ سموَّ ليث ضارِى
فتركتُهُ كالكلبِ يسفحُ طلَّهُ ... وأتيتُ قرمَ معالمٍ وفخارِ
ليثاً هريرَا يستجارُ بعرِّهِ ... رحبَ المساءةِ مكرماً للجارِ
ولقد حلفتُ بمكةٍ وبزمزمٍ ... والبيتِ ذِى الأحجارِ والأستارِ
إنَّ الزبيرَ لمانعي من حوفهِ ... ما كرَّ الحجَّاجُ فى الأمصارِ

فعدّمه الزبير وأجاره ودخل به المسجد فرآه حرب فقام اليه فلطمه فحمل عليه الزبير بالسيف فولى هارباً فعدو حتى دخل دار عبد المطلب فقال أجرني من الزبير فأكفأ عليه جفنة كان هاشم يطعم فيها الناس فمكث بها ساعة ثم قال له اخرج قال وكيف

أخرج وعلى الباب تسعة من بنيك قد احتبوا بسيوفهم فألقى عليه رداءه كان كساه إياه سيف بن ذي يزن له طرفان حمراوان فخرج عليهم فعلموا أنه قد أطاره عبدالملك فتفرقوا عنه .. قال وحضر مجلس معاوية عبد الله بن جعفر فقال عمرو بن العاص قد حاكم رجل كثير الحلوات بالتمني والطربات بالتغني محب للقيان كثير مراحه شديد طماحه صدود عن الشنان ظاهر الطيش رحب العيش أحاد السلف سباق بالسرف فقال ابن عباس كذبت والله أنت وليس كما ذكرت ولكنه فقه ذكور ولسانه شكور وعن الخنا زجور جواد كريم سيد حليم اذا رمى أصاب واذا سئل أطاب غير حصور ولا هياب ولا عيابة مفتاب حلّ من قريش في كريم النصاب كالهزبر الضرغام الحري المقدام في الحسب القمقام ليس بدعيّ ولا دنيء لا كمن اختصم فيه من قريش سرارها فعلت عليه حرارها فاسح الأمها حسبا وأدناها منصبا يسومها بالذليل ويأوي منها الى القليل مذبذب بين الحيين كالساقط بين المهدين لا المضطر فيهم عرفوه ولا المطاع فيهم قفدوه فليت شعري بأي قدر تتعرض للرجال وبأي حسب تعتد به عبدالصمد اسمك وأنت الوعد اللئيم والمكد الذميم والوضيع الرميم أم عن تمني اليهم وهم أهل السمه والطيش والدناءة في قريش لا تسرف في الجاهلية شهروا ولا تقدم في الاسلام ذكروا جعلت تتكلم بغير لسانك وتنطق بالزور في غير أقرانك والله لكن أبيك الفصل وأعدل المعدوان أن يمرلك معاوية منزلة العبد السحيق فانه ظالما ساس ذووه وطمح بك رحوك الى الغاية القصوى التي لم يحضر فيها رعيك ولم يورق فيها عصبك فقال عبد الله بن جعفر اقسمت عليك لما أمسكت فانك عن ناصلت ولي فاوعيت فقال ابن عباس دعني والعبد فانه قد يهدر حالياً ولا تحد ملاحياً وقد أتيح له صيغ سرس للأقران ممرس والأمراح محتاس فقال ابن العاص دعني يا أمير المؤمنين انتصف منه فوالله ما ترك شتماً قال ابن عباس دعه فلا يبقي لعدو إلا على نفسه فوالله إن فاني لشديد وان حولي لعديد وافي لكما قال نابغة بني ذبيان

وقد مأ قد قرعت وقارعوني فما زر الكلام ولا سحني

يَصُدُّهُ الشاعرُ العرّافُ عنى صُدُودَ البِكْرِ عن قَرْمٍ هِجانِ

قال ،، وبلغ عائشة بنت عاصم[1] قتل معاوية وعمرو بن العاص لبنى هاشم فقالت لأهل مكة : أيها الناس ان بنى هاشم سادت فجادت ومَلَكَت ومُلِّكَت وفعلت وفُعِلَت واسطعت واسطعيت ليس فيها كدر عيب ولا افك ريب ولا خسر واطاعين ولا حارز ولا نادمين ولا هم من المغضوب عليهم ولا الضالين ان بنى هاشم أطول الناس باعا وأمجد الناس أصلا وأعظم الناس حلماً وأكثر الناس علماً وعطاء مما عد ساف المؤثر ،، وفيها يقول الشاعر

كانتْ قُرَيشٌ بيضةً فتفلقتْ فالمُحُّ خالِصها لعَبْدِ مَنافِ

وولده هاشم الذى هشم الثريد لقومه ،، وفيه يقول الشاعر

عمْرُو العُلاَ هَشَمَ الثريدلقومِهِ ورِجالُ مكةَ مُسْنِتون عِجافْ

ومما عد المطلب الذي سُقيا به الغيث . وفيه يقول أبو طالب

وبحنِ سُقيُ المحلِ قامَ شَعيثنا بمكةَ يَدْعو والمِياهُ تغورْ

واسه أبو طالب عظيم قريش . وفيه يقول الشاعر

آتيتهُ مَلِكاً فقامَ بحاجتى وتَرَى المليحَ حائباً مَذْموماً

ومما العباس بن عبد المطلب أردفه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه ماله ،، وفيه يقول الشاعر

رَدِيفُ رسولِ اللهِ لم ير مثلَه ولا مِثْلَه حتى القيامةِ يُولدْ

ومما حمزة سيد الشهداء . وفيه يقول الشاعر

أبا يَعْلَى لكَ الأَرْكانُ هُدَّتْ وأنت الماجد البرُّ الوَصولُ

ومما جعفر ذو الجناحين أحسن الناس حالا وأكملهم كمالا ليس بغدار ولا جبان

(١) — هكذا فى الاصل وفى نسخة عاتكة بنت عاصم وفى السمراط عاتكة بنت عامر

أمدله الله بملكين يطيران بهما في الجنة .. وفيه يقول الشاعر

هاتوا كجعفرنا ومثل عليّنا كانا أعزّ الناس عند الخالق

ومنا ابو الحسن عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه أفرس بني هاشم وأكرم من احتفى وانتعل .. وفيه يقول الشاعر

عليٌّ ألّف القرآن صُحفاً ووالى المصطفى طفلاً صبيّاً

ومنا الحسن بن عليّ عليه السلام سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيد شباب أهل الجنة .وفيه يقول الشاعر

يا أجلّ الأنام يا ابن الوصيّ أنت سبطُ النبيّ وابن عليّ

ومنا الحسين بن علي حمله جبريل عليه السلام على عاتقه وكفاه بذلك فخراً .. وفيه يقول الشاعر

حبُّ الحُسين دخيرةٌ لمحبّهِ يارَبِّ فاحشُرني عدّاً في حزبهِ

يا معشر قريش والله ما معاوية كأمير المؤمنين عليّ ولا هو كما يزعم هو والله شانئ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي آتية معاوية وقائله له ما يعرق منه جبينه ويكثر منه عويله وأنينه ، فكتب عامل معاوية اليه بذلك فلما علمه أنها قربت منه امر بدار ضيافة فنظفت وأثثت فيها فرش فلما قربت من المدينة استقبلها يزيد في حشمه وعماليكه فلما دخلت المدينة أتت دار أخيها عمرو بن عثمان فقال لها يزيد ان أبا عبد الرحمن يأمرك أن تنتقلي الي دار ضيافته وكانت لا تعرفه فقالت من أنت كلأك الله قال انا يزيد بن معاوية، قالت فلا رعاك الله يا ناقص لست برائد ، فتميّز لون يزيد وأتى أباه فأخبره فقال هي أنس قريش وأعظمهم حلماً ، قال يزيد كيف لي بعد لها قال كانت تُعدّ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة عام وهي من بقية الكرام فلما كان من العام القابل معاوية فسلم عليها فقالت على المؤمنين السلام وعلى الكافرين الهوان والملام ثم قالت أفيكم عمرو بن العاص ، قال عمرو ها أنا ذا قالت أنت نسب قريشاً وبني هاشم وأنت أهل النسب وفيك النسب واليك يعود النسب يا عمرو اني والله عارفة بك وبعيوبك

وعيوب أمك وابى أذكر ذلك . ولدت من أمة سوداء محنوة حمقاء تنول من قيامها وتعلوها الثئام وادا لامسها الفحل فكان بطعتها أهد من بطعته ركبها في يوم واحد أربعون رجل وأما أنت فقد رأيتك غاوياً غير مرشد ومفسداً غير مصلح والله لقد رأيت رجل زوجتك على فراشك فما غرت ولا أنكرت ، وأما أنت يا معاوية فما كنت في حير ولا ربيت في نعمة فالك ولبني هاشم اساؤك كنسائهم أم أعطى أمية في الجاهلية والاسلام ما أعطي هاشم وكفى فخراً رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال معاوية . أيتها الكبيرة أنا كافّ عن بني هاشم ، قالت . فاني أكتب عليك كتابا فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا ربه أن يستجيب لي خمس دعوات فاجعل تلك الدعوات كلها فيك ، فخاف معاوية فخلف أن لا يسب بني هاشم أبداً ، فهذا ما كان بين معاوية وبين بني هاشم من المفاخرة .. قال وكان عليّ بن عبد الله بن عباس عند عبد الملك بن مروان فأخذ عبد الملك يذكر أيام بني أمية فيما هو على ذلك إذ نادى المنادي بالأذان فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، فقال عليّ

هَدِيَ المكارِمُ لا قعْبانِ من لَبَنٍ شِيبا بماء فعادا بَعْدُ أبوالاَ

فقال عبد الملك الحقّ في هذا أبين من أن يكابر .. عليّ بن محمد النديم قال دخلت على المتوكل وعنده الرضيّ فقال ياعليّ من أشعر الناس في زمانا . قلت البحتري قال وبعده . قلت مروان بن أبي حفصة عبدك . فالتفت الى الرضيّ فقال يا ابن عم من أشعر الناس قال عليّ بن محمد العلويّ قال وما تحفظ من شعره قال قوله

لقد فاخرَتْنا من قُرَيشٍ عِصابةٌ بمَطْرَحِ حُدودٍ وامتدادِ أصابعِ

فلمّا تنازعنا القضاء قضى لنا عليهم بما تهوى نداء الصوامعِ

فقال المتوكل ما معنى قوله ـ نداء الصوامع ـ قال الشهادة ، قال وأبيك انه أشعر الناس ، ومما قيل في هذا المعنى من الشعر قوله أيضاً

باهما السّماء بانّا لنا ولولا السّماء لجرْنا السّماء

فحسبك من سؤدد أننا ... بحسن البلاء كشفنا البلاء
إذا ذكر الناس كنا ملوكا ... وكانوا عبيدا وكانوا إماء
يطيب الثناء لآبائنا ... وذكر على يطيب الثناء
هجاني رجال ولم أهجهم ... أبى الله لي أن أقول الهجاء

وقال آخر

وإني من القوم الذين عرفتهم ... إذا مات منهم سيد قام صاحبه
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم ... دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
نجوم سماء كلما انقض كوكب ... بدا كوكب تأوي اليه كواكبه

وقال آخر

خطباء حين يقول قائلهم ... بيض الوجوه مقاول لسن
لا يفطنون لعيب جارهم ... وهم لحفظ جوارهم فطن

﴿ ضده ﴾

عن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تفتخروا بآبائكم في الجاهلية فوالذي نفسي بيده لما يدحرج الجعل برجله خير من آبائكم الذين ماتوا في الجاهلية ،، قال وكان الحسن البصري يقول يا ابن آدم لِمَ تفتخر وإنما خرجت من سبيل دابين نطفة مشجت بأقذار . وقال بعضهم لرجل افتخر وبحك وأولك نطفة مدرة وآخرك جيفة قذرة وأنت فيما بينهما وعاء عذرة شاهدا بالافتخار وروي عن ابن عباس انه قال الناس يتفاضلون في الدنيا بالشرف والبيوتات والإمارات والغنى والجمال والهيئة والمنطق ويتفاضلون في الآخرة بالتقوى واليقين وأتقاهم أحسنهم يقينا وأزكاهم عملا وأرفعهم درجة ،، وقيل في ذلك

يَزِينُ الفتى في النَّاسِ صِحةُ عقلِهِ وإنْ كانَ محظوراً عليهِ مكاسبُهُ

وشَينُ الفتى في النَّاسِ قلةُ عقلِهِ وإنْ كَرُمَتْ آباؤُهُ ومَناسبُهُ

وقيل لعامر بن قيس : ما تقول في الانسان . قال وما أقول فيمن إن جاع ضَرَع وإن شبع بغى وطغى ،، وقال بعض الحكماء : لا يكون الشرف بالنسب الا ترى أن أخوين لأب وأم يكون أحدهما أشرف من الآخر ولو كان ذلك من قبل النسب لما كان لأحد منهم على الآخر فضل لأن نسبهما واحد ولكن ذلك من قبل الأفعال لأن الشرف انما هو بالفضل لا بالنسب ،، قال الشاعر

أبوكَ أبي والجدُّ لا شكَّ واحدٌ ولكننا عودانِ آسٌ وخِرْوَعُ

وبلغنا عن المدائني انه قال ليس السؤدد بالشرف وقد ساد الأحنف بن قيس بحلمه وحصين بن المنذر برأيه ومالك بن مسمع بحفظه في العامّة وسويد بن منجوف بعطفه على أراذل قومه وساد المهلّب بن أبي صفرة بجميع هذه الخصال ،،وأما الشرف بالدين فالحديث المعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أتاه اعرابي فقال بأبي أنت وأمي يارسول الله من أكرم الناس حسباً ، قال أحسنهم خُلقاً وأفضلهم تقوى، فانصرف الاعرابي ، فقال ردُّوه ثم قال يا اعرابي لعلك أردت أكرم الناس نسباً ،قال نعم يارسول الله ، قال يوسف الصديق صديق الله بن يعقوب اسرائيل الله بن اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله فاين مثل هؤلاء الآباء في جميع الدنيا ما كان مثلهم ولا يكون مثلهم احد أبداً ، وقال الشاعر في ذلك

ولمْ أرَ كالأَسباطِ آباءَ والدٍ ولا كأبيهمْ والداحينَ يُنْسَبُ

قال ودخل عيينة بن حصن الفزاري على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتسب له فقال انا ابن الأشياخ الأكارم فقال صلى الله عليه وسلم انت إذاً يوسف صديق الرحمن عليه السلام ابن يعقوب اسرائيل الله أو اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله ،، وقال صلى الله عليه وسلم خير الناس آدم وخير العرب محمد وخير الفرس سلمان الفارسي

وحير الروم صهيب وحير الحبشة بلال ،، قال وسمع عمر بن الخطاب وهو خليفة صوتاً ولغطاً بالباب فقال لبعض من عنده اخرج فانظر من كان من المهاجرين الأولين فادخله فخرج الرسول فوجد بلالاً وصهيباً وسلمان فادخلهم وكان ابو سفيان بن حرب وسهيل ابن عمرو في عصابة من قريش جلوساً على الباب فقال : يا معشر قريش أنتم سادات العرب وأشرافها وفرسانها بالباب ويدخل حبشيٌّ وفارسيٌّ وروميٌّ . فقال سهيل . يا أبا سفيان أنصفكم فلوموا ولا تذمّوا أمير المؤمنين دُعي القوم فأجابوا ودُعيتم فأبيتم وهم يوم القيامة أعظم درجات وأكثر تفضيلاً ، فقال أبو سفيان : لا خير في مكان يكون فيه بلال شريفاً ﴿ فأما ساعات الأشراف ﴾ فانه رُوي ان ابا طالب كان يعالج العطر والبزّ ، وأما أبو بكر وعمر وطلحة وعبد الرحمن بن عوف فكانوا بزّازين ، وكان سعد بن أبي وقاص يعدّل النبل ، وكان أخوه عتبة نجّاراً ، وكان العاص بن هشام أخو أبي جهل بن هشام حرّازاً ، وكان الوليد بن المغيرة حدّاداً ، وكان عقبة بن أبي معيط حمّاراً ، وكان عثمان بن طلحة صاحب مفتاح البيت خيّاطاً ، وكان ابو سفيان بن حرب يبيع الزيت والأدم ، وكان أمية بن خلف يبيع الرمم ، وكان عبد الله بن جُدْعان نخّاساً ، وكان العاص بن وائل يعالج الخيل والابل ، وكان حويرث بن عمرو وقيس ابو الصحاك بن قيس ومعمر بن عثمان وسيرين بن محمد بن سيرين كانوا كلهم حدّادين ، وكان المسيّب ابو سعيد رياتاً ، وكان ميمون بن مهران بزّازاً ، وكان مالك بن دينار ورّاقاً ، وكان أبو حنيفة صاحب الرأي حرّازاً ، وكان مجمّع الراهد حائكاً . قيل اتخذ يزيد بن المهلب بستاناً في داره بخراسان فلما ولي قتيبة بن مسلم خراسان قال له فقال مروان مروه هذا كان بستاناً وقد اتخذته لاصطبل فقال قتيبة : اني كان شيرين وكان ابو يزيد بستان فصار دلك كذلك قال وذكروا ان المأمون ذكر أصحاب الصناعات فقال السوقة سفل وأصناع اوساط والتجار نجلاء والكتّاب ملوك على الناس والناس أربعة أصحاب الحرف وهي امارة وتجارة وصناعة وزراعة فمن لم يكن منهم صار عيالاً عليهم

محاسن الثقة بالله سبحانه

قيل .. خطب سليمان بن عبد الملك فقال : الحمد لله الذي انقذني من ناره بخلافته .. وقال الوليد بن عبد الملك لأشعب للحجاج بن يوسف وقرة بن شريك عبد ربي .. وقال الحجاج يقولون مات الحجاج مه ما أرجو الخير كله إلا بعد الموت والله ما رضي الله البقاء إلا لأهون خلقه عليه أليس ابليس اذ قال ﴿ رَبِّ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ قال فإنكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ .. وقال ابو حمير المنصور الحمد لله الذي أحاربي بخلافته وأنقذني من النار بها .. وحدثني ابراهيم بن عبد الله عن أنس ابن مالك قال دخلنا على قوم من الأنصار وفيهم فتى عليل فلم يخرج من عنده حتى قضى نحبه فاذا عجوز عند رأسه فالتفت اليها بعض القوم فقال استسلمي لأمر الله واحتسبي . قالت أمات ابني . قال نعم . قالت أحق ما تقولون . قلنا نعم . فمدت يدها الى السماء وقالت اللهم انك تعلم اني أسلمت لك وهاجرت الي نبيك محمد صلوات الله عليه ورجاء أن تعينني عند كل شدة فلا تحمامي هذه المصيبة اليوم . فكشف اسجى الذي بجنبه وجهه وما رجعنا حتى طعم وشرب وطعمنا معه

﴿ ضدّه ﴾

قال عيسى بن مريم صلوات الله تعالى عليه .. يامعشر الحواريين ان ابن آدم مخلوق في الدنيا في أربع منازل هو في ثلاث منها واثق وهو في الرابعة سيّئ الظن يخاف جدلان الله إياه فأما المنزلة الأولى فانه خلق في ظلمات ثلاث ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة فوفاه الله رزقه في جوف ظلمة البطن فاذا أخرج من ظلمة البطن وقع في الماء لا يخطو اليه بقدم ولا ساق ولا يتناوله يد ولا يهمس اليه بقوة بل يكره اليه إكراهاً ويُوجر إيجاراً حتى يبت عليه لحمه ودمه فاذا ارتفع عن الماء وقع في المنزلة الثالثة من الطعام من أنوية يكتسان عليه من حلال وحرام فان ماتا عطف عليه الناس هذا يطعمه

وهذا يسقيه وهذا يؤويه وهذا يكسوه فاذا وقع فى المنزلة الرابعة واشتد واستوى وكان رجلا خشي أن لا يرزق فيثب على الناس فيخون أماناتهم و يسرق امتعتهم ويغصبهم أموالهم مخافة حذلان الله تعالي إياه

محاسن طلب الرزق

قال عمرو بن عتبة من لم يقدمه الحزم أخره العجز ،، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يا ابن آدم أحدث لى سفراً أحدث لك رزقاً ، وفى بعض الحديث سافروا تصموا ،، وقال الكميت بن زيد الأسدى

ولن يُزيحَ هُمومَ النَّفْسِ إن حَصرَتْ ... حاجاتُ مِثلكَ إلاَّ الرَّحْلُ والجَمَلُ

وقال أبو تمام الطائى

وطولُ مُقامِ المرءِ في الحيِّ مُخْلِقٌ ... لِدِيباجتيهِ فاغتربْ تتجدَّدِ
فإني رأيتُ الشمسَ زِيدَتْ محبَّةً ... إلى الناسِ أن ليستْ عليهم بسرمدِ

وقال بعض الحكماء لا تدع الحيلة في التماس الرزق بكل مكان فان الكريم محتال والدنيّ عيال ،، وأنشد

فسِرْ في بلادِ اللهِ والتمسِ الغِنى ... تعِشْ ذا يَسارٍ أو تموت فتعذرا
ولا تَرْضَ مِنْ عيشٍ بذُلٍ ولا تَنَمْ ... وكيف ينامُ اللَّيلَ مَنْ كانَ مُعْسِرا

وتقول العامة كلب حوّال خير من أسد رابض ، وتقول من عنى بمتاعه ضاقت عليه قدره شاتياً ،، ووقع عبد الله بن طاهر من سعى رعى ومن نزه ساء رأى لأحلاء ،، هذا المعنى سرقه من توقيعات ابو شروان فانه يقول هرك رود تحرّد هرك حسد حوات بيد ،، وأنشد

كَفَى حَزَنًا أَنَّ النَّوَى قَذَفَت بنا ... بَعِيدًا وأَنَّ الرِّزْقَ أَعْيَتْ مَذَاهِبُهْ
ولَوْ أَنَّنا إِذْ فَرَّقَ الدَّهرُ بيننا ... غِنَى واحِدٍ مِنَّا تَمَوَّلَ صاحِبُهْ
ولَكِنَّنا مِنْ دَهرِنا فِي مَؤُونَةٍ ... يُكالِبُنا طَوْرًا وطَوْرًا نُكالِبُه

وقال آخر

ومَنْ يَكُ مِثْلِي ذا عِيالٍ ومُقْتِرًا ... مِنَ المالِ يَطْرَحْ نَفْسَهُ كلَّ مَطْرَحِ
لِيَبْلُغَ عُذْرًا أَوْ يَنالَ غَنِيمَةً ... ومُبْلِغُ نَفْسٍ عُذْرَها مِثْلُ مُنْجِحِ

وقال آخر

ولَيسَ الرِّزْقُ عَنْ طَلَبٍ حَثِيثٍ ... ولَكِنِ ادْلُ دَلْوَكَ فِي الدِّلاءِ
تَجِئْكَ بِمِلْئِها حِينًا وطَوْرًا ... تَجِيءُ بِحَمْأَةٍ وقَلِيلِ ماءِ

﴿ ضده ﴾

قيل ،، وجد في بعض خزائن ملوك الفرس لوح من حجارة مكتوب عليه كل لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو فقال موسى عليه السلام حرج ليقتبس ناراً فعودي بالسوءة ،، وبلغنا عن ابن السماك انه قال لا تشتغل بالرزق المضمون عن العمل المفروض وكن اليوم مشغولاً عما أنت مسؤول عنه غداً وإياك والفضول فان حسابها يطول

قال الشاعر

إِنِّي عَلِمتُ وعِلْمُ المَرْءِ يَنْفَعُهُ ... أَنَّ الَّذِي هو رِزْقِي سَوْفَ يَأْتِينِي
أَسْعَى لَهُ فَيُعَنِّينِي تَطَلُّبُهُ ... ولَوْ قَعَدْتُ أَتانِي لا يُعَنِّينِي

وقال آخر

لَعَمْرُكَ ما كَلُّ التَّمَطُّلِ صائِرٌ ... ولا كَلُّ شُغْلٍ فِيهِ لِلْمَرْءِ مَنْفَعَه

ذا كانت الأرزاق في القرب والنوى عليك سواء فاغتنم لذة الدعه

وقال آخر

سهل عليك فإن الرزق مقدور وكل مستأنف في اللوح مسطور
أتى القضاء بما فيه لمدته وكل ما لم يكن فيه فمحظور
لا تكذبن فخير القول أصدقه إن الحريص على الدنيا لمغرور

وقال آخر

لا تعتبن على العباد فإنما يأتيك رزقك حين يؤذن فيه

وقال آخر

هي المقادير تجري في أعنتها فاصبر فليس لها صبر على حال
يوما تريش خسيس القوم ترفعه دون السماء ويوما تخفض العالي

وقال آخر

إصبر على رمن جم نوائبه فليس من شدة إلا لها فرج
تلقاه بالأمس في عمياء مظلمة ويصبح اليوم قد لاحت له السرج

وقال آخر

ألا رب راح حاجة لا ينالها وآخر قد تقضى له وهو آئس
يحول لها هذا وتقضى لغيره فتأتي الذي تقضى له وهو جالس

وقال آخر

فلما أن عييت عما ألاقي وأعيتني المسائل بالقروص
دعوت الله لا أرجو سواه ورب العرش دوفرج عريص

وقال آخر

يا صاحبَ الهمِّ إنَّ الهمَّ منفرجٌ ... أبشرْ بخيرٍ كأنْ قد فرَّجَ اللهُ

اليأسُ يقطعُ أحياناً بصاحبِهِ ... لا تيأسَنَّ فإنَّ الصانعَ اللهُ

إذا ابتُليتَ فثقْ باللهِ وارضَ بهِ ... إنَّ الذي يكشفُ البلوى هو اللهُ

وقال آخر

وإذا تُصبكَ من الحوادثِ نكبةٌ ... فاصبرْ فكلُّ بليةٍ تتكشَّفُ

محاسن المواعظ

قال الأصمعي حججت فرلت صرية فاذا اعرابي قد كوّر عمامته على رأسه وقد تمكّن قوساً فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إنما الدنيا دار ممرّ والآخرة دار مقر فخذوا من ممرّكم لمقركم ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم أما بعد فانه لن يستقبل أحد يوماً من عمره إلا سراق آخرَ من أجله فاستعجلوا لأنفسكم لما تقدمون عليه لا لما تخلفون عنه وراقبوا من ترجعون اليه فانه لا قويٌّ أقوى من خالق ولا ضعيف أضعف من مخلوق ولا مهرب من الله إلا اليه وكيف يهرب من ينقلب بين يدي طالبه وانما تُوَفَّون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلّا متاع الغرور . وقال بعض الأعراب ان الموت ليقتحم على بني آدم كاقتحام الشيب على الشباب ومن عرف الدنيا لم يفرح بها فهو خائف ولم يحزن فيها على بلوى ولا طالب أعظم من الموت ومن عطف عليه الليل والنهار ارداه ومن وكل به الموت أفناه وقال اعرابي كيف يفرح بعمر تنقصه الساعات وبسلامة بدن معرض للآفات لقد تعجبت من المرء يفرّ من الموت وهو سبيله ولا أرى أحداً الا استدركه الموت .. وقيل وجدوا في كتاب من كتب الرومي صحيفة مكتوب فيها ان حاجة الله الى عباده أن

يعرفوه فى عرفه لم يعصه طرفة عين كيف البقاء مع الفناء وكيف يأسى المرء على ما فاته والموت يطلبه .. وقال كسرى لم يكن من حقّ علمه ان يقتل وانى لنادم على ذلك (١) .. قال وحضرت الوفاة رجلا من حكماء فارس فقيل له كيف يكون حال من يريد سفراً بعيداً بغير زاد ويقدم على ملك عادل بغير حجة ويسكن قبراً موحشاً بغير أنيس

﴿ ضدّه ﴾

قيل .. لما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز جزع أبوه عليه جزعا شديداً فقال ذات يوم لمن حضره هل من منشد شعراً يعزّيني به أو واعظ يحدث عني فأتسلّى به ، فقال رجل من أهل الشام : يا أمير المؤمنين كل خليل مفارق خليله بأن يموت أو بأن يذهب الى مكان ، فتبسم عمر بن عبد العزيز وقال : مصيبتك فيك زادتني الى مصيبتي مصيبة ، وأصيب الحجاج بن يوسف بمصيبة وعنده رسول لعبد الملك بن مروان فقال. ليت أبي وجدت انساناً يخفف عني مصيبتي . فقال له الرسول . أقول . قال قل ، قال كل انسان مفارق صاحبه بموت أو بضرب أو بسائر تقع عليه من فوق البيت أو يقع عليه البيت أو يسقط في بئر أو يعشى عليه أو يكون شيء لا يعرفه ، فضحك الحجاج وقال مصيبتي في أمير المؤمنين أعظم حين وجّه مثلك رسولا

محاسن فضل الدنيا

قال عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه الدنيا دار صدق من صدقها ودار عافية لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزوّد منها مسجد أنبياء الله ومهبط وحيه ومصلى ملائكته ومتجر أوليائه يكسبون فيها الرحمة ويربحون فيها الجنة فمن ذا يذمها وقد آذنت بينها ونادت بفراقها ونعت نفسها وشوّقت بسرورها الى السرور وسلامتها الى البلاء تحذيراً

(١) — هكذا في الأصل وفي المارستان فليحرر

وتحذيراً وترهيباً فيا أيها الذام للدنيا والمغتر بغرورها [redacted] أمصارع آبائك من البِلَى أم مضاجع أمهاتك تحت الثرى كم علّلت بكفيك وكم مرضت بيديك تبتغي لهم الشفاء وتستوصف لهم الأطباء وتلتمس لهم الدواء لم تنفعهم بطلبتك ولم تشفعهم بشفاعتك ولم تستشفع بأستشفائك بطنك مثّلت بهم الدنيا مصرعك ومضجعك حيث لا ينفعك بكاؤك ولا يُجدي عنك أحباؤك ثم التفت الى قبور هناك فقال : يا أهل الثراء والعز الأرواح قد نُكحت والأموال قد قسمت والدور قد سكنت هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم ثم قال لي حصر . والله لو أدرى لهم لأخبروا بأن خير الزاد التقوى ،، وأنشد

ما أحسنَ الدُّنيا وإقبالَها ... إذا أطاعَ اللهَ مَنْ نالَها

مَنْ لم يُواسِ النَّاسَ من فضلِها ... عرَّضَ للإدبارِ إقبالَها

قال أبو حازم الدنيا طالبة ومطلوبة طالب الدنيا يطلبه الموت حتى يخرجه منها وطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى توفيه رزقه ،، وقال الحسن البصري بينا أنا أطوف بالبيت اذا انا بعجوز متسدة فقلت من أنت ، فقالت من بنات ملوك غسان ،قلت فمن أين طعامك ، قالت . اذا كان آخر النهار جاءتني امرأة مترينة فتضع بين يدي كوراً من ماء ورغيفين ، قلت لها أتعرفينها ، قالت اللهم لا ، قلت هي الدنيا خدمتِ ربك حلّ ذكره فعمت اليك الدنيا لخدمتك

﴿ ضده ﴾

زعموا أن زياد بن أبيه مرّ بالحيرة فمطر الى دير هناك فقال لخادمه لمن هذا قيل لها ادر لعرّفه بنت النعمان بن المنذر فقال ميلوا بنا اليه لنسمع كلامها فخاءت الى وراء الباب فكلمها الخادم فقال لها كلمي الأمير، فقالت أأوجز ام أطيل،قال بل أوجزي قالت كنا أهل بيت طلعت الشمس علينا وما على الأرض أحد أعزّ منا وما غابت تلك الشمس حتى رمانا عدوّنا قال فأمر لها بأوساق من شعير فقالت . أطعمتك يد

شمساء جاءت [redacted]تك يد حوطاه شبعت .. فسرّ زياد بكلامها فقال لشاعر معه قيّد هذا الكلام ليدرس .. فقال

سَلِ الخيرَ أهلَ الخيرِ قِدماً ولا تَسَلْ فتىً ذاقَ طَعْمَ الخيرِ مُنْذُ قريبِ

ويقال .. إن فروة بن إياس بن قبيصة انتهى الى دير حرقة بنت النعمان فألفاها وهي تبكي فقال لها : ما يبكيك. قالت ما من دار امتلأت سروراً إلّا امتلأت بعدك ثبوراً ثم قالت

فبينا نَسُوسُ النّاسَ والأمرُ أمرُنا إذا نحنُ فيهِمْ سُوقةٌ نتنصّفُ

فأُفٍّ لِدُنيا لا يَدُومُ نعيمُها تقلّبُ تاراتٍ بنا وتَصَرُّفُ

قال .. وقالت حرقة بنت النعمان لسعد بن أبي وقاص لا جعل الله لك الى لئيم حاجة ولا زالت لكريم اليك حاجة وعقد لك المن في أعناق الكرام ولا أزال بك عن كريم نعمة ولا أراها تعريك إلا حملك سبباً لردّها عليه.. قال وقال عبدالملك بن مروان لسلم بن يزيد العبسي أيّ الزمان أدركت أفضل وأي ملوكه أكمل . قال . أما الملوك فلم أر إلا داما وحامداً وأما الزمان فرفع أقواماً ووضع آخرين وكلهم يذم زمانه لأنه يبلي جديدهم ويهرم صغيرهم وكل ما فيه منقطع إلّا الأمل . قال فأخبرني عن نفسك . قال هم كما قال الشاعر

درَجَ اللّيلُ والنّهارُ على قومٍ بنِ عَمرٍو فأصبحوا كالرّميمِ

وحلَتْ دارُهم فأضحَتْ قِفاراً بعدَ عزٍّ وثروةٍ ونعيمِ

وكذاكَ الزّمانُ يَذهَبُ بالنّا سِ وتبقى ديارُهم كالرُّسومِ

قال فمن يقول منكم

رأيتُ النّاسَ مذْ خُلِقوا وكانوا يَخُونُ العيّ من الرّجالِ

وإن كانَ العَيُّ أقلَّ خيراً بحيلاً بالقليلِ منَ النّوالِ

فلا أذرِي عَلاَمَ وفيمَ هذا ... وما دا يَرْتَجونَ مِنَ المُحالِ
أَلِلدُّنيا فليسَ هُنالكَ دُنيا ... ولا يُرْجى لِحادِثةِ اللَّيالي

قال « أنا وقد كتمتها » قال ولما دخل عليّ صلوات الله عليه المدائن فنظر الى إيوان كسرى أنشد بعض من حضره « قول الأسود بن يعفر

ماذا أُأمّلُ بعدَ آلِ محرّقٍ ... تَرَكوا مَنازِلَهُمْ وبَعدَ إيادِ
أَهلِ الخَوَرْنَقِ والسَّدِيرِ وبارِقٍ ... والقَصْرِ ذي الشُّرُفاتِ مِنْ سِنْدادِ
نَزلوا بأَنقَرَةٍ يَسيلُ عَلَيهِمُ ... ماءُ الفُراتِ يَجِيءُ مِنْ أَطوادِ
أَرضٌ تَخَيَّرَها لِطيبِ نَسيمِها ... كَعْبُ بنُ مامةَ وابنُ أُمِّ دُوادِ
جَرَتِ الرِّياحُ على مَحَلِّ دِيارِهِم ... فكأَنَّما كانوا على مِيعادِ
فإذا النَّعيمُ وكلُّ ما يُلْهَى بِهِ ... يوماً يَصيرُ إلى بِلًى ونَفادِ

وقال عليّ صلوات الله عليه . أبلغ من ذلك قول الله تعالى ﴿كَمْ تَرَكوا مِن جَنّاتٍ وعُيونٍ وزُروعٍ ومَقامٍ كَريمٍ ونِعمةٍ كانوا فيها فاكِهينَ كذلكَ وأَورَثْناها قَوْماً آخَرينَ فَما بَكَتْ عليهِمُ السَّماءُ والأَرضُ وما كانوا مُنظَرينَ﴾ « وقال عبدالله بن المعتز أهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نيام « وقال غيره طلاق الدنيا مهر الجنة » وذكروا ان اعرابيا ذكر الدنيا فقال هي حمة المصائب رقة المشارب « وقال آخر الدنيا لا تمتلك بصاحب « قال ابو الدرداء من هوان الدنيا على الله تعالى انه لا يعصى إلّا فيها ولا يُنال ما عنده إلّا بتركها « وقال اذا أقبلت الدنيا على امرئ اعارته محاسن غيره واذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه وقال الشاعر

أَيا دُنيا حَسَرْتِ لنا قِناعاً ... وكانَ جَمالُ وَجْهِكِ في النِّقابِ
ديارٌ طالما حُجِبَتْ وعَزَّتْ ... فأَصبَحَ أَدْنُها سَهْلَ الحِجابِ

وقد كانت لنا الأيامُ ذلّتْ فقد قرنتْ بأيامٍ صعابِ
كأنّ العيشَ حيها كانَ ظلاً يقلّبهُ الزمانُ إلى ذهابِ

قال الأصمعي : وُجد في دار سليمان بن داود عليه السلام على قُبّة مكتوباً :

ومَنْ يحمدِ الدّنيا لشيءٍ يسرّهُ فسوفَ لعمري عن قريبٍ يلومُها
إذا أدبرتْ كانتْ على المرءِ حسرةً وإن أقبلتْ كانتْ كثيراً همومُها

وكان ابراهيم بن أدهم ينشد

نُرقّعُ دُنيانا بتمزيقِ ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقّعُ

وقال أبو العتاهية

يا مَنْ ترفّعَ بالدّنيا وزينتِها ليسَ الترفّعُ رفعَ الطينِ بالطينِ
إذا أردتَ شريفَ القومِ كلّهمِ فانظرْ إلى ملكٍ في زيِّ مسكينِ
ذاكَ الذي عظُمتْ في النّاسِ همّتهُ وذاكَ يصلُحُ للدنيا وللدّينِ

وقال آخر

هبِ الدّنيا تُساقُ إليكَ عفواً أليسَ مصيرُ ذاكَ إلى زوالِ

وقال محمود الوراق

هيَ الدّنيا فلا يغرُرْكِ منها خصائلُ تستميرُ ذوي العقولِ
أقلّ فليلها يكفيكَ منها ولكنْ استَ تقنعُ بالقليلِ
تُشيدُ وتبتني في كلّ يومٍ وأنتَ على التّحفّرِ للرّحيلِ
ومنْ هذا على الأيّامِ تبقى مصارعُهُ بمدرجةِ السّيولِ

وقال آخر

دُنيا تداولها العبادُ ذميمةً شيبتْ بأكرهِ من جميعِ الخطّلِ

وثباتُ دُنيا ما تزالُ مُلِمَّةً مِنها فجائعُ مثلِ وقعِ الجَندَلِ

وقال آخر

حتّى متى أنت في دُنياكَ مُشتغِلٌ وعاملُ اللهِ بالرّحمنِ مشغولُ

وقال ابو نواس الحسن بن هانئ

دَعِ الحرصَ على الدُّنيا وفي العيشِ فلا تطمَعْ
ولا تجمَعْ لكَ المالَ فما تدري لِمَنْ تجمَعْ
ولا تدري أفي أرضٍ لكَ أمْ في غيرِها تُصرَعْ

قال الأصمعي : سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول بينا أنا أدور في بعض الدراري اذا أنا بصوت

وإنّ امرأً دُنياهُ أكبَرُ هَمِّهِ لمُستمسِكٌ منها بحَبلِ غُرورِ

فقلت : هاتِ أم حقّ فلم يجبني أحد فمشيت على حائطي ،، قال وسمع يحيى بن خالد بن البدوي في صفة الدنيا

حتوفُها رَصَدٌ وعيشُها نَكَدٌ وشِرْبُها رَنَقٌ ومُلكُها دُوَلُ

فقال : لقد نظم في هذا البيت صفة الدنيا ،، قال وسمع المأمون بيت أبي نواس

إذا امتحنَ الدُّنيا لبيبٌ تكشّفَتْ له عن عَدوٍّ في ثيابِ صَديقِ

فقال : لو سئلت الدنيا عن نفسها ما وصفة نفسها كصفة أبي نواس ،، وقيل للحسن البصري : ما تقول في الدنيا ، قال : ما أقول في دار حلالها حساب وحرامها عقاب فقيل له : سمعنا كلاما أوجز من هذا قال بل كلام عمر بن عبد العزيز كتب اليه عديّ بن أرطاه وهو على حمص ان مدينة حمص قد تهدمت واحتاجت الى صلاح حيطانها فكتب اليه حصنها بالعدل ونقّ طرقها من الظلم والسلام

محاسن الزهد

محمد بن الحسن عن أبي همام وكان قد عرف صيفنا قال : كنت معه في طريق مكة فلما نعدنا في الرمل نظر الي ما تلقى الابل من شدة الحر فبكى صيم فقلت : لو دعوت الله أن يمطر علينا كان أخف على هذه الابل قال فنظر الى السماء وقال : إن شاء الله فعل قال فوالله ما كان إلا أن تكلم حتى نشأت سحابة فمطرت ،، وعن عطاء بن يسار ان أبا مسلم الخولاني خرج الي السوق بدرهم يشترى لأهله دقيقاً فعرض له سائل فأعطاه نصفه ثم عرض له سائل آخر فأعطاه الباقي فأتى النحارين فملأ مِزْوَدَه من نشارة الخشب وأتي منزله فألقاه وخرج هارباً من أهله فأخذت المرأة المزود فاذا دقيق خوّارَي لم تر مثله فصنعته وخبزته فلما جاء قال من أين لك هذا قالت الدقيق الذي جئت به ،، وعن أبي عبد الله القرشي عن صديق له قال . دخلت بئر زمزم فاذا بشخص يترع الدلو بما لي الركن فلما شرب أرسل الدلو فأخذته فشربت فضلته فاذا هو سويق لم أر أطيب منه فلما كانت القابلة في ذلك الوقت جاء الرجل وقد أسدل ثوبه على وجهه ونزع الدلو فشرب ثم أرسله فأخذته فشربت فضلته فاذا هو ملآن مصروف بالعسل ثم أرسلته فوجدته أطيب منه فأردت أن أخذ طرف ثوبه فانظر من هو فعدتني فما كان في المسجد غالية فعدت قبالة زمزم في ذلك الوقت فجاء الرجل وقد أسدل ثوبه على وجهه فنزع بالدلو فشرب وأرسله وأخذته وشربت فضلته فاذا هو أطيب من الأول فقلت يا هذا أنت رب هذه النية من أنت ، قال اكتم علىّ حتى أموت ، قلت نعم قال أنا سفيان الثوري وكانت تلك الشربة تكفيني اذا شربتها الي مثلها لا أجد جوعا ولا عطشا . وقال الاصمعي رأيت اعرابياً يكدح جبهته بالأرض يريد أن يجعل سجوده فقلت ما شأنك قال اني وجدت الاثر في وجه الرجل الصالح ،، وقال الشاعر

كيفَ يَبْكي لمَحْبَسٍ في طُلُولٍ ... مَنْ سَيَقْضي يَوْمَ حَبْسِ طَوِيلِ

إنَّ في النَّعْشِ والحِسابِ لَشُغْلاً ... عن وُقوفٍ بِرَسْمِ رَبْعٍ مُحِيلِ

وقال آخر

إنّ الشقيّ الذي في النّار منزله ... والفوز فوز الذي ينجو من النّار
يارب أسرفت في ذنبي ومعصيتي ... وقد علمت يقيناً سوء آثاري
فاغفر ذنوباً إلهي قد أحطت بها ... ربّ العباد وراحمني عن النّار

وقال ذو الرمة

تعصي الإله وأنت تظهر حبّه ... هذا محال في القياس بديع
لو كان حبّك صادقاً لأطعته ... إنّ المحبّ لمن يحبّ مطيع

وقال أبو نواس

أيا عجباً كيف يعصى الإلـ ... ـه أم كيف يجحده الجاحد
ولله في كلّ تحريكة ... وتسكينة فاعلمن شاهد
وفي كلّ شيء له آية ... تدلّ على أنّه واحد

وقال أيضا

سبحان من خلق الخلـ ... ـق من ضعيف مهين
يسوقهم من قرار ... إلى قرار مكين
يحور خلقاً فخلقاً ... في الحجب دون العيون
حتّى بدت حركات ... مخلوقة من سكون

وقال آخر

أحي ما بال قلبك ليس يبقى ... كأنّك ما تظنّ الموت حقّاً
ألا يا أيها الدين مضوا وبادوا ... أما والله ما دهروا لتبقى

وما لكَ غيرَ تقوَى اللهِ زادٌ ... إذا جعلَتْ إلى اللهواتِ ترْقَى

وقال آخر

يا قلبُ مهلاً وكنْ على حذَرٍ ... فقدْ لعَمْري أُمرتَ بالحذَرِ

ما لكَ بالتُّرهاتِ مُشتغِلاً ... أفي يديكَ الأمانُ من سقَرِ

وقال آخر

إنْ كنتَ تؤمنُ بالقيا ... مةِ واجترأتَ على الخطيّه

فلقدْ هلكتَ وإنْ جحدْ ... تَ فذاكَ أعظمُ للبليّه

وقال آخر

وأفنيةُ الملوكِ محجّباتٌ ... وبابُ اللهِ مبذولُ الفِناءِ

فما أرجو سواهُ لكشفِ ضُرّي ... ولا أفزعُ إلى غيرِ الدُّعاءِ

ولا أدعو إلى اللأواءِ كهفاً ... سوى مَن لا يصمُّ عن الدُّعاءِ

﴿ ضده ﴾

قيل .. كان [illegible] يصلي في بعض المساجد فوقف المؤذن [illegible] فصرانية وقرع بابه عليه فخرج اليه فقال له المؤذن أتؤمن . قال . أنت خصيم [illegible] يا هذا رد الباب . قال وقيل للقيني ما أيسر [illegible] . قال [illegible] الدير [illegible] الدير قال [illegible] نزلت بدير نصرانية فأكلت عندها شيئاً [illegible] وسرقت كساءها وخرجت (١) [illegible]

(١) [illegible]

ماء حان فقام أحدهم يصلي والباقون جلوس فمرت بهم نملة فقالوا دُلّيا على نملة قالت نعم كم أنتم ، قالوا نحن أربعة ، فأومى الذى يصلى بيده سبحان الله أنا الخامس .. وقال الشاعر

وإنّني في الصّلاةِ أحضُرُها ... صَحْكَةُ أهلِ الصّلاةِ إنْ شَهِدُوا
أقعُدُ في سَجْدَةٍ إذا رَكعوا ... وأرفعُ الرّأسَ إنْهُمُ سَجَدوا
أسجُدُ والقومُ راكعونَ معاً ... وأسرِعُ الوثبَ إنْهُمُ قَعَدوا
فلَستُ أدري إذا هُمُ فَرَغوا ... كمْ كانَ تلكَ الصّلاةُ والعَدَدُ

وقال آخر

وأُصَلّي فأعلَطُ الدّهرَ فيما ... بينَ سَبْعٍ وأربَعٍ وثمانِ
ومواقيتُ حيثُ لستُ أدري ... ما أذانٌ مُوَقّتٌ مِنْ أذانِ

وقال آخر

نِعمَ الفتى لو كانَ يعرِفُ ربّهُ ... ويقيمُ وقتَ صلاتِهِ حمّادُ
عدَلَتْ مَشافِرَهُ الدّبانُ فأصبَحَتْ ... مِثلُ القَدُومِ يَشُقُّهُ الحدّادُ
فابيَضّ مِنْ شُرْبِ المُدامةِ وجهُهُ ... فبياضُهُ يومَ الحِسابِ سَوادُ

وقال آخر

إنْ تقرَأ العادِياتِ في رجَبٍ ... لم يَعدُ منها إلاّ إلى رَجَبِ
إنّا نحنُ لا نَستَضيمُ في سَنَةٍ ... نحتِمْ تأتْ يدا أبي لَهَبِ

محاسن النساء النادبات

قيل ،، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحسن قول الخنساء في صخر أخيها

لا بُدَّ مِنْ مَيْتَةٍ في صَرْفِها عِبَرٌ ... والدَّهْرُ مِنْ شأنِهِ حَوْلٌ وإصْرارُ
وإنَّ صَخْراً لتَأتَمُّ الهُدَاةُ بِهِ ... كأنَّهُ عَلَمٌ في رأسِهِ نارُ

وقيل للخنساء صفي لنا صخراً فقالت كان معقلَ السنة الغبراء ومُعاذ الكتيبة الحمراء قيل فمعاوية قالت حياء الحديقة اذا بزل وقرى الضيف إذا حل قيل فأبهما كان عليك أحمى قالت أما صخر فسقام الحسد وأما معاوية فحمرة الكبد ،، وأنشدت

أَسَدَانِ مُخْمَرَّا المَخالِبِ مَخْدَةَ ... عِيشَانِ في الرَّمَضِ العَصوبِ الأعْسَرِ
قَمَرَانِ في النَّادِي رَفيعا مَحْتِدٍ ... في المَجْدِ فَرْعا سُؤْدَدٍ مُتَخَيِّرِ

وروى انها دخلت على عائشة أم المؤمنين وعليها صدار من شعر فقالت لها عائشة أتحدين الصدار وقد نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا أم المؤمنين ان زوجي كان رجلا متلافاً مسرفاً فقال لي لو بقيت معدومه فستعتيه فخرجت وقد لقيني سحر فأخبرته فشاطرني ماله ثلاث مرات فسألته امرأته لم أعطيتهم من سررها — تعني الابل — فقال

باللهِ لا أَمْنَحُهـــا نِمَارُها ... وهي حَصانٌ قد كفى عارُها
وإنْ هلكتْ مَرَّقتُ خِمارَها ... وتَحمَدُ من شعرِ صِدَارُها

فلما هلك صخر اتخذت هذا الصدار وذكرت أن لا يزال حي يموت ،، فأخبر ابن معن السلمي حدثني أبي قال دخلت على الخنساء في الجاهلية وهي تنوح ابنها وهي تحقر ابنها فكلمتها في طرح الصدار فقالت يا ابن أخي ما لأحد من شعر وأطيب منك درسا وأرق منك نعلا ولا أكرم منك نعلا قد عشت حتى رأيت

عن بعض أشياخه ان عمر بن الخطاب قال للخنساء : ما أقرح ما آقي عينيك ، قالت : بكائي على السادات من مضر ، قال : يا خنساء انهم في النار ، قالت . ذلك أطول لعويلي .. ومما اخترنا من أشعارها قولها

تَعَرَّقَنِي الدَّهرُ قَرْعاً وعَمْزا ... وأَوْجَعَنِي الدَّهرُ نَهْشاً ووَخْزا
وأَفْنى رِجالي فبادوا معاً ... فأَصْبَحَ قلبي لهُمْ مُسْتَفِزّا
كأَنْ لم يكونوا حِمىً يُتَّقى ... إذ الناسُ إذ ذاكَ مَنْ عَزَّ بَزّا
وكانوا سَراةَ بني مالكٍ ... ورَبْنَ العَشيرَةِ مَجْداً وعِزّا
وهم في القديمِ صِحاحُ الأَديمِ ... والكائنونَ مِنَ الناسِ حِرْزا
بسُمرِ الرِّماحِ وبيضِ الصِّفاحِ ... فالبيضُ صَرْماً والسُّمرُ وَخْزا
حَرَزْنا نَواصيَ فُرْسانِكُمْ ... وكانوا يَظُنُّونَ أَنْ لا تُحَرَّزا
ومَنْ ظَنَّ مِمَّنْ يُلاقي الحروبَ ... بأَنْ لا يُصابَ فقد ظَنَّ عَجْزا
نَعِفُّ ونَصْدُقُ حَقَّ القِرَى ... ونَتَّخِذُ الحَمْدَ ذُخْراً وكَنْزا
ونَلْبَسُ في الحربِ لَبْسَ الحَدِيدِ ... وفي السِّلْمِ نَلْبَسُ حَرّاً ومَرّا

وروي خبر الخنساء من جهة أخرى ذكروا انها أقامت حاجّة فمرّت بالمدينة ومعها أناس من قومها فأتوا عمر بن الخطاب فقالوا هذه خنساء فلو وعظتها فقد طال بكاؤها في الجاهلية والاسلام فقام عمر وأتاها وقال يا خنساء قال فرفعت رأسها فقال ما تشتهي وما الذي تريد ، فقالت ما الذي أقرح ما آقي عينيك ، قالت البكاء على سادات مضر . قال انهم هلكوا في الجاهلية وهم أعضاد اللهب وحشو جهنم قالت فداك أبي وأمي فدلك لذي رادني وحمداً ، قال فأنشدني ما قلت ، قالت . انما انى لأنشدك ما قلت قبل اليوم ولكني أنشد ما قلت الساعة فما

سَقَى حَدَثًا أَعْرَاقُ غَمْرَةَ دونَهُ ... وَبِيشَةُ دِيماتُ الرَّبِيعِ ووابِلُه
وكنتُ أُعيرُ الدَّمعَ قَبلَكَ مَنْ بكَى ... فأَنتَ على مَنْ مات قبلك شاغلُه
وأُرْعِيهِمُ سَمْعِي إذا ذَكَروا الأَسَى ... وفي الصَّدْرِ مِنِّي زفرةٌ لا تُزايلُه

فقال عمر : دعوها فإنها لا تزال حزينة أبداً .. ثم إن الأحيلية عاتبها رجل من قومها .. فقال

أَلاَ حَيِّيَا لَيْلَى وقولا لها هَلاَ ... فقد رَكِبَتْ إِثْرًا أَعَرَّ مُحَجَّلا

فأجابته

تُعَيِّرُنِي داءً بأُمِّكَ مِثْلَه ... وأَيُّ حَوَادٍ لا يُقَالُ له هَلاَ

وذكروا أنها دخلت على عبد الملك بن مروان فقال لها يا ليلى هل بقي في قلبك من حب توبة في الفتيان شيء ، قالت وكيف أنساه وهو الذي يقول يا أمير المؤمنين

ولو أَنَّ لَيْلَى فِي دُرَى مُتَمَنَّعٍ ... شَحَطْنَ لَاَلْتَمَّتْ عليَّ فُصُورُها
حَمَامَةَ بَطْنِ الوادِيَيْنِ تَرَنَّمِي ... سَقَاكِ مِنَ الغُرِّ الغَوَادِي مَطِيرُها
أَيِبْنِي لَمَا لا زالَ رِيشُكِ أَعْمًا[1] ... وَبَيْضُكِ فِي حِصْنٍ عَصِيٍّ نَصِيرُها
تقولُ رِحالٌ لا يَصِيرُكَ بَعْدَها ... بَلَى كُلُّ مَا شَفَّ النُّفُوسَ يَصِيرُها
أَيَذْهَبُ رَيْعَانُ الشَّبَابِ ولَمْ أَزُرْ ... كَوَاعِبَ فِي هَمْدَانَ يَبْصَلُ حُورُها

قال نشدتك الله أن تذكريه .. ولتوبة في ليلى الأحيلية

ولو أَنَّ لَيْلَى الأَحْيَلِيَّةَ سَلَّمَتْ ... عليَّ ودُونِي جَنْدَلٌ وصَفَائِحُ
لَسَلَّمْتُ تَسْلِيمَ البَشَاشَةِ أَوْ زَقَى ... إِلَيْهَا صَدَى مِنْ جَانِبِ القَبْرِ صَائِحُ
ولو أَنَّ لَيْلَى فِي السَّمَاءِ لَأَصْعَدَتْ ... نَظَرِي إِلَى لَيْلَى العُيُونُ اللَّوَامِحُ

(١) ـ رواية أبي علي القالي في أمالية ... ولا زال رجل عصم نصيرها

فلما مات توبة مرّ روح ليلى ملبل على قبره فقال : لها سلمي على توبة فانه زعم في شعره انه يسلم عليك تسليم البشاشة . فقالت ما تريد الى من بليت عظامه ، فقال :والله لتفعلن ، فقالت وهي على البعير " سلام عليك يا توبة في الجنان ، وكانت قطاة مستظلة في نقب من نقب القبر فلما سمعت الصوت طارت وصاحت فنفر البعير ورمى بليلى فماتت فدفنت الى جنب قبر توبة .. قال وسأل الحجاج ليلى هل كان بينك وبين توبة ريبة قط ، قالت لا والدي أسأله صلاحك الا انه مرّة قال لي قولاً طمعت انه خضع لبعض الأمر .. فقلت له

وِدِّي حاجةٍ قلما لهُ لا تَبُحْ بها ... فليسَ إليها ما حَيِيتُ سبيلُ
لنا صاحِبٌ لا يَنبغي أن نَخونَهُ ... وأنتَ لأُخرَى فارِعٌ وخَليلُ

فما كلمني بعد ذلك شيء حتى فرّق بيني وبينه الموت ، قال الحجاج فما كان بعد ذلك ، قالت لم يلبث أن قال لصاحب له اذا أتيت الحاضر من بني عامر فقل بأعلى صوتك

عَمَا اللهُ عنها هل أَبِيتَنَّ ليلةً ... مِنَ الدَّهرِ لا يَسْرِي إليَّ خَيالُها

فلما سمعت الصوت خرجت فقلت

وعنهُ عَفا رَبِّي وأَحسنَ حالَهُ ... تَعِزُّ علينا حاجةٌ لا يَنالُها

قال ودخلت ليلى على الحجاج فأنشدته .. قولها فيه

إذا نَزَلَ الحَجَّاجُ أَرْضاً سَقيمةً ... تَتَبَّعَ أَقصَى دائِها فشفاها
شَفاها مِنَ الدَّاءِ العُضالِ الذي بِها ... غُلامٌ إذا هَزَّ القَناةَ ثَناها
أَحَجَّاجُ لا تُعطي العُصاةَ مُناهُمُ ... ولا اللهُ يُعطي للعُصاةِ مُناها

فوصلها الحجاج بألف دينار وقال لو قالت بدل غلام همام لكان أحسن .. هند بنت عتبة أم معاوية بن أبي سفيان قبل لما قتل شيبة وعتبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة رثتهم هند .. فقالت

إني رأيتُ سِدادًا بعدَ إصلاحِ ... في عبدِ شمسٍ فقلبي غيرُ مُرتاحِ
هاجتْ لهُمْ أدمُعٌ تترى ومَنبعُها ... مِن رأسِ مَحزُوبةٍ ما إنْ لها لاحي
لمّا تنادَتْ بنو فهرٍ على حَنَقٍ ... والموتُ بينهمُ ساعٍ لأرواحِ
كأنّما النَّسعُ في قتلى مُصرَّعةٍ ... سُرُحٌ أضاءتْ على جُدرٍ وألواحِ
يا آلَ هاشمٍ أنّا لا نُصالحُكمْ ... حتّى تَرَى الخيلَ تَردِي كلُّ كمّاحِ
إنْ يُمسِكِ اللهُ يومًا مِن هريرتِكمْ ... يُورِثْ بساحتِكمْ داءً يتقرّاحِ

فاجابتها عمرة بنت عبد الله بن رواحة الانصارى

يا هندُ مَهلاً لقد لاقيتِ مَهبلةَ ... يومَ الأعِنَّةِ والأرواحُ في الرّاحِ
أُسْدٌ عَطارِفةٌ غُرٌّ حَحاحِحةٌ ... أبناءُ مُحصِنةٍ بيضٌ لحَجْحاحِ
هُنالكَ الفوزُ والرِّضوانُ إنْ صبَرُوا ... معَ الرَّسولِ فما آبوا بتقْاحِ
اللهُ أهلكَهمْ والأوسُ شاهدةٌ ... والخَزرَجُ العُرُّ فيهمْ كلُّ مُحتاحِ
لا تَبعَدَنْ فإبي غيرُ صارِحةٍ ... وكيفَ تصرَخُ ذاتُ البَعلِ بالصاحِ

النساء المأبنات

قال سابال بن عبد الملك أنشدونى أحسن ما سمعتم من شعر النساء فقال بعضهم يا أمير المؤمنين سار رجل من العرفاء في بعض ضرقاته إذ أحدثه النساء فوقف تحت مطله ليستكن من المطر وجارية مسرقة عليه فلما رأته حدقته بحجر فرفع رأسه وقال

لو شفّاحةٍ رَميتِ رَجونا ... وبنَ الرمي بالحصاةِ جماءُ

فاجابته

ما جهلنا الذي ذكرت من الشكـــل ولا بالذي تراه خفاه

وداية معها فقالت

قد بدا تيه ما ذكرت وجدي ليت شعري فهل لهذا وفاه

وسائلة في الباب فقالت

قد لعمري دعوتها فأجابت هي داء وأنت منه شفاه

قال سليمان قاتلها الله هي والله أشعرهم

(عنان جارية الباطنيّ) قال الدلولي دخلت يوما على عنان وعندها رجل اعرابي فقالت يا عمّ لقد أتى الله بك . قلت وما ذاك . قالت هذا الاعرابي دخل عليّ فقال علمي انك تقولين الشعر فقولي بيتاً فقلت لها قولي فقالت قد أُرتج عليّ فقل أنت فقلت

لقد جدّ الفراق وعيل صبري عشية عبرهم للبين رمّت

فقال الاعرابي

نطرت إلي أواخرها صحيحاً وقد باتت وأرض الشام أمّت

فقالت عنان

كتمت هواكم في الصدر مني على أنّ الدموع علي نمّت

فقال الاعرابي أنت والله أشعرنا ولولا انك محرمة رحل لقلتك ولكني أقلّ الدلو . وقال بعضهم دخلت على عنان فاذا عليها قميص يكاد يقطر صمغه وقد تناولها صديقها ضرب شديد وهي تبكي فقلت

إنّ عيناً أرسلت دمعها كالدرّ إذ ينسلّ من سمطه

فقالت وأشار لي مولاه

فأنت من يضربها ظالماً تحف بيماه على سوطه

فقال مولاها هي حرة لوجه الله ان صرتها طالقاً أو غير طالق .. قال واجتمع ابو نواس والعسل الرقاشي والحسين الخليع وعمرو الورّاق ومحكم بن رزين والحسين الخياط في منزل عمار فتشاوروا الى وقت العصر فلما أرادوا الانصراف قالوا أين نحن الليلة فكل قال عندي ، فقالت عمار بالله قولوا شعراً وارصوا لمحكم .. فقال الرقاشي

عذراء ذاتُ احمرارٍ ... إني بهـا لا أُحاشي
قوموا نداماي روّوا ... مُشاشكمْ من مُشاشي
وناطحوني كؤوساً ... بطاحَ صلْبِ الكباشِ
وإنْ تكلتْ فحالٌ ... لكمْ دمي ورِياشي

فقال أبو نواس

لا بدّ إليّ تِقـاق ... قوموا نشا نحياني
قومـوا بلذّ جميعاً ... بقولِ هاكِ وهاتِ
فإنْ أردتمْ فتاةَ ... أيمنكم بتاتي
وإنْ أردتم غلاماً ... صدقموني سوَاتي
فبادروه بحسوٍ ... في وقتِ كلِّ صلاة

وقال الحسين الخليع

قوموا الخليعَ فتومو ... إلى شرابِ الخليعِ
إني شربتُ بكأسٍ ... وكلّ حدٍّ بدمعِ
وبيتُ حوى رحيقٍ ... كحدّ سيفٍ صريعِ
قوموا نداوي وسيكاً ... من مثلِ مثنى رفيعِ

وقد ورق

قوموا إلي بيتِ عمرو إلي سماعٍ وخمرِ
وساقياتٍ عليا تطاعُ في كلِّ أمرِ
وبيتري رخيمٍ يزهو بجيدٍ ونحرِ
هذاكَ ربٌّ وإنْ شئتمْ أتينا بخمرِ
هذا وليسَ عليكمْ أولى ولا وقتُ عصرِ

وقال محكم بن رزين

قوموا إلي دارِ لهوٍ وطلِّ بيتٍ دهينِ
فيهِ منَ الورْدِ والمرْ زنجوشِ والياسمينِ
وريحِ مسكٍ ذكيٍّ وجيدِ الرخونِ
قوموا فصيروا جميعاً إلي الفتى ابن رزينِ

فقال الحسين الخياط

قصتْ عمانُ عليا بأنْ نزورَ حسينا
وأنْ نقرَّ لديهِ بالقصفِ واللهِ عينا
فما رأينا كطرفِ الحسينِ فيما رأينا
قد قربَ اللهُ منهُ رياً وباعدَ شينا
قوموا وقولوا أحزنا ما قد قضيتِ علينا

وقالت عمان

مهلاً فديتكَ مهلاً عمانُ أحرى وأولى
بأنْ تنالوا لديها أسنى النعيمِ وأحلى

فإنّ عندي حَرَاماً مِنَ الشَّرابِ وحلاً
لاتطمعوا فى سوائى من البَرِيَّةِ كلاً
يا سادَتي خبِّروني أجازَ حكمي أمْ لا

فقالوا حيما . قد أحزنا حكمك وأقاموا عندها ،، قال وكنت عاد الى الفضل ابن الربيع

كُنْ لي هُدِيتَ إلى الخليفةِ سلّما تُورِكْتَ يا ابنَ وزيرِهِ من سُلَّمِ
حُثَّ الإمامَ على شرَاى وقلْ لهُ ريحانةٌ ذُخِرَتْ لأنفكَ فاشْمَمِ

وكانت عاد تتوقّى أبا نواس وتخاف هجوه وسبه ،، وفيها يقول

عنانْ يا مَنْ تُشبِهُ الظبيا أنتمُ على الحبِّ تلوموا
حسنكِ حسنٌ لا يُرَى مثلُه قد تَرَكَ النّاسَ مجانينا

فتهيأت لأبى نواس وتصنع له الى أن صار اليها فرأى عندها نفس وجوه أهل بغداد فأحب أن يجتاز فقال لها

ما أمْرُ بين لصبّ يكفيهِ مسكُ قطيره

فقالت يا أبَا تعني بهذ عبيك فاحلد عمير

فقال إنى أخافُ وربّي على يَدي من عبيره

فعلمت عليك أمك بكر فيه كبدَ بعيره

فأحضره وشرح الخبر حتى تم الرشد وسمعوه وهو يقول من الدعابي فجذب اليه فقال له يا سيدي ، قالت أيها السيدي قد * ما تأمرين لصب *
قد قدمتي الخبر في هذا الأمر المؤمن ، قد تبين كيف قد قال ،

يا قمر بهذه مسك فاحلد عمير ،

فضحك الرشيد وطلبها من مولاها فاستام فيها مالاً جزيلا فردها

(عريب جارية المأمون)

وأنتمُ أناسٌ فيكمُ العذرُ شيمةٌ ... لكمْ أوجهٌ شتّى وألسنةٌ عشرُ

عجبتُ لقلبي كيفَ يصبو إليكمُ ... على عظمِ ما يلقى وليسَ لهُ صبرُ

(فضل الشاعرة) حدثنا القاسم بن عبد الله الحراني قال كنت عند سعيد بن حميد الكاتب ذات يوم وقد اقتصد فأتته هدايا فضل الشاعرة أهدى له ألف دجاجة وألف طبق رياحين وطيب وعنبر وغير ذلك فلما وصل ذلك كتب اليها ان هذا يوم لا يتم سروره الا بك وبحضورك وكانت من أحسن الناس صوتاً بالعود وأملحهم صوتاً وأجودهم شعراً فأتته فضرب بينه وبينها حجاب وأحضر قوما بندماه ووضعت المائدة وجيء بالشراب فلما شربوا أقداحا أخذت عودها فغنت بهذا الشعر والصوت لها والشعر والأبيات هذه

يا مَنْ أطالَتْ تعرّضي ... في وَجْهِهِ وتنفّسي

أفديكَ من متدلّلٍ ... يزهو بقتلِ الأنفسِ

هنّي أسأتُ وما أسأ ... تُ بلى أقولُ أنا المسي

أحلفتني أنْ لا أسا ... رقَ نظرةً في عطفي

فطرحتُ نظرةَ عاشقٍ ... أنعمْ بها نفسي

ونسيتُ أني قد حلفتُ ... فما يقالُ لمن نسي

وصرت أيضاً وغنت

عادَ الحبيبُ إلى الرّضا ... فصفحتُ عمّا قد مضى

من بعدِ ما لصدودِهِ ... شمتَ الحسودُ فمرّضا

تعسَ الحسودُ فلمْ يزلْ ... لصدودنا متعرّضا

هبني أسأت وما أسأ ... ت فإن أسأت لك الرضا

قال فما أتى عليّ يوم أسرّ من ذلك اليوم

(ساحة الفرزدق) ذكروا أن الفرزدق كان مع أصحاب له فإذا هو بجارية مع مولاها فقال لأصحابه هل أحمل لكم هذه . قالوا : نعم . فقال

إنّ لي أبراً خبيثاً ... لونه يحكي الكميتا
لو يرى في السقف صدعاً ... لتحوّل عنكبوتا
أو يرى في الأرض شقاً ... لرأى حتى يموتا

فقال الجارية

روّجوا هذا بألف ... وأرى ذلك فوتا
قبل أن ينقلب الدهـ ... ـر فلا يأتي ويوتي

فحمل الفرزدق وانصرف [1]

(ساحة حمدون بن يحيى بن خالد البرمكي) قالت

عزمت على إما أن أكتم الهوى ... فصبّ ودمعي إنّي غير عاقل
فإن حان موتي لم أدعك بعصتي ... وقررت عند الموت لك قاتلي

(حديقة البارقي) ذكروا أنها أنشدت في مجلس عمرو بن مسعدة

يا أحسن العالم حتى متى ... يرفع حظ وحظ
وكيف محياي وشرّ الهوى ... من حظه ليس له حظ

فأجابت

يدركك الوصل فتحظوه ... أو يقع الحرّ فيحظ

[1] ... في هامش الأصل ... لعله ... لأبي ... في حمدون

(المصية المليحة) قال عليّ بن الجهم : كنت فى مجلس محمد بن عمرو بن مسعدة فاقبلت جارية كأنها البدر ليلة التمام ملون كأنه الدر فى الياس مع احمرار خدين كشقائق النعمان فسلمت فقال لي محمد يا ابا الحسن هذه الحبة التى كنتم توعدون ، فقالت

وما الوَعدُ يا سؤلي وغايةَ مُنيتي ... فإنّ فؤادي مِن مَقالكَ طائرُ

فقال لها محمد

أمَا وإلهِ العَرشِ ما قلتُ سيّئًا ... وما كانَ إلاّ أنّني لكِ شاكِرُ

فقال ابن الجهم

أمِنكَ فدَيتُكَ عن عِتابِ مُحمّدٍ ... هوَ المَصونُ لوِدّهِ المُتحاذِرُ

فأقبلت تحدثنا فاذا عقل كامل وحال فاضل وحسن قائل وورد مائل فقلت : لقد أقرّ الله عيناً تراك ، فقالت : أقرّ الله أعينكم ورادكم سروراً وغبطة ثم اندفعت تغني بنغمة لم أسمع أحسن منها

أرُوحُ بهمٍّ مِن هَواكَ مُبَرّحٍ ... أُباحي بهِ قلباً كثيرَ التّفكُّرِ
عليكَ سَلامٌ لا زِيارَةَ بيننا ... ولا وَصلَ إلاّ أن يشاءَ ابنُ مَعمَرِ

فما رأيتها يوما ذلك معها فى الفردوس الأعلى وما ذكرتها بعد ذلك الا اشتقت لها وأسفت عليها .. محمد بن حماد قال كنا يوما عند اسحاق بن ابراهيم وعنده جارية يقال لها شادن موصوفة بجودة ضرب العود وبحسن صوت وحسن حاذق وطرف مجلس وحلاوة وجه وأحدث العود وغنت

طَبيٌ تكامَلَ فى نِهايةِ حُسنِهِ ... فرَماهُ سهمتهِ وتاهَ بصدّهِ
فالشّمسُ تَطلعُ مِن مِرندِ جبينهِ ... والبَدرُ يَعرَقُ فى شقائقِ خدّهِ
مَلَكَ الجَمالَ بأسرِهِ فكأنّما ... حسنُ البريّةِ كلّها مِن عِندِهِ
يا ربّ هَبْ لى وَصلَهُ وبقاءَهُ ... أبَدًا فلَستُ بعائشٍ مِن بعدِهِ

فطارت عقولنا وذهلت الناس من حسن غنائها وطربها فقلت : يا سيدتي من هذا الذي تكامل في الحسن والبهاء سواك ، فقالت

فإنْ تحتَ نالتني عيونٌ كثيرةٌ وأصعفُ عن كتمانهِ حينَ أكتمُ

الأعرابيات

حدثنا ثعلب عن الفتح بن خاقان قال . لما خرج المتوكل الى دمشق كنت عديله فلما صرنا بقنسرين قطعت سحابة على النهار فأهوى ذلك اليه فوجه قائداً من وجوه قوّاده اليهم لمحاصرهم فلما قربنا من القوم اذا نحن بجارية ذات جمال وهيئة وهي تقول

أميرَ المؤمنينَ سَما إليكا سُمُوَّ البَدْرِ مالَ بهِ الغَريقُ
فإنْ تَسلمْ فعفوَ اللهِ نَرْجو وإنْ تُقتَلْ فقاتِلُنا شَريقُ

فقال لها المتوكل : أحسنت . ما حراؤها يا فتح . قلت المنّ والسنة ، فأمر لها بعشرة آلاف درهم وقال لها ارجعي الى قومك وقولي لهم لا ترتّلوا النهار على النهار فإني أعوسهم عنه .. الأصمعي قال خرجت إلى بادية فاذا أنا بجارية فيه امرأة قد وقعت فسلمت فاذا هي أحسن الناس وجها وأعذبهم كلاماً وأفصحهم لساناً فحار فيها بصري واعترتني حيرة فقالت ما وقوفك . فقلت

هلْ عندَكم منْ مَحيصِ اليوم تشرَبُه أمْ هلْ سبيلٌ إلى تقبيلِ عينيك
فلستُ أنسى سوَى عينيكِ مَعرِفةً أمْ هل تحودني لما عصا حدَقيك
أو تأذَنينَ بريقٍ منكِ أرْشفُهُ ولمسِ نصلكِ أو تعميرِ تدميكِ
رُدّي الحَوابَ على مَنْ زادَهُ كلفاً تكريرُهُ الطرْفَ في حذْفِ سيفيك

فرفعت رأسها إليّ وقالت يا شيخ ألا سعى رجع الى أهلك وأرغب في مثلك

.. وقال بعضهم رأيت أعرابية بالساح وعلى لها . أتنشدين . قالت نعم فى مثلك ورب الكعبة . قلت : فأنشدينى . فأنشأت تقول

لا بارَكَ اللهُ فيمَنْ كانَ يُخْبِرُني ... أنَّ المُحِبَّ إذا ما شاء يَنْصَرِفُ
وَجْدُ المُحِبِّ إذا ما بانَ صاحِبُهُ ... وَجْدُ الصَّبِيِّ شَذَيْ أُمِّهِ الكَلِفُ

قال قلت لها انشديني من قولك فقالت

بنَفْسي مَنْ هَواهُ على التَّنائي ... وطولُ الدَّهرِ مُؤْتَنِقٌ حَدِيدُ
ومَنْ هوَ فى الصَّلاةِ حَدِيثُ نفسى ... وعَذْلُ الرُّوحِ عِندى بل يَزِيدُ

فقلت لها ان هذا كلام من قد عشق . فقالت وهل يعرى من ذلك من له سمع وقلب ثم أنشدتنى

ألا بأبى واللهِ مَنْ ليسَ ناهِيَ ... نَسِيٌّ ولا قلبي على الوَجْدِ شاكِرُه
ومَنْ كَبِدِي تَهْوى إدادُ كراسِمُهْ ... نَسِيٌّ ومَنْ قلبي على النَّأْيِ ذاكِرُه
لهُ خفقانٌ يَرْفَعُ الجَيْبَ بالشَّجى ... ويَقْطَعُ أَزْرارَ الجُرْبَّانِ نائرُه

قال وكتب عمر بن أبي ربيعة الى امرأة بالمدينة

بَرَزَ البَدْرُ فى حَوارٍ تَهادَى ... عُطُفَاتِ الخُصورِ مُعْتَجِرَاتِ
فتَنَفَّسْتُ ثمَّ قلتُ لِبَكْرٍ ... عُلِّلَتْ فى الحَياةِ لى حَيَاتِ
هلْ سَبِيلٌ إلى الَّتى لا أُبالي ... بَعْدَها أَنْ أَمُوتَ قبلَ وَفَاتِى

فأجابه

قدْ أَتانا الرَّسولُ بالأَمْسِ بالأَمْـ ... ـسِ فى كِتابٍ قدْ خُطَّ بالتُّرَّهاتِ
جائرُ الطَّرْفِ إنْ نَطَقْتَ وماطَرْ ... فْتَ عدِى بصادِقِ النَّظَراتِ
غُرَّ غيرِى فقدْ عَرَفْتُ لغيرِى ... عَهْدَكَ الحائنَ القليلَ الثَّباتِ

المتكلمات

حدث عمر بن يزيد الأسدي قال : مررت بخرقاء صاحبة ذي الرمة فقلت لها هل حججت قط ، قالت . أما علمتَ اني مذ سلك من مناسك الحج ما سعك أن تسلم علي أما سمعت قول عمك ذي الرمة

تمامُ الحجِّ أنْ تقِفَ المطايا ... على خَرْقاءَ واضعةَ اللِّثامِ

فقلت لها لقد أثر فيك الدهر. قالت . أما سمعت قول العجيف العقيلي حيث يقول

وخَرْقاءَ لا تزدادُ إلاّ مَلاحةً ... ولو عُمِّرتْ تعمير نوحٍ وجلَّتِ

قال ورأيتها وان فيها لبشره وان ديباجة وجهها لمريه كأنها فتاة وانها لتريد يومئذ على المائة ولقد حدثت انه شب بها ذو الرمة وهي ابنة ثمانين سنة . وحدث رجل من بني أسد قال أدركت ميا صاحبة ذي الرمة وكان الرجل أعور قال ورأيتها في نسوة من قومها فمالت أهدم مني وأومأت اليها فقالت لهم فقالت ما أدري ما كان محمد الرمة منك وما أراك على ما كان بصفة ، فشمرت الصعدة وقالت له كان يمر إليّ بعينين وأنت تمر إليّ بعين واحدة وروى الأصمعي عن رجل من أهل الشام قال . قدمت المدينة فقصدت منزل ابن هرمة فاذا هية له بلص فقلت لها ما فعل أبوك . قالت وفد الى بعض الاخوان قلت فالحري لك بوده وما أصابوك . قالت يا عم والدي حالفك ما عدا بي قالت فاصل ما قال أبوك . قلت قد قال

كم باقه قد وَحاتْه بحرها ... من ناعلٍ السوءِ وحمالِ

قالت يا عماه ولم القصد في أبي

لأقطع [illegible]

وأمها حبشية فقال لها ما سمك دال مكيه [illegible]

قالت حبشية فأمسك عنها فلما [illegible]

قطعت في الاصوصية قال عليك وعلى أبيك لعنة الله ، وجاء الفرزدق فأخبرها الخبر فقال اشهد انها ابنتي ،، وأنشأ يقول

حامِ إداماكنتَ ذاحَمِيَّه بِدَارِمِيّ بنتُهُ صبيَّه
صَمَخْمَخٍ مِثلِ أبي مكيَّه

وحدث سليمان بن عباس السعدي قال كان كثير يلقى حاجّ أهل المدينة شدّيد على ست مراحل فعمل عاما من الأعوام غير يومهم الذي نزلوا فيه فوقف حتى ارتفع النهار فركب جملا في يوم صائف وولى قيداً وقد كلّ بعيره ونصب فوجدهم قد ارتحلوا وقد بقي فتى من قريش فمال الفتى لكثيّر الجمل قال فجلس كثيّر الي جنبي ولم يسلم على فجاءت امرأة وسيمة جميلة فجلست الى خيمة من خيام قديد واستقبلت كثيّراً فقالت أنت كثير ، قال نعم ، قالت ابن أبي جمعة قال نعم ، قالت أنت الذي تقول

وكنتُ إداما حثتُ أجلادَ خَلسي وأضمرْنَ مني هيبةً لاتفهُما

قال نعم ، قالت فعلى هذا الوجه هو ان كنت كذا فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، قال فصخر كثير وقال ومن أنت فسكتت ولم تجبه بشيء فسأل الموالي التي في الخيام عنها فلم يخبره فصخر واحتاط عقله فلما سكن قالت أنت الذي تقول

متى تنشرا عني العمامةَ تبصِرا حميلَ المحيّا أعملتْهُ الدّواهنْ

أهذا الوجه جميل ان كان كذبا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين فاحتاط وقال لو عرفت لفعلت وفعلت ولما سكن قالت له أنت الذي تقول

يَروق العيونَ الناظراتِ كأنّه هِرَقليٌّ وَرْدٌ أحمرُ البَرِ راجحُ

أهذا الوجه الذي يروق الناظرات ان كنت كاذبا فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين قال فزاد صخراً واحتاط وقال لو عرفت ولم تفعلت ولعلك جاء ثم قام فاتبعته طرفي حتى توارى عني ثم انطرت الى امرأة منها هي قد جاءت على فعلت لمولاه من صات قديد لك الله علىّ ان أخبرتني من هذه المرأة أن أطرى لك ثوبي هذين اذا

قصيت حجي ثم اعطيكهما فقالت والله لو اعطيتني زنتهما ذهباً ما أخبرتك من هي هذا كثيّر مولاي لم أخبره ، قال القرشي فرحت وهي أشد مما كنت ، قيل وقدم كثيّر الكوفة وكان شيعياً من أصحاب محمد بن الحنفية فمال دلّوني على منزل قطام ، قيل له : وما تريد منها ، قال : أريد أن أوبّخها في قتل عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه ، فقيل له . عد عن رأيك فان عقلها ليس كعقول النساء ، قال : لا والله لا انثني حتى أنظر اليها وأكلمها فخرج يسأل عن منزلها حتى دفع اليها فاستأذن فأذنت له فرأى امرأة عَرْزة قد تحدّدت وقد حنا الدهر من قناتها فقلت من الرجل ، قال كثيّر بن عبد الرحمن ، قالت : التيمي الخزاعي قال التيمي الخزاعي ، ثم قال لها : أنت قطام قالت نعم ، قال : أنت صاحبة عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه ، قالت لي صاحبة عبد الرحمن بن ملجم ، قال أليس هو قتل علياً قالت بل ذاك أجله قال والله اني كنت أحب أن أراك وما رأيت منك عيباً وما وقعت في ولا احوليت في صدري ، قالت وأنا والله قصير القامة صغير الهامة صغيف الدسمة كما قيل ، لأن تسمع بالمُعيدي خير من أن تراه ، فأنشأ كثيّر يقول

رأيتُ رجالاً وُدّي السوءَ لحسنهِ فهم نطقوا لا منطقٌ وصماخُ

قالت [illegible]

وإن حفيت كانت لعينيك قرّة وإن سار يوماً لم تصبك عواره

من الخفرات البيض ودّ ضميرها وفي خلق الجلس تُرفع خمره

فما روضة بالحزن طيبة الثرى يمج الندى جثجاثها وعرارها

بأطيب من فيها وقد حنّ رائق وغنّت على أعوادها بنت بارها

[illegible]

[illegible]

أَلَمْ تَرَ أَنِّي كُلَّما جِئْتُ طارِقاً وَجَدْتُ بِها طِيباً وَإِنْ لَمْ تَطَيَّبِ

قال : فلله درّ بلادك وخرج وهو يقول

أَلْحَقُّ أَبْلَجُ لا تَزِيغُ سَبِيلُهُ وَالْحَقُّ يَعْرِفُهُ ذَوُو الأَلْبابِ

قال ،، وقال المسيب راوية كثيّر : انطلق كثير مرة فقال لي . هل لك في عكرمة ابن عبد الرحمن بن هشام وهو يومئذ على حملة بن عمرو بن تميم ، فقلت نعم ، قال نفرحها نريده حتى اذا صدرنا عن المدينة اذا نحن بامرأة على راحلة تسير فسرت حداءها فقالت : أتروي لكثير شيئاً . قلت نعم . قالت أنشدنيه . فأنشدتها من شعره . فقالت أين هو . قلت هو ذاك الذي ترين على غير الطريق . فقالت بعد أن دنت منه قاتل الله روح عزة حيث يقول

لَعَمْرُكَ ما رَبُّ الرَّبابِ كُثَيِّرٌ بِفَحْلٍ وَلا آباؤُهُ بِفُحُولِ

فعجب كثير وسار وتركها ثم نزل منزلا فجاءت جارية لها تدعوه فأتى كثيراً فيأتيها فقالت ما رأيت مثلك قط امرأة مثل هذه ترسل اليك فتأتي عليها فلم أرل به حتى أتاها قال فسترت عن وجهها فاذا هي أجمل الناس وأكملهم طرفا وعقلا واذا هي عاتكة أم ولد بشر بن مروان فصحبها حتى كتبا رسالة فقالت لنا الطريق فقلت له هل لك أن تأتي الكوفة فأصيب لك على بشر الصلة والجائزة فأبى وأمرت له بخمسة آلاف درهم ولي بأمين فلما أخذها الخمسة آلاف قال ما أصنع بكرمة وقد أصبت ما ترى فذلك قوله حيث يقول

شَحا أَطْعانُ عاصِرَةَ الغَوادي بِعَيْرِ مَشُورَةٍ عَوَصاً فُؤادِي

أَعاصِرَ لو رَأَيْتِ عَدَاةَ بَيْنٍ خُنُوَّ العائداتِ عَلى وِسادِي

رَأَيْتِ لِعاشِقٍ لَمْ تَشْكُمِيهِ حَوائِجَهُ تَلَدَّعُ بِالزِّنادِ

ـ الشكيمة ـ العطية و ـ الزناد ـ جمع زند وهو عود يقدح منه النار . قال الحكم ابن صخر النمري خطبت فرأيت بأغرة امرأتين لم أر كمالهما وظرفهما وثيابهما فلما

حججت وصرنا بأقرة اذا أنا باحدى الجاريتين قد جاءت فسألتُ سؤال سكر فقالت : فلانة . قالت : فداك أبي وأمي رأيتك عاماً أوّل شاماً سوقة والعام شيخاً مَلِكا وفي وقت دون ذلك ما تنكر المرأة صاحبها ، فقلت : ما فعلت أختك ، فتبسمت الصمداء وقالت : قدمَ علينا ابن عم لنا فتزوّجها فخرج بها الى نجد فذاك حيث أقول

إذا ما قفلنا نحوَ نجدٍ وأهلِهِ فحسبي منَ الدُّنيا القفولُ إلى نجدِ

فقلت : أما انى لو أدركتها لتزوجتها ، قال فداك أبي وأمي فايسعك من شريكتها في حسبها وشقيقتها في حسبها ، قلت قول كثير

إذا وَصَلَتنا خلةٌ كيْ تَزِيلَنا أَبينا وقلنا الحاجبيةُ أوّلُ

قالت : وكثير بيني وبينك أليس هو الذي يقول

هَلْ وصلُ عَزَّةَ إلاّ وَصلُ عانيةٍ في وصلِ عانيةٍ منْ وصلِها خلَفُ

قال فتركت حوائجها ولم يمض منه إلا اللمي

محاسن النساء

قيل ، أحسن النساء الرقيقة البشرة النقية اللون حمرة وجهها بالدماء الى الحمرة وبالعشي الى الصفرة وقالت العرب المرأة الحسناء ترق ما تكون محاسن صبيحة عرسها وأيام عاسها وفي البعض الآتي من حملها وقيل لاعرابي تحسن صفة النساء فقال هن اذا عدمت شبابها وسهل جنباها وبهدل ثدياها وفحش بطنها وانتفخ خصرها وعرض وركاها وحدل ساقها فتلك هي الحسن وسناها ووصف عربي امرأة فقال كأن وجهها السقم من رآها وابره من نحلها وذكر أعرابي امرأة فقال أحسن الحسن في جسمها

صفائح نور ورشق السحر عن لحظها بأسهم حداد ولقد تأملت فوجدت للبدر نوراً من بعض نورها، وذكر اعرابي امرأة فقال هي شمس تباهي بها شمس سمائها وليس لي شفيع اليها غيرها في اقتضائها ولكني كتوم لبعض النفس عند امتلائها ،، وذكر اعرابي امرأة فقال ما أحسن من حيا بياساً ولا أنظر اليها إلا احتلاساً وكل امرئ منها يرى ما أحب ،، وذكر اعرابي امرأة فقال لها حلد من لؤلؤ رطب مع رائحة المسك الأذفر في كل عضو منها شمس طالعة .. ومما جاء في الحسن من الشعر ، قال عبد الله بن المعتز أنشدني أبو سهل اسماعيل بن علي لأبي الصواعق

ومريض طرفه ليس يصرف طرفه ... نحو المدى إلا رماه بحتفه
طبي له نظر ضعيف كلما ... قصد القوي أتى عليه بضعفه
قد قلت لما مر شطر مآسياً ... والرذف يجذب خصره من خلفه
يا من يسلم خصره من ردفه ... سلم فؤاد محبه من طرفه

قلت في هذا المعنى وهو هذا أيضاً

وحياة من جرح الفؤاد بطرفه ... لأحررن قصائدي في وصفه
قمر به قمر السماء مسلم ... كالغصن يعجب بالصفة من نصفه
إني عجبت لخصره من ضعفه ... ما دا تحمل من ثقالة ردفه
هذا وما أدري بأيه فتنة ... حرح الفؤاد بلحظه أم طرفه
أمن الدلال مه تحمل ما الصبا ... من وجهه أم بالصبا من خلفه

وأنشد لبعض الأعراب من الأبيات

كيف نجا من مر على رسلي ... من شدن قطع أنهاسي
كيف نجا منه في مصعه ... خشري من قلبه الفاسي

أغارُ أنْ ألحَتَ منهُ الذي ... يَنعتُهُ النّاسُ منَ النّاسِ
ولم أرَ العُشّاقَ قبلي رأوا ... بوَصمِ مَن يهوَونَ من باس
كلُّ أحادِيثي لَحَتْ لهُ ... منكشفٌ مني لحلّاسي

فقلت في هذا المعنى وهذا الروي والوزن

لو عشرُ ما مرَّ على راسي ... مرَّ بصلدٍ حجَرَ قاسي
لانصدعَتْ فيهِ صدوعٌ كما ... صدَّعَ قلبي طولُ وسواسي
يا غصنَ آسٍ ومحالٌ إذا ... قصَّرتُ تشبيهاكَ بالآسِ
ماذا على طرفِكَ لو أنّهُ ... أعارَ لحظاً منهُ قرطاسي
ليتكَ عللتَ عطلْ وامْ ... قطّعْ رجائي منكَ بالياسِ

وقال آخر

وزائرةٍ يحثُّها التوقُ طارقه ... أتتنا من المرذوس لا تلكُ آتقه
إذا ما سكتْ قالَ للرّيح قدُّها ... كذا حرّكي لأعدنَ لكِ كسر صدته

وقال آخر

قد أقبلَ الدرُّ في مرطقهِ ... يسألُ عن مسقطِ عسقله
يسطو عليهِ بسيفِ مقلتهِ ... لا بالذي شدَّ في منطقه

وقال آخر

قلْ للملاحِ لحسن ... وحسدِ لحسن
هل في تردي مرى ... وحسدي لي تقي
يدٍ لم يروِ عطشي ... شلالاً فلو رميتي

يامُقلةً أجفانُها ... مَحشُوَّةٌ بالأَرَقِ
بَقِيتِ في رِقِّ الهَوَى ... شَقِيَّةً فيمَنْ شَقِي

وقال آخر

يا مِلاحَ الدَّلالِ والإغتِناجِ ... ما أرى القلبَ مِنْ هواكُنَّ ناجي
أنتَ رَزَفنتَ فوقَ خَدَّيكَ صَدْعاً ... مِنْ عَبيرٍ على صَفائحِ عاجِ
أشرَقَتْ وَجنَتاكَ بالنُّورِ حتّى ... أغنَتا الخلقَ عن ضِياءِ السِّراجِ
فعلَتْ مُقلتاكَ بالقلبِ مِنّي ... فعلةَ القسطلِّ بالحَجّاجِ
يا هِلالاً أبَنتُ منهُ بسوءٍ ... حِنْثَ ليلٍ مِن الظَّلامِ الدّاجي

وقال آخر

نشرتْ غدائرَ فرعِها لتظلّني ... حَذَرَ العُيونِ مِنَ العُيونِ الرُّمَّقِ
فكأنّها وكأنّهُ وكأنّني ... صُبْحانِ باتا تحتَ ليلٍ مُطبِقِ

وقال آخر

يا غزالاً وهِلالاً ... وقضيباً وكَثيبا
كم وكم أضمرَ وجداً ... لكَ مكتوماً عجيبا
كيفَ يرجى بُرءُ مَن قد ... كتمَ الدّاءَ الطّبيبا

وقال آخر

شمسٌ ممثّلةٌ في حلقِ جاريةٍ ... كأنما لطمتْها طيّ الطّوامير
فالجسمُ من جوهرٍ والشّعرُ من سبَجٍ ... والثّغرُ من لؤلؤٍ والوجهُ من عاجِ

وقال آخر

نهيجُ دلالٍ حرٍّ في حسنِهِ الطّرَفُ ... فعِكرتُهُ قبرٌ ومَنطِقُهُ لطفُ

بديعُ جمالٍ زانهُ العقلُ والظرفُ ... سماويُّ لونٍ لا يحيطُ بهِ وصفُ
لهُ ريقةٌ علّتْ بماءِ قرنفلٍ ... يمازجها التفاحُ والخمرةُ الصِّرفُ
تجسّمَ في جسمٍ منَ النورِ ساطعٍ ... تمكّنَ في دعصٍ ينوءُ بهِ ردفُ
على صحنِ خدّيهِ بهارٌ منوّرٌ ... وورْدٌ جنيٌّ لا يليقُ بهِ القطفُ
تكاملَ فيهِ الحسنُ والنورُ والبها ... كبدرِ الدجى إذ تمّ منْ شهرهِ النصفُ
رآهُ إلهي لي عذاباً وفتنةً ... فما عندهُ عدلٌ ولا عندهُ عطفُ

وقال آخر

لكَ منْ قلبيَ المكانُ المصونُ ... كلُّ لومٍ على فيكَ يهونُ
قدّرَ اللهُ أنْ أكونَ شقياً ... بكَ والصبرُ عنكَ ما لا يكونُ
يا عزالاً بلحظهِ يفتنُ النا ... سَ وفي طرفهِ الردى والمنونُ
لكَ صبرٌ وليسَ لي عنكَ صبرٌ ... فأنا اليومَ هائمٌ محزونُ
قدْ حلفتُ المدارَ فيكَ حبيبي ... ما أبالي عما رمتني الظنونُ

وقال آخر

يا نظرةً حادتْ على ياسِ ... منْ ساحرِ المقلةِ ميّاسِ
أطرافهُ تعقدُ من ليلها ... وطلعهُ كالصبحِ القاسي
يلومني الناسُ على حبّهِ ... أعاني لهُ على الناسِ

وقال آخر

يا ويحَ جسمٍ يذوبُ منْ قلقهِ ... من حبِّ منْ لمْ يقفْ على حقهِ
من خطِّ طيِّ مهمهٍ لبقٍ ... يهتزُّ مثلَ القضيبِ في ورقهِ

لم ترَ عيني ولن ترَى أبدًا ... أحسنَ من نحرِه ومن عنقِه
كأنما المسكُ حينَ تسحقهُ ... بماء وردٍ يفوحُ من عرقه
أو خمرةٌ في الزجاجِ صافيةٌ ... شيبتْ بماء السحابِ في نسقه

وقال آخر

أربعةٌ قرّحتْ فؤادي ... فطالَ وجدي وعيلَ صبري
مقلةُ خشف وقدُّ غصنٍ ... وطيبُ وردٍ وحسنُ نذرِ
نفسي ومالي فداه طبي ... أذابَ جسمي وليسَ يدري
فمنْ لصبٍّ أسيرِ شوقٍ ... قتيلِ صدٍّ نسيبِ هجرِ

وقال آخر

وما ريحُ ريحانٍ بمسكٍ وعنبرٍ ... يُعلُّ بكافورٍ ودُهنةِ بانِ
بأطيبَ من رياحيي لو أنّي ... وجدتُ حيي خالياً بمكانِ

محاسن التزويج

روي أن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله اني أريد أن أتزوج فادع الله أن يرزقني زوجة صالحة . فقال لو دعا لك جبريل وميكائيل وانا معهما ما تزوجت الا المرأة التي كتب الله لك فانه ينادي في السماء ألا ان امرأة فلان ابن فلان فلانة بنت فلانة .. وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بالأبكار فانهن أطيب أفواهاً وأنتق أرحاماً .. وقال عمر رضي الله عنه عليكم بالأبكار واستعيذوا بالله من شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر .. قال الشاعر

لا تنكحن عجوزاً إن دُعيت لها ... وإن حُبيت على تزويجها الذهبا
فإن أتونك وقالوا إنها نصف ... فإن أطيب بسقيها الذي ذهبا

وقال آخر

عليك إذا ما كنت لا بدّ ناكحاً ... ذوات الثنايا الغرّ والأعين النجلِ
وكل هضيم الكشح خفّاقة الحشا ... قطوف الخطا بلهاء وافرة العقل

وقال الحارث بن كلدة لا تنكحوا من النساء إلا الشابة ولا تأكلوا من الحيوان إلا الفتيّ ولا من الفاكهة إلا النضيج .. وقال مغيرة بن شعبة . حصنت تسعاً وتسعين امرأة ما أمسكت واحدة منهن على حب ولكي أحصنها بعضها وولدها فكنت استرضيهن بالماء شاباً فلما ان شبّ وصعفت عن الحركة استرضيتهن بالعطية .. وقال بعضهم لذة المرأة على قدر شهوتها وعيرتها على قدر لذتها .. وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال . انما النساء لعب فاذا تزوّج أحدكم فليستحسن .. وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال . تزوّجها سمراء ذلفاء عيناء فان فركتها فعلي صداقها .. وقال الحجاج بن يوسف من تزوّج قصيرة فلم يحمدها على ما يريد فعلي صداقها . وروي عن عليّ صلوات الله عليه ان رجلاً أتاه فقال اني تزوّجت امرأة محبونة . فقال المرأة يا أمير المؤمنين انه يأخذني عند الجماع عشية . فقال للرجل ما مأرب لها أهل .. وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم إياكم وخضراء الدمن وهي المرأة الحسناء في المنبت السوء .. وقال بعضهم لا تتزوّجن حسّانة ولا أنانة ولا منّانة ولا تاشة ولا تاشة الدبر ولا كيّة الفعا — فأما الحسّانة — فالتي قد تزوّجها رجل من قبل فهي تحنّ اليه — لأنها التي تأنّ من عبر علّه — والمنانة — التي لها مال تمنّ به — وتاشة الدبر — الحسناء في أصل السوء — وكية الفعا — التي اذا قام زوجها من المجلس قامت امرأة مثله كريمة وفعلت كذا . وقال محمد بن علي رضي الله عنهما اللهم ارزقني امرأة تسرني اذا نظرت اليها وتطيعني اذا أمرت وتحفظني اذا غبت .. وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : اذا خطب أحدكم امرأة فلا جناح عليه ان ينظر اليها وان كانت لا تعلم ،، وقال بعض الشعراء في تزويج الشكه

إذا أرَدْتَ حُرَّةً تَبْنيها ... كَرِيمَةً فانظُرْ إلى أخيها
يُنْبيك عنها وإلى أبيها ... فإنَّ أشباهَ أبيها فيها

وقال آخر

إذا كنتَ مُرْتاداً لنفسك أيِّما ... لتَحْلُكَ فانظُرْ مَنْ أبوها وخالُها
فإنَّهما منها كما هيَ منهما ... كما النَّعلُ إنْ قيستَ بالنَّعلِ مِثالُها

وقال آخر

إذا كنتَ عن عينِ الصَّبيَّةِ ناحِيًا ... فأنصِر تَرَي عينَ الصَّبيِّ فذالكا

قال خالد بن صفوان للدلال أطلب لي امرأة بكراً أو ثيباً ككر حصاناعند حارها ماجنة عند روحها قد أدَّبها العي ودلَّلها الفقر لا صرعة صعبرة ولا محوراً كبيرة قد عاشت في نعمة وادركتها حاجة لها عقل وافر وخلق طاهر وحال طاهر سلتة الحبين سهلة العربين سوداء المقلتين حدلّحة الساقين امّاء العجدين بيلة المقعد كريمة المحتد رحيمة المنطق لم يداحاها صلف ولم يشن وجهها كلف ريحها أرج ووجهها بهج لينة الأطراف نقية الأرداف لونها كالرق ونَدَاها كالخلق أعلاها عسيب وأسفلها كثيب لها بطن محطف وحصر مرهف وجيد أتلع وناب مشيع تثني ثني الحيران وتميل ميل السكران حسنة المآق في حسن الرواق لا الطول أزرى بها ولا القصر ، قال الدلال استفتح ابواب الجنان فانك سوف تراها ،، وقال أيضاً لا تتزوج واحدة فتحيض إذا حضت وتنفس اذا نفست وتعود اذا عادت وتمرض إذا مرضت ولا تتزوج اثنتين فتقع بينهما بين الضرتين ولا تتزوج ثلاثا فتقع بين ثالثة ولا تتزوج أربعا فيُحتقرك ويهرمك ويعلسك فقد له ، حل حرمت ما أحلَّ الله ، فقال طمران وكوران ورعيمان وعلاه لرحمن ،، وعن صالح بن حسان قال رأيت امرأة بالمدينة يقال لها حوّاء وهي

التي علمت نساء المدينة الطبخ وهو الخبز والحركة والعربدة والزمر وكانت لها سقيفة تحدث اليها رجالات قريش ولم يكن في المدينة أهل بيت الا وتأخذ صبيانهم وتعلمهم ندبها أو تدي احدى بناتها فكان أهل المدينة يسمونها حوّاء ولم يكن بالمدينة شريف ممن يجلس في سقيفتها الا واوصل اليها في السنة ثلاثين وسقا وأكثر من طعام وتمر مع الدنانير والدراهم والخدم والكساء فجاءها ذات يوم مصعب بن الزبير وعمرو بن سعيد بن العاص وابن لعبد الرحمن بن أبي بكر فقالوا لها يا حالة قد حطمنا نساء من قريش ولسنا نمتنع إلا بسطرك اليهن فارشدينا بمثل علمك فيهن ، فقالت لمصعب يا ابن أبي عبد الله ومن حطمت ، قال : عائشة بنت طلحة . قالت فأنت يا ابن الصديق قال . أم القاسم بنت زكرياء بن طلحة . قالت . فأنت يا ابن أبي أحيحة . قال ريطة بنت عمرو بن عثمان ، فقالت يا جارية علي بمثقلي ـ تعني حقيبتها ـ فأتتها بهما فخرجت ومعها خادم لها فأتت عائشة بنت طلحة فقالت . مرحباً بك يا خالة . فقالت . يا بنية إنا كنا في مأدبة لقريش فلم تبق امرأة لها حال إلا ذكرت وذكر حالك فلم أدر كيف أصنعك فتجرّدي لأبطرك فألقت درعها ثم مشت فارغ كل شيء منها ثم أقبلت على مثل ذلك فقالت . فداك أبي وأمي جدي ثوبيك وأتهن جميعاً على مثل ذلك ثم رجعت الى السقيفة فقالت يا ابن أبي عبد الله ما رأيت مثل عائشة بنت طلحة قصّ شعثه الترك رجّاء العيبين هدبة الاشفار مخطوطة الحاجبين صحمة العنجرة لقاء المحدثين مسرولة الساقين واضحة الثغر نقية الوجه فرعاء الشعر الا اني رأيت خلتين هما أعيب ما رأيت فيها اما احداهما فيوارمها الحمف وهي عظم القدم والأخرى يوريها حمار وهي عصل الأذن وأما أنت يا ابن أحيحة فما رأيت مثل ريطة بنت عمرو ولا رأيت مثلك في وجه ردّه ولكني مشيرة عليك أمر نفسك ايه وهي ملاحة عمرو وما أنت يا ابن الصديق فوالله ما رأيت مثل أم القاسم ما شبهتها إلا بخوط بقلتي وحشف يتقصف على رمل ولم أرها إلا فوق الرحل واذا رددت على الرحل مرأة فحسبك لا ولا لا من يملأ المكيلين فروّحوهن .. وقال اعرابي في أخت له تزوجت بغير كفوء

ولو رَكِبَتْ ما حرَّمَ اللهُ لم يكن بأقبحَ عندَ اللهِ مما استحلَّتِ

قال ،، وكان بالمدينة رجل قد أعطي جودة الرأي ولم يكن فيها من يريد إبرام أمر إلا شاوره فأراد رجل من قريش ان يتزوج فأتاه فقال انا اريد ان اتسم إلى اهلا فأشر علي ، قال : افعل تحصن دينك وتصن مؤونتك وإياك والجمال البارع ، قال : ولم تهيني وانما هو نهاية ما يطلب الناس ، قال : لأنه ما فاق الجمال إلا لحقه قول أما سمعت قول الشاعر

ولن تُصادِفَ مَرْعىً مونِقاً أبداً إلاَّ وَحَذْفَ بهِ آثارَ مأكول

قيل ،، وكانت جارية من سات الملوك تكره التزويج فاجتمع عندها نسوة فتذاكرن التزويج وقال لها ما يمنعك منه ، قالت وما فيه من الخير قال وهل لذة العيش إلا في التزويج ، قالت فانصف كل واحدة منكن ما عندها فيه من الخير حتى اسمع ، فقالت احداهن زوجي عوني في الشدائد وهو عائدي دون كل عائد ان عصبت عصب وان مرضت لطف قالت بئس السيء هذا ، قالت الأخرى زوجي لما عباني كاف ولما اسقمني شاف عرقه المسك المذاف وعناقه كالخلد ولا يمل طول العهد ، قالت هذا خير منه ، قالت الأخرى زوجي الشعار حين ارد وأبيس حين أفرد فتزوجت فقال لها يا فلانة كيف رأيت ، قالت انعم النعيم وسروراً لا يوصف ولذة ليس منها خلف

أمثال في التزويج

قيل لرجل من قال ، لا تَهَبْ العيب ولا تملك العيت ، الصبر أروى الكلاعي وذلك انه خرج من أرضه فسار أياما حتى في تلك المفاوز التي تعسفها وتخلف عن أصحابه وقفي فرداً يسير فيها ثلاثة أيام حتى دفع الى قوم لا يدري من هم فدل عليهم وحدثهم وكان جميلا وان امرأة من افاضل ولائد هويته فأرسلت اليه ان احطني فحط بها وكانوا

لا يروحون الا شاعرا أو رجلا يزجر الطير أو يعرف عيون الماء فسألوه فلم يحسن شيئاً من ذلك فلم يروحوه فلما رأت المرأة ذلك روجته نفسها على كره من قومها فلبثت فيهم ما لبثت ثم ان رجلا من العرب أغار عليهم في خيل فاستأصلهم فطيروا نحو وأخرجوه وامرأته وهي طالق فانطلقا واحتمل من شيئا من ماء ومشيا يوما وليلة الى الغد حتى اشتد الحر وأصابهما عطش شديد فقالت له ادفع إلي السقاء حتى اغتسل به فدفعه فمشى الى الماء ونسيتي فاغتسلت بما في السقاء ولم يقع منها موقعاً وأتيا العين فوجداها يابسة وأدركهما العطش فقال لها هلك انقيت ولاماءك انقيت فدهشت مثلا ثم استعبلاتحت شجرة كبيرة .. فأنشأ يقول

تاللهِ ما طِلَّةٌ أصابَ بها ... سوادَ قلبي قارِعُ العَطَبِ
طَلَّ كَئيبَ الفؤادِ مضطرِماً ... وتكتسي من عدائرِ قلبِ
أن يعرفَ الماءَ تحتَ صُمِّ صفا ... أو يخبرَ الناسَ منطقَ الخطبِ
أحرَجني قومُها بأنْ رَحَلا ... دارتْ نشوزُهم لهم على قُطُبِ

فلما سمعت ذلك فرحت وقالت قم فارجع الى قومي فانك شاعر فانطلق راجعين حتى انتهيا اليهم فاستقبلوهم بالسيف والعصا فقال لهم ما لكم تفعلون هذا بنا فقالوا ان لك أن تقتلوني بعد فافعلوا فتركوه فصار فيهم شريراً .. وقيل ان أول من قال

* في الصيف ضيعت اللبن * قتول بنت عبد وكانت تحت رجل من قومها فطلقها وانها رغبت في ان يراجعها فأبى عليها فلما يئست خطبها رجل يقال له عمرو بن شودب فتزوجها فلما بنى بها بدا للزوج الأول مراجعتها فهوى بعيره حتى اناخ بفنائها ويرتو بصره اليها فعلمت به فقالت

أتركتني حتى إذا ... علقتُ أعيس كالشطنْ
أنشأتَ تطلبُ وصلنا ... في الصيف ضيعت اللبنْ

فدعت مثلا فقال لها روحها الأول واسمه الأشق فهل بقي شيء قالت نعم فاصله عن جميع مالك وطلاقي فان فعلته تزوجتك فرضي بذلك ثم راجع نفسه فقال لها ذلك فقالت أما اذا سمعت مالك فانطلق الي مكان اذا أنت تكلمت سمع روحي كلامي وكلامك ثم اقعد كأنك لا تشعر به وقل

أيحا الله بنت العمّ إنّ وصالها ... وصالُ ملولٍ لا تدُومُ على بَعْلِ
تُحدّثني أنْ سوْف تقتلُ عامراً ... لأنّ لمْ يكنْ في مالهِ عامرٌ مثلي
فهيهات تزويجُ التي تقتلُ الفتى ... إذا ما أتتْ يوماً وإن كانَ من أجلي
فتقتلني يوْماً إذا هَوِيَتْ فتىً ... سِواي وإني اليومَ من وَصلِها أخلي

فانطلق الأشق فعمل ما أمرته به فسمعه عامر فوقع في قلبه قوله وقد كان عرف حبها له فصدق ذلك ودخل عليها فطلقها وتزوجها الأشق .. وذكروا ان نفرا من قريش اشتد عليهم السنة وكان فيهم جارية يقال لها ريب من أكمل نسائهم جمالا وأتمهن عقلاً وأشرفهن فرآها شاب يقال له عروة فوقعت في قلبه فجعل يطالعها ولا يقدر على أكثر من ذلك فاشتد وجده بها فلما اشتدت السنة وارادوا الرجوع الى منازلهم دعا بعض جواري الحي فقال يا أمة الكرام هل لك في يد تتحفين بها سيدي شكراً قالت ما جوحي لي ذلك قال تعلقين الى خيمة فلانة كأنك تقتبسين ناراً فاذا انت جاست فقولي حيث سمع ريب

لا هنّ لنا قلّ التفرّقِ ليلةٌ ... ويومٌ فتقضى كلّ نفسٍ مناها

فتعلق خبره فعمل ذلك فلما سمعت ريب قولها وكانت تلي رأس روحها وكان عنده ليلة .. فقالت مجيبة له

لعمري لقد طال المقام ههنا ... لو أنّ لحبّ حاجةٌ لقضاها

فسمع جواب قولها فخرج وجواب ريب فقال

أَلا يَعلمُ الزَّوْجُ المُفَلَّى بأنَّها ... وِسالةُ مَشغوفِ الفُؤادِ رَجاها

فاتته الروح لأمرهم وعرف ما أرادت فقال

لَحَى اللهُ مَنْ لا يَستقيمُ بِوِدِّهِ ... ومَنْ يَمنَحُ النَّفْسَ الطَّروبَ هَواها

الطلق يا ريس فات طالق خرجت من عنده ونعشت الى عروة فاعلمته وأقامت حتى انقضت عدتها ثم تزوجته

في العاشرة

ذكروا ان الأحطل كانت عنده امرأة وكان بها معجباً فطلقها وتزوج بطلقة رجل من بني تغلب وكان بالعراق معجبة فبينما هي ذات يوم جالسة مع الأحطل اذ ذكرت زوجها الأول فسمعت الصعداء ثم ذرفت دموعها فعرف الأحطل ما بها فذكر امرأته الأولى وأنشأ يقول

كِلانا على وَحْدٍ بَكَيتُ كأنَّما ... بَكيتُ مِنَ الهَمِّ الشَّقِيِّ وَحيدُ

على رَوحِها الماضي تَنُوحُ ورَوحُها ... على الطَّلْقَةِ الأُولى كذلكَ يَنوحُ

قيل .. وخاصمت امرأة روحها الى زياد فخطب بسببه وتبع فيه . فقال الروح أصلح الله الأمير ان شر المرأة ذكرها ان المرأة اذا ذكرت عقم رحمها . فدأ بسبب وساء خاتمها والرجل اذا ذكر استحكم رأيه وقل جهله . قال صدقت وحكم له بها . وذكروا ان امرأة من عبيد الله بن زياد وكانت ذات شحم وجسم وجمال مستعدية على روحها وكان أسود دميم الخلقة فقال ما ذهب بك يا أمة الله لأمير سألها عما ترى من جسمها وشحمها من طعامي ثم من طعام مولاي . قالت من طعامك اقتدى على طعام اطعمه به والكلاب تأكل قال فما يمنعك من كسوتها من مالي هي ممن مال مولاي . قالت من مالك اقدر على ثوب كسوتنيه . قال وسألها عن بعلها من

هو أم من عبرى . قالت ملك ووددت انه فى نطع من كلب . قال الرجل اصلح الله الأمير فما تريد المرأة الا أن تُطعم وتُكسى وتُنكح . قال صدقت خذ بيدها .. قال خرج رجل مع قتيبة بن مسلم الى خراسان وخلّف امرأة يقال لها هند من أجمل نساء زمانها فلبث هناك سنين فاشترى جارية اسمها حمامة وكان له فرس يسميه الورد فوقعت الجارية منه موقعاً فأنشأ يقول

ألا لا أبالي اليومَ ما فعلَتْ هندُ ... إذا بقيتْ عندي الحُمامةُ والوَرْدُ
شديدٌ مناطِ القصْرَتينِ إذا جرَى ... وبيضاءُ مثلِ الرِّئمِ ريَّاها العقْدُ
فهذا لأيّامِ الرياحِ وهذهِ ... لِراحةِ نفسي حينَ يَنصرفُ الجُنْدُ

فلما بلغ ذلك هنداً فكتبت اليه

ألا أقرِه مني السلامَ وقُلْ لهُ ... عُيِّنا بتيّانٍ غطارفةٍ مُرْدِ
وهذا أميرُ المؤمنينَ أميرُهُمْ ... سَناوأعاكُمْ أرادِلةَ الحَشْدِ
إذا شاءَ منهمْ ناشئٌ مدّ كفَّهُ ... إلى كَبدِ مَلْساءَ أو كَفَلٍ نَهْدِ

فلما قرأ كتابها أتى به الى قتيبة وأعضاء إياه فقال له أسعدك الله هكذا يفعل بالحرة وأذن له في الانصراف .. قال وسمع عمر بن الخطاب امرأة تنشد وتقول

فمنهنَّ مَنْ تَسقي بعذبٍ مبرَّدٍ ... بقاحٍ فتلكمْ عندَ ذلكَ قرَّتِ
ومنهنَّ مَنْ تَسقي بأخضرَ آجنٍ ... أُجاجٍ فلولا خشيةُ اللهِ فرَّتِ

فأمر باحضار زوجها فوجده متغير اللون فشرى جارية من المسلمين بخمسة مائة درهم على صلاحها واختار لها فدفعها اليه وحثى سبيلها .. وحكى عن الفضل بن الربيع انه كان بمكة ومعه لمرح الخصي وكان الفضل صبيحاً ظريفاً والمرح دميماً قبيحاً خرجا في الطواف ثم انصرفا في بعض طرقات مكة وقعدا يتحدثان فيما هما كذلك على ظهر الطريق وقف عليهما امرأة جميلة بهية حسنة شكلة وعليها برقع فرفعته عن

وجهها فاذا وجه كالدينار وذراع كالخيار فساءت وقعدت وحملت تأكل معها فقال الفضل فأحصى ما رأيت من حالها وهيئتها فقلت : هل لك من بعل ، قالت : لا ، قلت ، فهل لك في بعل من أصحاب أمير المؤمنين حسن الخلق والخُلق ، قالت وأين هو ، فأشار الى فرج فقالت حوائك عند فراغنا فلما أكلت قالت للفضل . تقرأ شيئاً من كتاب الله قال : نعم ، قالت أفتؤمن به ، قال نعم ، قالت فان الله يقول (ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً) فضحك الفضل ودخل على الرشيد فأخبره فأمر باحضارها فلما نظر اليها اعجب بها فتزوجها وحملها الى مدينة السلام ، قال وحج اسماعيل بن طريح فوقفت عليه أعرابية جميلة قال فقال لها هل لك أن تزوجيني نفسك ، فقالت من غير توقف

لكل الحسب الزاكي نعين عزيزة ... من الحسب المنقوص أن يتمما

وانصرفت ،، قال العتبي كنت كثير التزوج فمررت بامرأة فأعجبني فأرسلت اليها أذلك زوج ، قالت لا ، فصرت اليها فوصفت لها نفسي وعرفتها موضعي فقالت حسبك قد عرفناك ، فقلت لها ، زوجيني نفسك ، فقالت نعم ولكن هاهنا شيء تحتمله ، قلت وما هو ، قالت بياض في مفرق رأسي قال فانصرفت فصاحت بي ارجع فرجعت اليها فنشرت عن رأسها فنظرت الى وجه حسن وشعر أسود فقلت ما كرهنا منك عافاك الله ما كرهت منا ،، وأنشدت

أرى شيب الرجال من العوالي ... توصيع سيبهن من الرجال

وعن عطاء بن مصعب قال جاءت امرأة الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالت يا أمير المؤمنين لا انا ولا زوجي ، فقال لها ومالك من زوجك قالت مر باحضاره فأحضر فاذا رجل قدر الثياب قد طال شعر جسده ورأسه وأمر عمر ان يؤخذ من شعره ويدخل الحمام ويكسى ثوبين ابيضين ثم يؤتى به ففعل به ذلك ودعا المرأة فلما رأت الزوج قالت الآن ، فقال لها عمر اتقي الله وأطيعي زوجك ، قالت افعل يا أمير المؤمنين ، فلما ولت قال عمر اصنعوا للمرأة فانهن يحسن ذلك

مائتين منهن .. ويقال ان المرأة تحب اربعين سنة وتقوى على كتمان ذلك وتبغض يوما واحداً فيظهر ذلك بوجهها ولسانها والرجل يبغض أربعين سنة فيقوى على كتمان ذلك وان أحب يوما واحداً شهدت جوارحه

نساء الخلفاء

على بن محمد بن سليمان قال : انى يقول كان المنصور شرط لأم موسى الحيزية أن لا يتزوج عليها ولا يتسرى وكتبت عليه بذلك كتابا اكدته وأشهد عليه بذلك فبقى مدة عشر سنين فى سلطانه يكتب الى الفقيه بعد الفقيه من أهل الحجاز واهل العراق وجهد أن يعنيه واحد منهم في التزوج والتسارى فكانت أم موسى اذا علمت مكانه بادرته وأرسلت اليه مال فاذا عرض عليه ابو جعفر الكتب لم يفته حتى ماتت بعد عشر سنين من سلطانه بعد ان أتته وفاتها وهو بحلوان فأهديت اليه مائة بكر وكان المنصور أقطع أم موسى الضيعة المسماة بالرحبة فوقفتها قبل موتها على المولدات الاناث دون الذكور فهي وقف عليهن الى هذا الوقت .. حدثنا يحيى بن الحسن عن محمد بن هشام قاضى مكة قال كان الخيزران الرحل من ثقيف فقالت لمولاها الثقفي انى رأيت رؤيا قال وما هى ، قالت رأيت كأن القمر خرج من قبلى وكأن الشمس خرجت من دبري ، قال لها حبس من جواري مثلي انت تلدين جليفتين فقدم بها مكة فباعها في الرقيق فاشتريت وعرضت على المنصور فقال من اين أنت قالت المولد مكة والمنشأ بحرس قال فلك أحد قالت مالي أحد إلا الله ومن ولدت أمي غيرى قال ما علمك ادهب بها الى المهدي وقل له يصلح لولد وأتى بها المهدي فوقعت منه كل موقع فعلم ولد موسى وهرون قالت انى لأهل بيت بحرس ، قال ومن هم ، قالت بنى حسان اسمهما أسماء وسلسل ولي ام واخوان فكتب وأتي بهم فتزوج جعفر بن المنصور سلسل فولدت منه زبيدة واسمها سكينة تزوجها الرشيد ، ثم تزوجها بعده المهدي بحيزران قد ولدت رجلين وقد بايعت لهما وما أحسأن

تتقين أمة وأحب أن اعتقك وتخرجين الى مكة وتقدمين فأتزوجك . قالت : الصواب رأيت ، فاعتقها وخرجت الى مكة فتزوج المهدي اختها أسماء ومهرها ألف ألف درهم فلما أحس بقدوم الخيزران استقبلها فقالت : ما خبر اسماء وكم وهبت لها ، قال : من اسماء قالت : امرأتك . قال . ان كانت اسماء امرأتي فهي طالق . فقالت له : طلقتها حسين علمت بقدومي ، قال : اما إذ علمت فقد مهرتها ألف ألف درهم ووهبت لها ألف ألف درهم ثم تزوج الخيزران ،، قال . كانت محلة جارية الحسين الحلال قبل أن يتولى المتوكل الخلافة تقعد بين يديه وتغنيه فولدت للحسين اسماً فلما ولي المتوكل الخلافة طرقه ليلا فقال له الحسين ورثنا حملت فداك . قال اشتهيت أن أسمع غناء محلة فأخرجها اليه مطموسة الشعر فقال يا حلال أليس قد ولدت منك اسماً . قال بلى . قال فأنا أحب أن تعتقها ، قال فانها حرة ، قال فاشهد اني قد تزوجتها قومي يا محلة . فاستدل على الحسين فغوصه منها خمسة عشر ألف دينار وحولّ اليه محلة ،، قيل ووصف المتوكل امة لسليمان بن القاسم بن عيسى بن موسى الهادي وعدة من الجاريات فحملن اليه وعرضن عليه فاختارها من بينهن وصرف البواقي وبرات منه مرلة حتى ساوى بينها وبين قبيحه في المرلة وكانت جارية لها لباقة وملاحة ووصفت له رملة بنت العباس بن علي فحملت اليه فتزوجها ثم سألها ان تعلم شعرها وتنشده بالمماليك فأبت عليه فأعلمها ان لم تفعل فرقها فاختارت الفرقة فطلقها ووصفت له عائشة بنت عمرو بن الفرج الرخجي فوجه في جوف الليل والسماء تهطل الى عمر أن احمل إلي عائشة فسأله أن يصبح بها فأبى عليه فمضى عمر فانصرف عمر وهو يقول اللهم في شر عبدك عمر ثم حملها بالليل فوطئها ثم ردها الى منزل أبيها ،، قال وكان الهادي يشاور من أصحابه عبد العزيز بن موسى وعلي بن دنف والعمري وعبد الله بن مالك فخرج ذات يوم اليهم وهو متغير كأنه جمر هش مسح الأوداج منتفع اللون فأقبل حتى جلس في مجلسه وكان العمري أخرهم عنه فقال يا أمير المؤمنين اني أرى بوجهك ما كثر عليه غشيه وانقبض نفسي منه فقال أمير المؤمنين أن تخبرنا بالسبب فان كان سبيل الى أعلمه بها وان لم يكن سبيل الى علمه وان أمكن احتمال المؤنة عليه وقيامه فعلنا وحملنا اليه منه قال فأطرق طويلا والعمري

قائم فقال له اجلس يا عزيزي فاني لم أر كصاحب الدنيا قط أكثر آفات وأعظم نائبة ولا أنغص عيشاً . قال العزيزي : وما ذاك يا أمير المؤمنين . قال : لبابة بنت حمير بن أبي حمير قد علمتم موقعها مني وإيثاري عندي كلفني بادلال فاعللت فلم يكن لها عندي احتمال ولا عندها إقصار حتى وثبت عليها وصرتها صرعا موجعاً . قال وسكت فقال ابن دأب : يا أمير المؤمنين انك والله لم تأت منكراً ولا بديعاً قد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤدبون نساءهم ويصربونهن هذا الزبير بن العوام حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته وثب على امرأته اسماء بنت أبي بكر وهي أفضل نساء أهل زمانها فصرعها في شيء عتب عليها فيه صرعا مبرحا حتى كسر يدها وكان ذلك سبب فراقها وذلك انها استغاثت بولدها عبد الله فجاء يخلصها من أبيه فقال هي طالق ان حلت بين وبينها فحمل وثاب منه وهذا كعب بن مالك الأنصاري عتب على امرأته وكانت من المهاجرات فصربها حتى حال دمها بينه وبينها فقال

فلولا بنوها حولها لصفعتها كصفعة مرؤوح ولم أتلعثم

قال . فسُرّي عن موسى الغضب وطابت نفسه ودعا بالطعام فأكلنا وأمر له بعشرة آلاف درهم وثلاثين ثوبا فتابعت وتحدثت من انقطاعي عن الحديثين وهما في نالي وأنا أعلم بهما منه

المطلقات

قيل كانت أم الحجاج بن يوسف الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود وكانت عند المغيرة بن شعبة فرآها يوما تتحلل نكرة فقال أنت طالق والله ان كان هذا من غذاء يومك لقد شرهت وان كان من عشاء أمسك لقد بخلت فقالت لا سعد الله غيرك والله ما هو إلا من السوء خلف عليها بعده يوسف ابو الحجاج فولدها الحجاج .. وفيها يقول بعض

أهاجتكَ الظَّعائنُ يومَ بانوا ... بذِي الزِّيِّ الجَميلِ من الأثاثِ
ظَعائنُ أسلكتْ نَقْبَ المُنَقَّى ... تُحَثُّ إذا وَنَتْ أيَّ احتثاثِ
كأنَّ على الحَدائجِ يومَ بانوا ... نِعاجاً تَرتَعي بَقْلَ البَراثِ
تُؤَمِّلُ أنْ تُلاقِيَ أهلَ نُصْرَى ... فيا لكَ من لِقاءٍ مُسْتَراثِ
تُهَيِّجُنا الحَمامُ إذا تَداعى ... كما سَجَعَ النَّوائحُ بالمَراثي

وفي رثاء أخت الحجاج يقول المبرد

ولم تَرَ عيني مثلَ سِربٍ رأيتُهُ ... خَرَجْنَ من التَّنعيمِ مُعتَمِراتِ
ولمَّا رأتْ رَكْبَ السُّمَيْرِيِّ أعرَضَتْ ... وكُنَّ من أنْ يَلقينَهُ حَذِراتِ
تَصَوَّعَ مِسكاً نَطْعُ نَعمانَ إذ مَشَتْ ... به رِيحُ في بُسوَةِ عِطراتِ
مَرَرْنَ بفَجٍّ ثمَّ رُحْنَ عَشِيَّةً ... يُلَبِّينَ للرَّحمنِ مُؤتَجِراتِ
دَعَتْ بُسوَةَ ثُمَّ العَرابينِ نُدَّماً ... نواعمَ لا شُمْطاً ولا غَبَراتِ
وأَذْنَيْنَ لمَّا قُمْنَ يَحْنَنَ دُونَها ... حِجاباً من القَسِّيِّ والحِبَراتِ
أَحَلَّ الذي فوقَ السَّمواتِ عَرْشُهُ ... أَوانِسَ بالبَطحاءِ مُعتَجِراتِ
يُحَيِّينَ أطرافَ البَنانِ من التُّقى ... ويَبْرُزْنَ بالأسحارِ مُعتَمِراتِ

عوانة عن محمد بن زياد عن شيخ من كندة قال خرج الحارث بن سليل الأسدي زائراً لعلقمة بن حصفة الطائي فلما قدم عليه نصر ناسة له يقال لها ابرة وكانت من أحسن نساء أهل عصرها فأعجب بها فقال لأنها أتيتك زائراً وقد يُنكح الحسن ويُكرم الحسن ويفلح الراعب ، فقال انت امرؤ كريم يقبل منك الصفو ويؤخذ منك العفو فقر سطر في أمرك ثم انكفأ الى أهله فقال ان الحارث بن سليل سيد قومه منصباً وحسباً وبيتاً فلا يصرفن من عندنا الا بحاجته فأريدي انتشي عن نفسها فعلت ذلك فقال

يا بنية أي الرجال أحب اليك الكهل الجحجاح الفاضل المتاح أم الفتى الوضاح ، قالت : الرمور الطماح ، قالت يا بنية ان الشيخ يميرك ولا يضيرك وليس الكهل الفاضل الكثير المال كالحدث الس الكثير العلل ، قالت يا أماه احنني الشيخ ان يدنس ثيابي ويشمت بي اترابي ويبلى شبابي ، قال فلم تزل بها أمها حتى عاشتها على رأيها فتزوجها الحارث بن سايل على خمسين ومائة من الابل وألف درهم واتى بها ثم رحل بها الى قومه فبيناهو جالس ذات يوم وهي الى جانبه اذ أقبل فتية من بني أسد نشاوى متحترون فلما نظرت اليهم تبسمت الصعداء وبكت فقال . ما شأنك ، قالت . مالي وللشيوخ الناهضين كالفروخ قال : ثكلتك أمك تجوع الحرة ولا تأكل بثديها فدعت مثلا أما وأبيك لرب عارة شهدتها وجيل ورعتها وسبية أردفتها وحرة شرتها إلحقي بأهلك فأنت طالق .. وقال

تبرّأتْ أنْ رأتْ لي لابساً كبرًا ... وغايةُ الناسِ بينَ الموتِ والكِبَرِ
فإنْ يكنْ قد علاَ رأسي وعيَّرَه ... صَرْفُ الزمانِ وتغييرٌ منَ الشَّعَرِ
فقدْ أروحُ للذّاتِ الفتى جذِلاً ... وقدْ أصيدُ بها عِيساً منَ البَقَرِ
عنّي اليكِ فإني لا توافقني ... غورُ الكلامِ ولا شُربٌ على الكَدَرِ

قال . وقد الجحاج لابن امرية ما تقول في التزويج قال وجدت أسعد الناس في الدنيا وأقرهم عيناً وأصيبهم عيشا وأنعمهم سروراً وأرجاهم بالا وأشهمهم شاناً من رزقه الله زوجة مسلمة أمية عفيفة حسنة الطيفة نصيفة مطيعة ان أمرها زوجها وحدها أمينة ان قرّ عندها وحفظه في نفسه وان غاب عنها كانت له حافظة تحد زوجها أبداً ناعماً وجارها سليماً وكم آمن من خوف قد سترت حلمها جهلها وزانت دينها عقلها فذلك كالريحانة ولمسها من جنانها وكاللؤلؤة التي لم تثقب ولم تفتق قوّامة صوّامة ضاحكة بسّامة ان حضرت شكرت وان غضبت صبرت وفاجأ ونجح من رزقه الله مثل هذه وبئس من رزقه شيطانة تحمل شيئاً على الشيخ الضعيف نحره في الارض حراً فعلها مشغول وحبلها مشغول وصبرها مردود وقصبها مهزول ، قال يا ابن القرّية قم الآن

فاخطب لي هند أمت أسماء ولا تزيدن على ثلاث كلمات فأتاهم فقال : حثثت من عندمن تعلمون والأمير يعطيكم ما تسألون اسكحوا أم تدعون . قالوا : انكحنا وعمنا فرجع الى الحجاج فقال : أصلح الله الأمير صلاح من رعى عمله ومدّ في الخيرات أجله وبلغ به أمله جمع الله شملك وأدام طولك وأقرّ عينك ووقاك كيدك وأعلى كعبك ودلّل صعبك وحمس حالك على ارغاء والبين والبنات واليسير والبركة وأسعد السعود وأبقى الجدود وحماها الله ودوداً ولوداً وجمع بينكما على الخير والبركة فزوجها الحجاج ثم انه دخل ذات يوم عليها وهي تقول

وما هندٌ إلاّ مُهرةٌ عربيّةٌ ... سليلةُ أفراسٍ تحلّلها نَعْلْ
فإن نُتِجَتْ مُهراً كريماً فحالَما ... وإن يكُ إقرافٌ فما أنجبَ الفحلْ

فخرج من عندها مغضباً ودعا ابن القرّية فدفع اليه مائة ألف درهم وقال ادخل على هند وطلقها عني ولا ترد علي كلمتين وادفع اليها المال . فعمل ابن القرّية المال ودخل عليها فقال . ان الأمير يقول كنت صدقت وهذه المائة ألف صداقك ، فقالت يا ابن القرّية ما سُررت به إذ كان ولا حزنت عليه إذ بان وهذا المال بشارة لك ما حثثناه . فكان القول أشد على الحجاج من فراقها .. وذكروا أن عبد الرحمن بن أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه كانت عنده عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل فأحبها حبّاً شديداً فأمره أبوه بفراقها وان يطلقها بطلاقة واحدة فعمل ثم ندم على فعله فقال

فلم أرَ مثلي طلّقَ اليومَ مثلَها ... ولا مثلَها في غير جُرمٍ تُطلّقُ
لها خُلُقٌ سَهلٌ وحُسنٌ ومنصبٌ ... وخَلقٌ سَوِيٌّ ما يعابُ ومَعْنَقُ
أعاتِكَ قلبي كلَّ يومٍ وليلةٍ ... إليكِ يكادُ صوتُ مُعَنَّقُ
أعاتِكَ ما أنساكِ ما دَرَّ شارقٌ ... وما لاحَ نجمٌ في السماءِ مُحَلِّقُ

فسمع ابو بكر ذلك فرقّ له وأمره بمراجعتها .. وعن علي بن محمد قال حدثني أبي قال خرجت ومعي اعرابي وسعى الى موضع يقال له بصيرا من مصر فحدثه

متعجبين فأكلنا وشربنا فقال الاعرابي : قل بيت شعر فقلت

تلذذنا لذيذ العيش في تطياثا

فقال الاعرابي لما حثثنا أقداحاً ثلاثا

فقال البطي وامرأتي طالق ثلاثا

وما زال يبكي حتى الصباح فقلت له : ما يبكيك ، فقال ذهب امرأتي ثلاثة ،، قال اسحاق بن ابراهيم الموصلي كنت انا والحسين بن الضحاك نيوماعند المعتصم وحضرت قبة تعرض عليه فأعجب بها فقال للمدبرين : كيف تروبها ، فقال احدهم : امرأته طالق ان كان رأى مثلها ، وقال آخر امرأته طالق ان لم ، وسكت فقال المعتصم : ان لم ، قال ، لا شئ ، فضحك وقال له : ويحك ما دعاك الى طلاق أهلك بلا سبب ، فقال : يا أمير المؤمنين كلما قد طلق امرأته بلا سبب ،، ومما قيل في ذلك من الشعر

رَحلَتْ أُمَيَّةُ بالطَّلاقِ ومحَوتُ من رِقِّ الوثاقِ
باتتْ فلمْ يَجزَعْ لها قلبي ولم تذمَعْ مآقي
لو لمْ أُزِحْ بفِراقِها لأَرَحتُ نفسي بالإباقِ
وحصيتُ نفسي لا أُريـــــدُ حليلةً حتَّى التَّلاقي

وقال آخر

رأيتَ أثاثها فطمعتَ فيها وقد نصحتْ أميرَكَ بالأثاثِ
فطلقها وعدِّ النفسَ عنها سريعاً إنَّ نفسكَ في التواثِ
وإلاَّ فالسَّلامُ عليكَ إني سأحذرُ من عَدِلتَ في المراثي

محاسن وفاء النساء

قال الكسروي كتب بلاش بن فيروز الى ملك الهند يخطب ابنته فلم يتم له ورد رسوله حائبا فتجشم وسار اليه في جيله ورحله فلما اصطفت الجيشان دعاه بلاش الى المبارزة وقال انه عار على الملوك ان يوردوا جنودهم المهالك ويعوروا بأنفسهم فمر اليه ملك الهند فاختلفت بينهما ضربتان فسمت بلاشاً حصانة درعه وضربه بلاش الهندي على عاتقه فقطع جسده حتى انتهى السيف الى سندوته فخر ميتاً وانهزمت جيله فافتتح بلاش مدينته وامر بقتله فاجتمعوا بقصر اساسة الملك فلما احتوى على أمواله بعث الى اساسة الملك أن تأتيه فقال للرسول وهي تبكي قل للملك المرتى بالحلم المحسن في رعيته السعيد بالظفر انك قد ملكتني وصرت ممن يستحق عطفك ورأفتك فان رأيت أن تطيب نفساً عن البعل إلي حتى ترجع الى دار مملكتك فافعل . فانصرف الرسول الى بلاش فاخبره فاحالها الى ما سأل وسار وحملها حتى قدم دار المملكة فهيأ لها مقصورة معزولة عن سائر حرمه فاقرها فيها وأمر لها بفتيق الديباج وفاخر الجوهر واسقاط من الذهب والصلاة والجواثر والأثاث مما يأمر لغيرها من نسائه واستأذنها في الدخول عليها فأذنت له فدخل عليها واقام عندها سبعة أيام وليالي محاماً منه بها لا يجيز اليها جوعة ولا شعث عن صدر خدمه شرح من عندها اليوم الثامن وقد وقع في قلبه ما أضمرت من حقه فحلف عليها واقسم لا يدخل عليها فقال يوما لخاصتها ما أنجب أمر الملك بدل دمه في صلى حتى ظفرني سلاحي اطلقني حتى سألني عن عدة نسائه وبين أكرم عليه وأبي بعيدلك . فاضحك حتى عرفت ذلك وانصرفت فقالت اني وجدت له ثمانية امرأة ما بين أمة وحرة وليس فيهن أكرم عليه من اساسة سألني عن سوءة عجزه وقرعتها فقالت فاقرئيها مني السلام واعلميها اني رددت مؤخرتي و لا مطمع اليها فاضحك الخاصة الى اساسة فأعلمتها رسالة مولاتها . فقالت لها قرئيها مني السلام وعلميها اني قد حسنتها وأحسنتها الى ما سألت فصير إليّ فانصرفت فأخبرتها فقالت قولي لها حسن هيئته

وأقبلت اليها ودخلت عليها فرفعت مجلسها وأقبلت عليها فذكرت حبها لها ورعتها في مواصلتها فردت عليها امة السائس أحسن رد واسلمتها سرورها بذلك ثم تحدثا ساعة وانصرفت وخدمات الهدية تأتيها بها وتظهر الأنس بها فلما أنست بها قالت لها انك قد اسلمت قلب الملك وقهرت حبيبا بمصلك وليس لواحدة مما نصيب فاعلميا الأمر الذي فصلتيا به لترداد سرورا بما أويت ومحبة لك والانقطاع اليك . قالت اني لما عرفت ضعف نفسي وقلة حيلتي علمت انه لا يرجع الملك مني الى شيء أحظى به عنده مثل المؤاتاة في الخلوة وان اسعفه اذا هم بالحركة واستمال قلبه باللطف وفصل الخدمة فصار آثر عنده ذلك مستمرة ورأى من سائر نسائه أمة الأكفاء وهو الجمال وحيلاء الملك وعلمت اني ان أحدث ما أحدثه مع طول نفسي وقلة حيلتي ودقة خطري لا يليق بي مثل الذي يليق بهن فحملني على جميع نسائه بذلك ، فلما سمعت امه الملك ذلك علمت ان قلوب الرجال لا تستمال إلا بالمؤاتاة وسرعة الاجابة في الماء عند المشتهاة فعزمت أن تحمل ذلك عدة لاستعطاف قلب الملك فانصرفت الى قصرها وقالت لبعض جواريها : ادعي الى فلانة — تعني امة السائس — فان رأيت الملك عندها وعلمتها اني عليلة من وجع عرض لي فانطلق الجارية فاذا الملك عندها فأخبرتها بذلك فرق الملك لها وذكر عزتها وقسمه أباها فقال لامه السائس ما ترين في اتيانها ، فقالت ايها الملك انه ليس في نسائك من لها عندي مثل منزلتها فصر اليها فانها غريبة قد فارقت أهلها وهي في موضع رحمة . فقام الملك حتى دخل عليها وهي الى جنب مجلسها فقامت اليه تمشي بأحسن هيئتها متكسرة في خطاها وريحها عبقة بنفسها وعنصرها فقامت بين يديه وأخذت بيده حتى أجلسه في صدر فراشها وخدمات تقبل يديه ورجليه ضاحكة اليه مظهرة السرور به ، فخدمها الى مجلسه ودعاها الى مضجعه وآنسه ولم يرد في الخلوة شيئاً إلا أجابه اليه فلما قضى حاجته منها قالت له انه قد ذكر رسولك من سدة وخدمك ، قالت ياسيدي كان موضعه لمرافقك حتى شفاني لمؤنة وقلت ذلك ما نالني من تدرع الشوق اليك وطول صدودك وتعذيبك ثم أخذ معها في المداعبة وأقام عندها سبعة أيام فدعاها بالانصراف وانصرف وتعلقت به جارية لامه السائس فحيث الملك تحية الملوك ثم قالت

للهندية ان سيدتي — تعني اسة السالس — تقول قد اجتمع فيك ثلاث خصال الأولى الغدر بعلتك والثانية فصل تطاولك والثالثة كفران النعمة للعم وانى عن قريب رادتك من الملك الى عصص العبط . فاخذتها وهمت عياها ونظرت الى الملك كالمستغيثة به ، فقال لها الملك يا حبيبتي ما تنكرين من أمتك قد وهبتها لك وجميع ما تملك ، فتحولت عنها عنها فقالت لرسولها انطلق اليها فاعلمها ان الملك قدومها وما تملك لي وقولي لها أرحمك فحش نفسك الى لؤم حسبك واهمال أدبك إنتي الساعة بصغار المدلة ورقة العبودية فلما اعلمها الرسول ذلك أقبلت فدحلت عليها فحيت الملك وقامت بين يديه ، فقال لها الهندية ما كان أعظم رهوك في رسالتك ، قالت يا سيدتي أتأذن لي في الكلام ، قال تكلمي ، قالت أيتها السيدة لست متوجهه اليك بشيء هو أملك بك من حلمك ولا اعضب عليّ من فضلك ولم يعلم من رفع فوقي من هو أفضل مني وكل فرع يرجع الى أصله وكل زهر ينسب الى سحه ، فقالت صدقت فدعي عنك كلام الأدب فقد هتكتك على رغم أنفك وانا مروحتك من فلان حادمي فليس لك فضل عليه ، قالت اسه السالس من اعتاد معالي الأمور لم تطب نفسه بأسافلها ومن صاحب العظماء أتعبته الأدناء وانما ترفعت عظمتك ورجوت حسن نظرك فاما اذ عزمت على هذا فقد طاب الموت وهو الذي أستنقذني منك ثم قالت أيها الملك ان جَدّل المسرة مسبب لا يستقر مع موقعه لأنه في المخالفة عدله فاحترس من هذه الهدية فانها لا تؤمن عليك لأنها ليست من حسنك فيعطفها عليك الرحم ولا من أهل مملكتك فتعرف نعوتك عيبه وتعاهي شديدة عتوه قد قتلت أباها وهدمت عرها فاحترس منها ولا يهيبنك موقعها من قلبك فهو مق احتالت في قتلك لم تكن في يدها من العمر الا قتلها كما كان من أمر الثعلب وعظيم العبر فقال الملك وما كان من حديثهما ، قالت يقال ان ثعلباً جاع في يوم قرى شجرة ليأكل منها فسال الوادي الذي فيه تلك الشجرة بسيل شديد فاقتلعها والثعلب عليها ثم رفعها ووضعها حتى ألقى الثعلب الى أرض بعيدة من أرضه فأصبح وقد ألقاه السيل الى سفح جبل كثير الأشجار مثمر الأعصان وعلى تلك الأشجار حسن من الطير لا يحصى عدداً فاقبل الى شجرة قصياً مفكراً لا يعرف أرضه ولا يقدر على

مؤالفة الدواب فمرّ به عظيم الطير فقال له ما أتت فقال انا دابة سال بي السيل فألقاني في محلتكم وقد أصبحت عريباً فقال له عظيم الطير فهل لك حرفة قال نعم اعرف الثمار اذا ملئت حد نوعها وأصنع للطير أكنافا في الأرض تكن فيها مراحها من الحر والبرد فقال له عظيم الطير قد أدركت عندنا بغيتك فقم عندنا نواسك ونعرف حق مجاورتك فأقام الثعلب عند ملك الطير فكان يعرفهم الثمار المدركة ويحفر لهن مخاليه قدور في الأرض يمرحن فيها وكان الثعلب اذا حن عليه الليل وقرم الى اللحم ادخل يده في حجر من تلك الأحجرة فأخرج طيراً أو فراخه فأكله ودمى ريشه وجعلت الطير تتفقد ما كان يأكل واحداً بعد واحد فقال بعضها لبعض ما فقدنا أفاضلنا الا بعد صارت هذه الدابة بين أظهرنا وما كان هذه الطير تخايل العينة وما ندري مادهاها فقال لها عظيمها ان هذا حسد ما كان لهذه الدابة فلا يعلن ما أنت محتوية من فضل الطعم وما فيه فراخكن من هذه الأكنان التي لا يخاف عليها رد فيها ولا حر فقالت الطير أنت سيدنا وأنصر بالأمور منا قال وعلى أن أقطع هذا القول وأنتن حق ذلك من باطله بعضي فلما أظلم الليل نزل من الشجرة ودخل بعض تلك الأكنان وأقبل الثعلب على العادة التي اعتادها الى ذلك الكن فأدخل يده فمر على رأس الملك فقال الملك للثعلب لقد بصحتي الطير لو قبلت نصحها قال الثعلب أنت هو قال نعم قال ما صحت أن يبلغ من حقك كل هذا قال ملك الطير دعني أردد في مبرلتك بحسب ما رأيت من فضل عقلك ولطيف حيلك قال له الثعلب ان أولى شيء بي أن لا أعلق أحداً بشيء وأتركه إذ ليس من عقلك ان لا تحرأ من الثمار ومن الأكنان بما كان أعوانك يكفونه به ولم ترض حتى اجترت أمري بنفسك ولم تجعل التعزير في ذلك سبيلاً بما أكله ودمى ريشه وفقدت الطير عظيمها فستوحشت وعدت الثعلب صيره تخاليها وما ثيرها حتى قتلته ولم تصل في عظيم خطر ملكين الى أكثر من قتل الثعلب فاحترس من هذه الهدية . قالت الهدية انما تقر بين امرأة وزوجه رجل أخيها وولدها وبعلها وأفضل النساء لحارة بعلها على جميع أهله وولده هي نفسها فكيف من دهم أبوها وأخوها فبقي بعلها أفضل [illegible] قال الملك

وما كان من حديثهما ، قالت زعموا ان غراباً ألف مطبخاً لبعض الملوك فأحدق أطيب الطعام التي قد صارت فيه شيئاً فظنوا ان الغراب أحدثه لقلة وفائه ولؤم جوهره فطردوه عن مطبخهم وقالوا ما برحوا من هذا الغراب وهو من الطيور التي تعاف ويتطير منها فأفشى ذلك الغراب أمره الى حمامة قد كان بينهما معرفة وفزع الى رأيها وأحزمها ما كان فيه من عيم المأكل والمشرب فقالت له الحمامة انطلق بي حتى تريني هذا المطبخ فانطلق حتى أتى سطح المطبخ فقالت الحمامة اني أرى هذا البيت ليس فيه موضع مدخل فاحفر لي بمقارك قدر ما أدخل فان مقاري تصعب عن ذلك فحفر الغراب في سقف البيت بمقاره حتى دخلت فيه الحمامة وتوسطت في البيت فأبصرهم حين خلقها وصفاؤنها فجعل لها خازن المطبخ موضعاً تأوي اليه فلبثت في ذلك البيت قريرة عين فعاداها الغراب ما هكذا قدرت فيك فقالت الحمامة لو وفيت لك حقّ بي عندك وان القوم عرفوا وفائي وحسن جواري وعرفوا غدرك وقلّة وفائك ونكث عهدك فهذا مثلي ومثلك يا أيتها السائس اني لو وفيت لك أردى غدرك وقتلني مكرك ، قالت أيتها السائس انها السيدة ان الذي سمعت مني كان لشدة الأمة فأردت أن أنهى عن نفسي الذي أرت من انكاحي خادمك فلاناً ، قالت الهدية لا بد من ذلك ، فقالت أيتها السائس من اعتاد معصيتي لأمور لم تعاقب نفسه بأسافلها الآن استعذب الموت فعمدت الى سمّ كان معها فصدقته في فيه فخرت ميتة ووقت الهدية لروحها فأفلحا ومنهن شيرين امرأة برويز فان برويز لما قتل أباه وتوطد له الملك بعث الى شيرين يدعوها الى نفسه فامتنعت عليه وأبت أن تجيبه الى ذلك فعصمها صياعها وعقارها ودخائرها وأموالها وقدفها كل وحشة ورعبة بكل معصلة فلما يئس منها ذلك هان عليها ما أحدثه من أموالها مع رعايته فبعث اليه وقال أيها الرجل ان يكن ما سألت بذلك فاقض لي ثلاث حوائج حتى أرضى عنك وأترك فقال وما هذه الحوائج قالت احداهن أن ترد عليّ صبيحي وأموالي وبيوتي فتعسكر عساكرك وأساورتك وعظماء أهل مملكتك وسراتهم قدامي بالرماح شاهرة أوعى ودبعة فتأمر أن يفتح لي باب الماووس حتى أردها عليه فاحمل ما في ذلك وأمر بفتح باب الماووس لها ومعها جنّ وفيه ثمّ ساعة فدخلته في فيها وسقطت جثة بين

﴿ ضـلـة ﴾

قيل .. كان لكسرى انروير حتى يقال له بسطام مخالف على كسرى وجمع جمعاً كثيراً ووقع انروير فلما أعيب انروير الحيلة فيه دعا بكردي أخي بهرام جور ويقال ان كردياً كان علاماً له رباه و لم منه مناع الرجال وكان من حاشيته والمحبين له فقال له قد ترى ما نزل بنا من هذا العدو بسطام وقد رأيت رأياً ان طاعتني عليه رجوت الظفر ، قال كردي وما دال أيها الملك اخبرني فما شيء يريدك الله به عزاً ويريد أعدائك به ذلاً إلا بادرت اليه سمح وصدق لعظيم حقك ووجوب طاعتك . قال له كسرى قد عرفت حال كردية أخت امرأة بسطام وجارية قلبها وبسطام يأوي اليها كل ليلة اذا انصرف عن الحرب وانا جاعل لها عهد الله وميثاقه ورمة انبيائه ان هي أراحتني من بسطام واحتالت لي في قتله ان اتزوجها واجعلها سيدة نسائي وانابع في اكرامها والسمو بها أفضل ما بلغ ملك بامرأته ، قال كردي " أيها الملك ما أشك في قدرتها عليه فاكتب اليها بخطك بما رأيت لأوجهه في الكتاب اليها مع امرأتي ارجية فارطها علا ورفعا وبصيرة فكتب كسرى بخطه (بسم الله الرحمن الرحيم) هذا كتاب لكردية بنت بهرام جساسب كتبه لها كسرى انروير بن هرمز ان لك عندي عهد الله وذمته وذمة انبيائه ورسله ان أنا قتلت بسطام و رجعني منه ان اتزوج بك واجعلك سيدة نسائي وابنع من كرامتك ما لا يبلغ ملك من الملوك لأحد وأشهد الله على ذلك وكفى بالله شهيدا وكتب كسرى شخطه وختمه بخاتمه يوم كذا من شهر كذا فسارت ارجية حتى دخلت عسكر بسطام كهيئة لزائرة لكردية فانظر اليها وكان بينهما قرابة فلما جاسها وسكنت دفعت اليها كتاب كسرى وقال لها يا ابنة عم اجعلي الملك الى ما سألك واعملي بذلك لرجوع الى ملكه فرغبت اشد رغبة شوقها الى اهلها وحثها الى ذلك وانصرف ارجيه الى عسكر كسرى وعرف روحها ما كان بينها وبين كردية فمضى كردي الى كسرى فاعلمه ثم ان بسطام دخل على كردية فأتته بعشاء فتناول منه ثم انتشه بسرات فسقه

وجعلت تحدثه وتظهر له المحبة حتى مضى ثلث الليل فنام بسطام فلما استثقل نوما قامت اليه كردية نسيمها فوضعته على ثديها ثم انتكأت فأخرجته من طهرها فمات وعمدت من ساعتها الى دوابها فحملت حشمها وأثقالها على المال وخرجت نحو عسكر كسرى وقد كانت وجهت مع أرحية الى أخيها ان يجلس لها على الطريق فلما وافته سار معها حتى أدخلها على كسرى ففرح بذلك فرحا شديداً فلما أصبح أصحاب بسطام ورأوه قتيلاً ولوا هاربين على وجوههم فانصرف كسرى الى المدائن فاتخذ لكردية تاجا مكللاً بالدر والجوهر وأعد لها وليمة عظيمة دعا فيها جنوده فطعموا وشربوا ثم دعا كردياً أخاها فروجه أياها ومهرها وأعطاها خاتماً فصه من الكريت الأحمر يضيء في الليلة الظلماء كما يضيء السراج فلما دخل بها كسرى ونظر الى خدها وعقلها سرتها واعطاها لاثنوان واقطعها الضياع وأكرم أخاها كردياً وولاه أرض فارس وبلغ بها من رفعه اياها وتشريفه لها ما لم تبلغه امرأة قبلها ولا بعدها ثم ان كردية قالت لكسرى ياسيدي أخرج بنا الى الميدان لألعب بين يديك بالكرة والصولجان فخرج معها الى الميدان وخرجت امرأته شيرين وخواص نسائه ودعا بخيل فأسرجت وركبت وركب هو وجعلت تلاعبه بالصولجان وتناول السيف وركبت في الميدان ولعب بالسيف لعباً منعماً ثم أحدثت الرمح فلعبت به فقالت شيرين أيها الملك ما يؤمنك من هذه الشيطانة قال مهيات انها أعرف بحقي وأشد حباً لنا من أن تخافها على نفسنا . فلما رأت قال كسرى لها في كل يوم من أيام مملكتنا قائد في اثني عشر ألف رجل وفي قصري اثني عشر ألف امرأة وقد جعلتك قائدة عليهن . قالت ياسيدي ما للنساء والفروسية وانما عليك أن تبرز بنا وتغيب وتسرنا بأنفسنا وأردت به كان هي سرورك وبسلبه همومك فأمر كسرى بحمل ضعفه وشرابه الى منزلها وبقي عندها أسبوعا لم يخرج الى الناس وهي لا تدعه لاحد يدخل عليه ثم خرج من عندها الى منزل شيرين فأتاه صياد بسمكة عظيمة فأعجب به وأمر له بأربعة آلاف درهم . فقال له شيرين أمرت لصيد بأربعة آلاف درهم فمن أمرت لك من الوجوه قال انما أمر لي عندك ما أمر للصياد فقال كيف أصنع وقد أمرت به . قال اذا أتاك فقل له اخبرني عن السمكة أذكر هي أم أنثى فان قال لي فقل لا تفع عيني

عليك حتى تأتيني بالذكر وان قال ذكر فقل مثل ذلك فلما عدا الصياد على الملك قال له اخبرني عن السمكة أذكر هي أم أنثى ، قال : بل أنثى ، قال : فأنى بذكرها ، فقال - عمّر الله الملك انها كانت بكراً لم تتزوج بعد ، قال الملك : رده وأمر له بأربعة آلاف درهم وأمر أن يكتب في ديوان الحكمة : ان الغدر ومطاوعة النساء يورثان الندم ،، قال وكان الموبذان اذا دخل على كسرى قال عشت أيها الملك بسعادة الجد ورُزقت على أعدائك الظفر وأُعطيت الخير وجُنبت طاعة النساء ، فساط ذلك شيرين وكانت أحمل نساء عصرها وأتمهن عقلا فقالت لكسرى : أيها الملك ان هذا الموبذان قد طعن في السن ولست مستغنياً عن رأيه ومشورته وقد رأيت لحاجتك اليه ان أهب له مسكدانة حارق وقد عرفت عقلها وحذاقها فان رأيت أن تسأله قتلها فافعل ، فكلم كسرى الموبذان في ذلك ، فهش للجارية لمعرفته بحذاقها وفضلها فقال قد قبلتها أيها الملك لايثارها إياي فافصل جواريها ، فقالت شيرين لمسكدانة انى أريد ان تأتي هذا الشيخ فتبدي له محاسنك وتحيدي خدمته فاذا هش لمصاحبتك فامتنعي عليه حتى يوكمه وتركبه وتعلميني الوقت الذي يتهيأ لك ذلك حتى لا يعود الى ريد في تحية الملك - ووُقيت طاعة النساء - فقالت مسكدانة : افعل ياسيدتي ، ثم انطلقت الى الشيخ فصارت عنده في داره التي يحلها من قصر الملك فجعلت تخدمه وتترفه وتظهر له الكرامة وهي مع ذلك تتبرز له محاسنها وتكشف له عن صدرها ونحرها وتبدي له ساقيها وفخذيها فارتاح الموبذان اليها وشرح صدره لمصاحبتها فجعلت تمنع عليه فيزداد في ذلك حرصاً فلما أحبّ عليها قالت له أيها القاضي ما انا بمحدثتك الى ما سألت حتى أوكمك وأركبك فان احتبى الى ذلك صرت طوع يدك فيما تريد وتدعو اليه من مسرتك فامتنع عليها حتى وقيت شيرين له بما وتكشف له عن محاسنها حتى عيل صبره فقال لها افعلي ما احببت ، فهيأت له بدعة صغيرة وإكافاً صغيراً وحراماً وشعراً وأقامته عريانا على اربع ووضعت على ظهره البدعة والاكاف وجعلت الشعر تحت خصيتيه وهي قائمة وركبته وهي تقول حر حر وأرسلت الى سيدتها شيرين تعلمها بذلك فقالت شيرين للملك صعد الى صفة بيت الموبذان لتنظر من الروزنة ما يكون بينه وبين الجارية فصعدا

ونظرا فاذا هي قد ركته فوق الاكاف ، فناداه كسرى : ويحك أي شيء هذا ، فرفع الموبذان رأسه ونظر الى الروزبة ورأى الملك فقال : هو ما كنت أقول لك في احتناب طاعة النساء ، فضحك كسرى وقال قبحك الله من شيخ وقبح مستشيرك بعد هذا ،،

حديث الرباء ومبنى الرباء واسمها هند وملك الشام بعد عمها القمقام وكان حديثة الأرش قتل عمها فبعث اليها حديثة يخطبها فأظهرت البشر والسرور لرسوله وكتبت اليه بالقدوم عليها لتزوّجه نفسها فاستشار نصحاءه فقالوا . ايها الملك ان تزوجت بها خدمت ملك الشام وملك الجزيرة الى ملكك ، فاستخف ابن أخيه عمرو بن عديّ وسار في ألف فارس من خاصته فلما انتهى الى مكان يسمى ثقّة وهو حدّ مملكتها ومملكته نزل في ذلك المكان واستشار أصحابه أيضا في المصير اليها والانصراف فرتبوا له الاقامة بها وقالوا انك ان انصرفت من ههنا ارتاب الناس منك على حين ووهن ، فدنا منه مولى له يقال له قصير بن سعد فقال له . ايها الملك لا تقبل مشورة هؤلاء وانصرف الى مملكتك حتى يتبين لك أمرها فانها امرأة موتورة ومن شأن النساء الغدر ، فلم يقبل قوله ومضى حتى اقتحم مملكتها فقال قصير لعمرو ثقّة ثُكِلَتْ أمّ الأخر — ثم أرسلها مثلا ، فلما بلغ امرأة قدومه عليها أمرت جنودها واستقبلوا الملك فقال قصير ايها الملك اني رأيت جنودها لم يترحلوا لك كما يترحل للملوك ولست آمن عليك فاترك العسكر واتبعني — فالعسكر كان عرساً لحديثة لا تشق غبارها — فلم يسمع حديثه وقوله وسار حتى نزل المدينة وأمرت هند الرباء باصحابها ان ينزلوا فأنزلوا وأحدث منهم أساحمهم وأوانيهم وأدخلت الحديثة فدخل عليها وهي في قصر لها ولم يكن معها في قصرها الا الحواري فدومأت اليهن ان يأخذنه واحتضن عليه ليكتفنه فامتنع عليهن فلم يزل يصرعه الأعمدة حتى أخذه وكتفه ثم دعت بسطح فاجلسه فيه وكشفت عن عورتها فعبر حديدة قد لطخ شعرة وافيه فقالت كيف ترى عروسك أشوهر عروس أم مذرى ، قال بل ترى بعراً ثقّ وبتّ فاشياً ولا أعلم ما وراء ذلك ، قالت اما انه ليس من عدمك واسي ولا منه لأوانس ولكنه شيمة من الناس ثم أمرت به فقطعت عروقه فجعلت دماؤه تشخب في السطح فقالت لا يخرجنك ما ترى فانه دم عراقه أهله فأرسلتها مثلا ، واحتال قصير للعصا حتى

وصل اليها وركبها ثم دفعها فجعلت تهوى به كأنها الريح وكان المكان الذي قصد فيه حديقة مشرفاً على الطريق فنظر حديقة اليه وقد دفع الفرس فقال لله حزم على رأس العصا فلم تزل دماؤه تسفح حتى مات ، ثم أمرت بأصحابه فقتلوا بأجمعهم وكان عمرو بن عدي يركب كل يوم من الحيرة فيأتي طريق الشام يتحسس عن خبره وحاله فلم يعلمه أحد خبره فبينما هو ذات يوم في ذلك اذ نظر الى فرس مقبل على الطريق فلما دنا منه عرف الفرس وقال : ياخير ما جاءت به العصا فدهش مثلاً فلما دنا منه قصير قال له ماوراءك قال : قتل خالك وجنوده جميعاً فاطلب ثارك ، قال وكيف لي بها وهي أمنع من عقاب الجو ، فدهش مثلاً ثم ان قصيراً أمر بأتقاب بصره فخدع ثم ركب وسار نحو الزباء فاستأذن عليها فقيل لها ان مولى لحديمة وقهرمانه واكرم الناس عليه قد اتاك مخدوعاً فأذنت له فدخل عليها قالت من صنع بك هذا ، قال ايتها الملكة هذا فعل عمرو بن عدي اتهمني وتجنى عليّ الذنوب ورعم انى أشرت على خاله بالمصير اليك حتى فعل بي ماترين ولم آمنه ان يقتلني فخرجت هاربا اليك وقد أتيتك لأكون معك وفي خدمتك ولي حذاء وعندي عطاء ، قالت ثم اقم فعندي لك ماتحب ووكلته بمقتها فجعل لها ورأسه الرشاقة فيما أسندته اليه فأقام عندها حولاً ثم قال لها ايتها الملكة ان لي بالعراق مالاً كثيراً فلو أذنت لي في الخروج لحمله فافعلي فدفعت اليه مالاً كثيراً وأمرته أن يشتري لها نفيس من الخز والوشي ولآلئ وياقوتاً ومسكاً وعنبراً والبحور فانطلق حتى اتى عمراً فأخبره فاحتد منه صنعي مالها وانصرف نحوها فاسترحصت ما أتاه به وردته الثانية والثالثة فكان يأخذ في كل مرة مثل أضعاف مالها ويشتري لها جميع ماتريد فتسترخصه ووقع قصير بقلبها فاستحلته ثم بعثته في الدفعة الرابعة بمال عظيم وأمرته ان يشتري لها ومتاعاً وقرباً وآنية فانطلق الى عمرو فقال قد قضيت ماعليّ وبقي ماعليك ، فقال وما الذي تريد قال اخرج معي في ألفي فارس من خدمك وكبرائي أحواف الحواليق على كل بعير رجلان فانتخب عمرو ألفي فارس من أصحابه فخرج وخرجوا معه في الحواليق كل رجل بسيفه وكان آخر النهار فلما أمسى الليل فتح الحواليق فخرجوا فجمعوا وسلحوا وتقدموا حتى اذا كان منه وبين مدينتها مقدار ميل تقدم

قصير حتى دخل عليها وقال : أيتها الملكة اصعدي على القصر لتنظري ما أتيتك به ، فصعدت فنظرت الى ثقل الأحمال على الجمال فقالت

ما للجمالِ مَشيُها وَئِيدَا أجَنْدَلاً يَحمِلْنَ أمْ حَدِيدَا

أمْ صَرَفاناً بارِداً شَدِيدَا

فأجابها قصير سراً وقال

كلُّ الرِّجالِ حَتْفُهَا قُعُوداً

فقال : لما عليها من المتاع الثقيل النفيس فأمرت بالأحمال فادخلت قصرها وكان وقت المساء فقالت . اذا كان غداً نظرنا الى ما أتيتنا به ، فلما حلَّ عليهم الليل فتحوا الخوالق وخرجوا فقتلوا جميع من في القصر وكان لها سرب قواعدته للفرع والهرب ان حل بها روع تخرج الى الصحراء وقد كان قصير عرف ذلك المكان ووصفه لعمرو فبادر عمرو الى السرب فاستقبلته الزّباء فولت هاربة نحو السرب فاستقبلها بالسيف فقصت فصبها وكان مسموما وقالت يدى لا يدك يا عمرو ولا يد العمد ، فقال عمرو يده ويدى سواء وفى كليهما شفاء وضربها بسيفه حتى قتلها . وأقبل قصير حتى وقف عليها فجعل يدخل سيفه فى فرجها ويقول

ولوراً وَنِي وسَيفي يومَ أُدخِلُهُ في جوفِ زَبَّاءَ ماتوا كلُّهم فَرَحا

وعمد عمرو وأصحابه من مدينها أموالاً جليلة وانصرفوا الى الحيرة فكان الملك بعد خاله جذيمة وعمرو هذا هو جد النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدى .. ومنهن صاحبة الجعد بن الحصين ابى صخر بن الجعد وكان الجعد قد طعن في السن وكان يكنى أبا الصموت وكانت له وليدة سوداء وقال يا أبا الصموت زعم قومك أن يتثلوني اد أنت مت قال ولم ذاك ، قالت مالي اليهم دين غير حبك فاعتقها فبقيت معه أياماً ثم قال يا أبا الصموت هذا عرابة من أهل عمان يخطبك ، قال ما كان هذا طي ذكرك ، قالت ما أريد ماله لك . فدخل الذي به فخاطبه فروجها منه فولدت منه وقرّبته في مال

حمد وكانت تأتي الحمد فتنضب رأسه ثم قطعته فقال الحمد

أبلغْ لدَيكَ بني عَمْرٍو مُغَلْغَلةً ... عوْفاً وعَمْرًا فما قولي بمردودِ
بأنَّ بيتيَ أمسَى فوْقَ داهيةٍ ... سوْداءَ قدْ وَعدَتْني شرَّ موْعودِ
تُعطي غُرَابةَ بالكفينِ مختصباً ... منَ الخلوقِ وتُعطيني على المُودِ
أمسَى غُرابةُ ذا مالٍ وذا وَلدٍ ... منْ مالِ جمْدٍ وجمْدٌ غيرُ محمودِ

ومنهن ٠٠ امرأة مروان بن الحكم وكانت أم خالد بن يزيد بن معاوية وهي ابنة هشام ابن عتبة فاراد مروان الخروج الى مصر فقال لخالد : اعرني سلاحك فأعاره فلما رجع قال له خالد رُدَّ عليَّ سلاحي فأبي عليه وكان مروان خماشاً فقال له يا ابن الرطبة فجاء خالد الى أمه فقال هذا ما سمعت بي سبّي على رؤوس الملأ وقال لي كيت وكيت قالت اسكت فاني اكفيك أمره ، فجاء مروان فرقد عندها فأمرت جواريها فطرحن عليه الوسادكين — يعني الملاحف — ثم عطلته حتى قتلته وجرجن يصحن وا أمير المؤمنياه فدعا عبد الله بامرأة أبيه ليقتلها فقالت ان الذي يبقى عليك من العار اعظم من قتل أبيك ، قال . وما ذاك ، قالت يقول الناس ان أباك قتلته امرأة ، فأمسك عنها

☆

محاسن مكر النساء

ذكروا ان الحجاج بن يوسف ارق ذات ليلة فبعث الى ابن القرّية فقال اني أرق فحدثني حديثاً يقصر عليَّ طول ليلي وليكن من مكر النساء وخداعهن ، فقال أصلح الله الأمير ذكروا ان رجلا يقال له عمرو بن عامر من أهل البصرة كان معروفا بالسخاء والسخاء وكان له زوجة يقال لها حيلة وله صديق من التجار فاستودعه عمرو ألف دينار وقال ان حدث بي حادثة ورأيت أهلي محتاجين فاعطهم هذا المال فمات عمرو فجزع عليه وأحب فحكث حيلة بعده حيناً ثم ماتت فاتخذت حادمتها يوماً

بيع حائكها لغداء يوم أو عشاء ليلة فبينما الخادمة تعرض الخاتم على البيع اذ لقيها الناسك صديق عمرو فقال . فلانة . قالت : نعم ، قال : ما حاجتك ، فأخبرته سوء الحال وما اضطرت اليه مولاتها من بيع خاتمها ، فهملت عيناه دموعا ثم قال : ان لعمرو قبلي ألف دينار فاعلمي بذلك صاحبتك ، فأقبلت الجارية ضاحكة مستبشرة وهي تقول زرق حلال عاجل من كد مولاي الكريم الفاضل ، فلما سمعت مولاتها ذلك سألتها عن القصة فاخبرتها فخرت ساجدة وحمدت ربها وبعثت بالجارية الى الناسك فأقبل الناسك ومعه المال فلما دخل الدار كره أن يدفع المال الى أحد سواها فخرجت فلما نظر الى خاتمها وكمالها أخذت مجامع قلبه وفارقه النهى وذهب عنه الحياء وأنشأ يقول

قَدْ سَلَبْتِ الجِسمَ والقلبَ مَعًا ... وبَرَيتِ العَظمَ مِمَّا تلْحَظِينْ

فأَرُدُّدى قَلْبَ عَمِيدٍ وَأَقِلِّى ... صِلَةَ الضَّعْفَيْنِ مِمَّا تَرْتَحِينَ

فأطرقت جارية لعوله طويلا ثم قالت . ويحك ألست المعروف بالناسك المنسوب الى الورع ، قال . بلى ولكن نور وجهك سلّ حسنى فتداركيني بكلمة تقيمني بها أودي فهذا مقام اللائذ بك ، قالت أيها المرائي المخادع اخرج عني مذموما مدحورا فخرج عنها وقد هام قلبه واصبحت جارية تعمل الحيلة في استخراج حقها فأتت المالك ترفع اليه ظلامتها فلم تصل اليه فأتت الحاجب فشكت اليه فأعجب بها اعجابا شديداً وقال ان لوجهك صورة ارفعها عن هذا ولا يحمل تلك الخصومة فهل لك في صعبي مالك في سرور وفق . فقالت سوأة لامرأة حرة تميل الى ريبة فانصرفت الى صاحب الشرطة فأدت ظلامتها اليه فأعجب بها وقال ان خصمتك على الناسك لا تقبل إلّا بشاهدين عدلين وانا مشتر خصومتك ان ابت زلت عند مسرتي فانصرف عنه الى القاضي فشكت اليه فأخذت بقلبه وكاد القاضي يحن اعجابا بها وقال يا قرة العين انه لا يرهب في أمثالك فهل لك في مواصلتي وعناء الدهر فانصرفت وباتت تحتال في استخراج حقها فبعثت الجارية الى بحار فعمل لها تابوتاً بثلاثة أبواب كل منهم مفرد ثم بعثت الجارية الى الحاجب أن يأتيها اذا أصبح والى صاحب الشرطة ان يأتيها ضحوة والى القاضي أن يأتيها اذا تعالى النهار والى

الناسك أن يأتيها اذا انتصف النهار فاتاها الخاصب فاقفلت عليه تحدثه فما فرغت من حديثها حتى قالت لها الجارية صاحب الشرطة بالباب فقالت للخاصب ليس في البيت ملجأ الا هذا التابوت فادخل أي بيت شئت منه فدخل الخاصب بيتا من التابوت فأقفلت عليه ودخل صاحب الشرطة فاقفلت حيلة عليه بمحكمه وتلاطفه فما كان باسرع من أن قالت الجارية القاضي بالباب فقال صاحب الشرطة اين أختفي فقالت لا ملجأ الا هذا التابوت وفيه بيتان فادخل أيهما شئت فدخل فاقفلت عليه فلما دخل القاضي قالت مرحبا وأهلا وأقفلت عليه بالترحيب والتلطيف فيما هي كذلك اذ قالت الجارية الناسك بالباب فقال القاضي ما ترين في رده فقالت مالي الى رده سبيل قال فكيف الحيلة قالت اني مدخلتك هذا التابوت ومحاصمته فاشهد لي بما تسمع واحكم بيني وبينه بالحق قال نعم فدخل البيت الذي فاقفلت عليه ودخل الناسك فقالت له مرحبا بالزائر الحاني كيف بدا لك في زيارتنا قال شوقا الي رؤيتك وحبا الي قربك قالت فالمال ما تقول فيه اشهد الله على نفسك برده أسمع رأيك قال اللهم اني أشهدك ان لحيلة عندي الف دينار وديعة روحها فلما سمعت ذلك هتفت بجاريتها وخرجت مبادرة نحو باب الملك فانهت طلامتها اليه فأرسل الملك الى الخاصب وصاحب الشرطة والقاضي فلم يقدر على واحد منهم فقعد لها وسألها البينة فقالت يشهد لي تابوت عندي فضحك الملك وقال نحتمل ذلك لحالك فحملت بالمحفة فوضع التابوت فيها وحمل الى بين يدي الملك فقامت وضربت بيدها الى التابوت وقالت أعطني لله عهداً لتصدقن بالحق وتشهدن بما سمعت أو لاضربنك بارا فاذا ثلاثة أصوات من جوف التابوت تشهد على اقرار الناسك لحيلة بألف دينار فكبر ذلك على الملك فقال حيلة ما أحد في مملكتك قوما أوفى ولا أقوم بالحق من هؤلاء الثلاثة فأشهدتهم على غريمي ثم فتحت التابوت وأخرجت الثلاثة طير وسألها الملك عن قصتها فاخبرته وأخذ حقها من الناسك فقال الخصاص لله درها ما احسن ما احتالت لاستخراج حقها قد وكل يعقوب بن يحيى المدائني ويحيي الكاتب كاتب سهل بن رستم تحدثا في مهمات جرت بينهما فقال يعقوب يوما ليحيى ما اشتهي ان أرى بطن مهدية فقال يحيى مشغل في ذلك حتال لك بحيلة حتى تراه قال ماشئت قال ردونك هذا

قال : نعم ، قال : فتوثق منه وأتى مهدية فقال لها كان لي بردون موافق هاره فعمق وأنت لو شئت لحملتي على بردون هاره ، قالت . انا افعل وأشتريه لك بما بلغ الثمن ، قال : أنت قادرة عليه بغير الثمن . قالت . كيف ذلك ، فأخبرها بالقصة فقالت : قد حملك الله على البردون وارتحك البطر الى بطن حمس فاذا كان غداً فتعالَ انت ويعقوب فاحلسا فان سليمان يبعث بوسيقته فلانة كثيراً فاذا فعل ذلك وحثت اناقل أنت يامهدية لو علمت ما صنع فلان لقتلهِ ، قال نعم . فلما جاءت مهدية قال لها ان أمر سليمان مع وسيقته اشنع مما تقدر منه ، فوثبت مستشيطة غضباً وقالت مثلك يا ابن الساحر يعمل هذا مرة بعد أخرى وشقّت جيبها الى أن حاورت أسفل البطن وهي قائمة فنظر الى بطنها فتأملها ساعة وهي تشتم ابن الساحر فقام اليها يرضاها ويسكنها ويعقوب يقول واردواه فأحدث منه بحيي .. وعن المسور قال كان عندنا بالأهواز رجل متأهل وكان له أرض بالبصرة وكان في السنة يأتيها مرة أو مرتين فتزوج بها امرأة ليس لها إلا عم في الدار وكان يكثر الاختلاف بعد ذلك الى البصرة فانكرت الأهوازية حاله فدسّت من يعرف خبره ثم احتالت ونبشت من أورد خطأ لعمّ المرأة البصرية وسألت من كتب كتاباً من عم البصرية الى روجها على خطه بأن ابنة أخيه توفيت وسأله القدوم لأخذ ما خلفت ودسّت الكتاب مع انسان شبيه بالملاّح فلما أتى بالكتاب خرج اليه فدفع الكتاب وهو يشك ان امرأته البصرية ماتت فقال لامرأته اجعلي لي سفرة . قالت لمه . قال اريد الخروج الى البصرة . قالت وكم هذه البصرة قد رأى أمرك وما أسكنك في هذا لك امرأة . فأنكر ذلك فقال ان كنت صادقا فاحلف بطلاق كل امرأة تتزوجها فان في نفسه ذلك قد ماتت وليس على ان احلف بطلاقها فرضي هذا فحلف لها بطلاق كل مرأة له سوى الأهوازية فقالت الأهوازية يا صرية هذي البصرة فتدأبه الله عن الخروج قال وما ذلك . قالت قد صاحت الفسقة وقصت عليه القصة فعرف مكرها وأقام

مساوئ مكر النساء

وذكروا .. ان لقمان بن عاد صاحب لبد خرج يتجول فى قبائل العرب فنزل بحي من العماليق فبينما هو كذلك اذ طعن القوم فطعن معهم فسمع بامرأة تقول لزوجها فلان لو حملت سطيحا هذا حتى تجاور به الثنية فان فيه من متاع النساء مالا يدخل منه والجمل البعير يقع فينكسر وذلك من لقمان بمنظر ومسمع فمال اليه فاحتمله على عاتقه فلما انحدر وجد بللا فى صدره فشمه فاذا هو ريح بول قد جاء من السمط الذي على رأسه ففتح السمط فاذا هو بغلام قد خرج سبه يسعى ، فلما نظر لقمان قال يا احدى سبات طبق ـ وسبات الطبق أن تأتى الحية السلحفاة فتلتوي عليها فتبيض بيضة واحدة فتخرج منها حية شرا او نحوه لا تضر شيئا الا أهلكته ـ فشمه لقمان حتى لحقه فحمله يحمله واجتمع الناس اليه وقالوا يا لقمان احكم فيما ترى فقال ردوا الغلام في السمط يكون له مثوى حتى يرى ويعلم ان العقاب فيما أتى وتحمله المرأة بعلها حملوها ما حملت روحها ثم شدوه عليها فان ذلك جزاء مثلها فعمدوا الى الغلام وشدوه فى السمط ثم شدوه فى عنق المرأة ثم تركوهما حتى ماتا ثم فارقهم لقمان فأتى قبيلة أخرى فنزل بهم فبينما هو كذلك اذ بصر بامرأة قد قامت عن بيت لها فسأل أحداهن أين تذهبين قالت الى الخلاء ثم خرجت الى بيوت الحي فمارصها رجل فقضيا حاجتهما ولقمان ينظر فوقع الرجل عليها وقضى حاجته منها فقالت المرأة هل لك ان تأتوت على أهلى فانما هو ثلاثة أيام أكون في رحلهم ثم نحيء فستحرحى فتمتع فقال الرجل افعلي وكان اسمه الحيء وزوج المرأة اسمه الشحي فقال لقمان ـ ويل للشحي من الحيء ـ فمكثت مثلا ما مكثت المرأة الا أياما حتى تموت على أهلها وكان الميت منهم اذا مات تحمل فوقه الحجارة ولم تكن اذ ذاك قبور فلما كان اليوم الثالث جاءها خليلها فأخرجها و انطلق بها الى منزله وتحول الحي من ذلك المكان وجاءت المرأة أن تعرف خبرها فعرفت أنهم قد ارتحلوا فسألت عنهم فاذا هم كذلك اذ خرج بنات المرأة فاذا هن بامرأة جالسة ذات جمة فسألت الصغرى أحي أمك قالت الوسطى صدقت والله قالت المرأة

كدتما ما أنا لكما بأم . قالت الكبرى صدقت والله لقد دفعا أمنا غير ذات حمة ما كان لأمنا إلا لمة . قالت الصغرى عمك أنكرت أعلاها أما تعرفين أخراها فتعلقت بها فقالت الأم سعراهن مُرّاهن فدعت مثلا واجتمع الناس وجاء زوج المرأة فارتفعوا الى لقمان فقالوا احكم بيننا . فقال لقمان * عند جهينة الخبر اليقين *

فدعت مثلا وكان يلقب جهينة فقال لقمان للمرأة أحرك أم تحريني . قالت بل قل . قال انك قلت لهذا انى متماوتة على أهلي فاذا دعوتي في رحمي حثت فاستحرحتني وأنكر لهم فلا يعرفوني فنعم ما قلت . فاعترفت المرأة فقيل للقمان احكم بينهما . قال ارجموها كما رجمت نفسها . فحفر لها حفرة وألقوها فيها ورجموها وكانت أول مرجومة في العرب ثم ان زوجها تعلق بالحق فقال يا لقمان هذا فرق بيني وبين أهلي . فقال نعم لكل ذكر أنثى ولكل أول آخر فرّق بينك وبين أشباله وفرّق بين ذكره وبين أنثيه فقطع ذكره فمات

محاسن الغيرة

روى انه اذا أُغير الرجل في أهله أوفي نعص ما يملكه أو يملوكه فلم يغر بعث الله جبل اسمه اليه طيراً يقال له القرقصة حتى يسقط على عارضه ثم يمهله أربعين صباحا يهتف به ان الله غيور يحب كل غيور فان هو غير وأنكر ذلك والا ضرب حتى يقصم على رأسه فيحفق بجناحيه على عينيه ثم يطير عنه فيزع الله منه روح الايمان ويسمه بسمة الملائكة الدنيا . وقال النبي صلى الله عليه وسلم باعدوا بين أعقاب الرجال والنساء فمن كانت المعايبة والالقاء كان الداء الذي لا دواء له .. وروى ان امرأة دخلت عقبة رأى جملا من فاخر فقيل لها في ذلك فقالت قرب الوساد وطول السواد . أراد قرب مضجعه منها وطول مسارّته اياها .. وقال صلى الله عليه وسلم ان الله جعل الشيطان وقف بعقبة ان مسلم لأن يرى حرمتي ألف رجل على حال يكشف وهي لا ترى أحدهم خير من

ان ترى حرمتي رجلا مواجهة ،، وقيل لعقيل بن عُلّفة ألا تزوج بناتك ، فقال اجيعهن فلا يأشرن واعريهن فلا يظهرن ، فوافق احدى كلتيه قول النبي صلى الله عليه وسلم : الصوم وِجاء البيئة ، والأخرى قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه . استعينوا عليهن بالعرى ،، وغاية أموال الرجال وكسبهم وهمهم وما يملكون انما هو مصروف الى النساء فلو لم يكن الا ما يعدّ لهن من الطيب والحلي والكساء والفرش والآنية كان في ذلك ما كفى ولو لم يكن الا الاهتمام بالحفظ والحراسة وخوف العار من حياتهن والحماية عليهن لكان في ذلك المؤونة العظيمة والمشقة الشديدة غير ان أولى الأشياء بالرجال حفظهن وحراستهن فليس شيء لهن أصلح من مساعدتهن عن الرجال وقمعهن بالعري والجوع ومن حق الملوك ان لا يرفع أحد من حاشيتها ونطائنها رأسه الى حرمة لها صغرت أم كبرت فكم من فيل وطئ هامة عظيم وبطله حتى بلدت أمه ؤه وكم من شريف وعزيز قوم قد مرقته السباع وبهشته وكم من جارية كريمة على قومها عزيزة في أهلها قد أكلها حيتان البحر وطير الماء وكم من حمحمة كانت تصان وتغل بالمسك والورد قد ألفيت بالعراء وغيبت حتفها في الثرى

فسد الحرم والخدم والعمال ولم يأت الشيطان أحداً قط من باب حتى يراه بحيث من هوى مستقيم اللحم والأعضاء هو اطمع من مكيدته وأحرى ان يرى فيه أمنيّة من هذا الباب اذ كان من ألطف مكائده وأدق وساوسه وأحل ترائيه ،، وقيل لاسة الحُسّ لم ربيت بعدك ولم ترن بحرّ ، قالت طول السواد وقرب الوساد ،، وقيل لو أن أقبح الناس وجها وأنتنهم رائحة وأصهرهم فقراً وأسقطهم نسباً وأوضعهم حسباً قال لامرأة تمكن من كلامها ومكنته من سمعها والله يا مولاتي لقد أسهرت ليلي وأرّقت عيني وسعاشي على مهما مرى في عقل أبلا ولا ولدا ولو كان أرع الناس حالاً وأكملهم كمالاً وأنبههم ملاحة ولو كانت سيدة جميع بنات حواء تكون مثل أم الدرداء او معدة العدوية أو رابعة البصرية ما كان لها وجه ، ومن قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اصرفوهن بالعرى فان نفسه يخرجن في الأعراس ويقمن في المذحات ويظهرن في الأعياد وفي كثير حروجهن بد لابدّ من أن يرين من هو من شكلهن ولو كان بعلهن أحسن وجهاً وأحسن وجهاً ولدن بأقصر حسناً وكان مالا يملكه أطرف عندها مما

تملكه ولكان ما لم تملكه أو تستكثر منه اشد لها اشتغالا واحتذابا ،، قال الشاعر

وَلِلْعَيْنِ مُلْهًى بِالنِّسَاءِ وَلَمْ يَقُدْ ... هَوَى النَّفْسِ شَيْءٌ كَاقْتِيَادِ الطَّرَائِفِ

وكانت الأكاسرة اذا امتحنت الخاصة من أصحابها وحصت الواحد منهم على قلب الملك وكان الرجل عالماً بالحكمة موسعاً للامانة في الدماء والفروج والأموال على ظاهره فيأمره ان يتحول الى منزله وان تفرع اليه حضرة وان لا يتحول اليه بامرأة ولا جارية ولا حرمة ويقول له أريد بك الانس في ليلي ونهاري ومتى كان معك بعض حرمك قطعك عني فاحمل متصرفك الى منزلك في كل خمس ليال فاذا تحوّل الرجل أنس به وحلا معه وكان آخر من ينصرف من عنده فيتركه على هذه الحالة أشهراً .. امتحن اردوير رجلا من خاصته بهذه المحنة ثم دس اليه جارية من بعض حواريه ووجه معها اليه بألطاف وهدايا وأمرها ان لا تقعد عنده في أول مرة فأتته بألطاف الملك وقامت بين يديه ولم تمكث أن انصرفت حتى اذا كانت المرة الثانية امرها ان تقعد هنيهة وان تبدي من محاسنها حتى تأملها فعلت ولاحظها الرجل وتأملها وجعل الرجل يحد النظر اليها ويسر محادثتها ومن شأن النفس أن تطلب بعد ذلك العرض من هذه المطالبة فلما أدى ما عنده قالت اخاف أن يعثر عليها ولكن دعني حتى أدبّر في هذا ما يتم به الأمر بيننا ثم انصرفت فأخبرت الملك بذلك وكل شيء جرى بينهما فلما كانت المرة الثالثة أمرها أن تعيب القعود عنده وان تحدثه وان أرادها على الزيادة في المحادثة حتشمه اليه فقعدت ووجه اليه أخرى من خواص حواريه وثقاتهن بألطافه وهداياه فما جلست في مجلسها فلانه قالت اعجب فاريدك ان الرجل ثم لم يصل المقعود عنده كما فعلت الأولى ثم دخلت بعدت أكثر من المقدار الأول وأبدت بعض محاسنها حتى أمرها بالقعود وطال القعود والمحادثة وهي تأبى عليه حتى تركت الناس في شهوة من الملك على حظاً كبيرة ومعه في داره جميعه ولكن يتحرى عند ذلك في نسائه الذي يوضع كلها ويعلم هناك من أمرها على البعد معه فصير بها في مجلس فان حركت من الانصراف الى منزلها أو [illegible]

لا تقدر على الحركة فان أحاملك الى ذلك جئت من أول الليل فأكون معك الى آخره فسكن الرقيع الى قولها وانصرفت الجارية فأخرت الملك بكل ما دار بينهما فلما كان في الوقت الذي وعدته ان يخرج الملك فيه دعاه الملك فقال للرسول أحضره الى عليل فلما جاءه الرسول وأحضره تبسم وقال هذا أول الشر فوجه اليه محفة يحمل فيها فأتاه وهو معصب فلما نظر به قال والمحفة الشر الثاني فيّن العصابة فقال والعصابة الشر الثالث فلما دنا من الملك سجد فقال له متى حدثت بك هذه العلة قال هذه الليلة قال فأي الأمرين أحب اليك الانصراف الى منازلك لتمريضك أم المقام ههنا لوقت رجوعي قال المقام ههنا ايها الملك أوفق لقلة الحركة فتبسم ابرويز وقال حركتك ههنا ان تُركت أكثر من حركتك في منزلك ثم أمر له بعصا الرياسة التي كان يرسم بها من دونه فأيقن الرجل بالشر وامر ان يكتب ما كان من أمره حرفا حرفا فيقرأ على الناس اذا حضروا وان يمشي الى أقصى مملكته ويحمل العصا في رأس رمح يكون معه حيث كان ليحذر من يعرفه منه فلما خرج الرجل من المدائن متوجها به نحو فارس أخذ مدية كانت مع بعض الموكلين به فحزّ بها ذكره وقال من أضاع عضواً صغيراً من أعضائه افسد عليه جميع أعضائه فاب من ساعته ... وفيما يذكر عن ابو شروان انه اتهم رجلا من حاشيته في بعض حرمه فلم يدر كيف يقتله لانه وجد أمراً ظاهراً يحكم بمثله الحاكم فيسفك به دمه ولا قدر على كشف دمه لما في ذلك من الهون على الملك والملاكة ولا وجد عذراً لنفسه في قتله عيانة اذ لم يكن في شرائع دينهم ووراثة سلفهم فدعا الرجل بعد حجابه بسنة في خلوة فقال قد جرى أمر من أسرار ملك الروم وفي حاجة الى علمها وما أحد في أمكن الى أحد منك اليك اذ جئت من قبل المحل الذي أنت به وقد رأيت أن تحمل لي مالا الى هناك للتجارة وتدخل الى بلاد الروم فتقيم بها فاذا عدت ما معك جئت بما في بلادهم من ثمارهم وفاكهاتهم وفي خلال ذلك تصغي الى أخبارهم وتطلع الى ما تنا الحاجة لي معرفته من أمورهم وأسرارهم فقال افعل أيها الملك وأرجو أن أبلغ في ذلك محبة سيدك ورضاه فأمر له بمال وشهر الرجل وخرج بتجارته فاقام في بلاد الروم حتى تعلم لغتهم وفهم من كلامهم وعلم بما عرف به محاطاتهم وبعض أسرار ملكهم

وانصرف الى ابو شروان بذلك فاراه الايثار به وزاد فى بره وورده الي بلادهم وأمره بالمقام والترفق بتجارته ففعل حتى صرف واستفاض ذكره فلم تزل تلك حاله ست سنين حتى اذا كانت السنة السابعة أمر الملك أن تُصوَّر صورة الرجل في حمام من حماماته التي يشرب فيها وتجعل صورته فاراه صورة ابوشروان ويجعل محاطا لأبوشروان ومشيراً عليه واليه ويدنى رأسه من رأس الملك فى تلك الصورة كأنه يسارّه ثم وهب ذلك الحمام لبعض خدمه وقال ان الملوك يرغبون فى مثل هذا الحمام فاذا أردت بيعه فادفعه الى فلان اذا خرج نحو بلاد الروم تجارته وقل له بيعه من الملك نفسه فانه ينفعك فان لم يمكنه بيعه من الملك فانه من وزرائه أو بعض خاصته فجاء غلام الملك بالحمام وقدوسع الرجل رحله في الركاب فسأله أن يبيع حمامه من الملك وان يتحد عنده بذلك يداً وكان الملك يعزّ ذلك الغلام وكان من خاصة غلمانه وصاحب شرابه فاحتاله الى ذلك وأمر بدفع الحمام الى صاحب خزانته وقال احفظه فاذا صرت الى باب الملك فليكن مما أعرضه عليه فلما صار الى باب الملك دفع صاحب الخزانة اليه الحمام فعرضه على الملك فيما عرض عليه فلما وقع الحمام في يد الملك نظر اليه ونظر الى صورة ابو شروان فيه والى صورة الرجل وتركيبه عصواً عصواً وجارحة جارحة فقال للرجل اخبرنى هل يصور مع صورة الملك رجل جليس قال لا قال فهل تصور فى آنية الملك صورة لا أصل لها ولا علة قال لا قال فهل في دار الملك انسان يتشابهان فى صورة واحدة حتى يكون هذا كأنه هذا فى الصورة وكلاهما بدنيا الملك قال لا اعرفه قال له قم قائماً فقام فوجد صورته في الحمام فقال له أدبر فأدبر فتأمل صورته فى الحمام فوجدها بحكاية واحدة فضحك وعجب الرجل ان يسأله عن سبب ضحكه احتمالا له واعظاماً فقال ملك الروم الشاه اسقل من الانسان اذ كان تحمي مدينتها وتدفعها وانما اهديت اليها مدينتك بيدك فقال للرجل بعدت قال لا قال قربوا له طعاما قال ايها الملك انا عبد والعبد لا يأكل بحضرة الملك قال الملك انت عبد ما دمت عند ملك الروم مطاعاً على أموره متمتعاً لأسراره ملك قدمت بلاد فارس وبديم ملكها اطعموه فأطعم وسقي الخمر حتى اذا ثمل قال من سير ملوكنا ان لا يقتل الجاسوس الا في اعلا موضع يقدر عليه ولا يقتله خفية ولا عجلة

فامر به فاصعد الى سطح كان يشرف منه على كل من كان في المدينة اذا صعد فصرت عنقه هناك وألقيت جثته من ذلك السطح ونصب رأسه للناس فلما بلغ ذلك كسرى أمر صاحب الطرس أن يضرب باحراس الدهب ويمر على دور نساء الملك وحواريه ويقول كل من دانه الموت كل أحدادا وحب عليه القتل في الأرض يقتل الا من تعرّض لخرمة الملك فانه يقتل في السماء فلم يدر أحد من أهل المملكة ما اراد به حتى مات

(ومثله من أخبار العرب) ذكروا انه كان لطسم وجديس ملك يقال له عمليق ظلوم عشوم وكانت لا ترف جارية الى روجها إلا بدأوه بها فافترعها وردها الى بعلها ثم درجلا من جديس تزوج عفيرة بنت عمار عظيم جديس ورئيسها فلما ارادوا ان يهدوها ليه بدأوا بها عمليق فادخلوها عليه ومعها القيان يتغنين ويضربن بالدفوف ويقلن

إنْدى لعِمليقَ ومَعهُ فارِكي ... وبادِري الصُّبحَ بأمرٍ مُنْجِبِ
فسوفَ تلقينَ الذي لم تَطْلبي ... ولم يكنْ مِنْ دونِهِ مِنْ مَذْهَبِ

فجعلت تقول وهي ترقص

ما أحَدٌ أذَلُّ مِن جديسِ ... أهكذا يُفعَلُ بالعَرُوسِ
يرضى بهذا يا قَوْمِ حُرٌّ ... من بعدِما أهدى وَسيقَ المَهرُ
لأن يُلاقَى المَرْءُ موتَ نفسِهِ ... خيرٌ لهُ من فِعلِ ذا بعِرْسِهِ

فلما دخلت عليه افترعها ثم حتى سبيلها فخرجت ووقفت على اخيها الاسود بن عمار وهو قاعد في ندي قومه وقد رفعت ثوبها عن عورتها وانشأت تقول

أيُصبِحُ ما يُؤتَى بِهِ فتَياكُمُ ... وأنتُمْ رِجالٌ كثرَةَ عددُ الرَّمْلِ
وترضونَ هذا قَوْمِ لأنفسِكُمْ ... عشيةَ رُفَّ في النِّساءِ الى البَعلِ
فقُمْ يا ابنَ عمّي فاعصبوا مذاكيرَكُمْ ... فكونوا نساءً في المنازلِ والحجلِ

فلما سمع قومه ما قالت وما فعل بها عمليق ثاروا اليه فقتلوه وقتلوا من كان معه

ودونكُمُ طِيبَ النساء وإنّما ... خُلِقتُمْ جميعاً لِلتَّزَيُّنِ والكُحْلِ
فلوْ أنّنا كنّا رِجالاً وكنتمُ ... نِساء لكُنّا لا نُقيمُ على دَخْلِ
فقُبْحاً لِمَثْلٍ ليسَ فيهِ حَمِيّةٌ ... ويحتالُ عِشْي بيننا مِشْيَةَ المَحْلِ
فموتوا كِراماً أوْ أصيبوا عدُوَّكُمْ ... بِدَاهِيَةٍ تُورِي ضِرَاماً مِنَ الجَزْلِ
وإلاّ فخلّوا دارَكُمْ وترَحّلوا ... إلى بلَدٍ قفرٍ خلاءٍ منَ الأهلِ
ولا تحرُجوا للحَرْبِ يا قومِ إنّها ... تقُومُ بأقوامٍ شِدَادٍ على رِحْلِ
فيَهلِكُ فيها كلُّ وَغْدٍ مُوَاكِلٍ ... ويَسلَمُ فيها ذُو الطِّعانِ وذو النّبْلِ

فلما سمعت حديس شعرها أنفت أنفاً شديداً وأحدثهم الحمية فتآمروا بينهم وعزموا على اعتيال الملك وحسوده فقالوا ان نحن نادهناهم بالحرب لم نقوَ عليهم لكثرة عددهم وأنصارهم فاتفقوا على ذلك ثم ان الأسود اتى الملك فقال اني أحب أن تجعل عدائك عندي أنت وحسودك . فقال عملين ان عدد القوم كثير واحسب ان البيوت لا تسعهم فقال الأسود فنخرج لهم الطعام الى بطن الوادي فقال لقومه اذا اشتغل القوم بالأكل فعلوا سيوفكم واعملوا على ان تحملوا جملة رجل واحد واقتلوهم عن آخرهم وهذا الأسود ما احتاج اليه من الطعام وجاء الملك فلما أكب القوم على الأكل بادرت حديس الى سيوفهم ثم حملت على الملك وعلى حسوده والأسود يرتجز ويقول

يا صُبْحَةً يا صُبْحَةَ العَرُوسِ ... حتّى تمَشّتْ بدَمٍ حَمِيسِ
يا طَسْمَ ما لقيتِ مِنْ حَدِيسِ ... هَلَكْتِ يا طَسْمَ وبِيسي هِيسِي

فقتلوه وحسوده جميعاً . ومثله العطيوي ملك تهامة والحجر فانه كان مسيئاً الى ملك طسم وجديس في أمر النساء فأمر أن لا يزف من اليهود في مملكته امرأة الا بدأوه بها فلبث على ذلك عدة أحوال حتى زُفّت امرأة من اليهود من ال عاهف وكانت ذات جمال رائع وكان أخت ملك من عملاق من رصاعة وما أراد أن يبعث

لى روحها حرحب الى نادى الأوس والخزرج راقعة ثوبها الى سرتها فقام اليها مالك بن
لعجلان فقال ويحك وما دهاك فعالت ومايكون من الداهية أعظم من ان يسطلق بى الى
غير بعلى بعد ساعة فأنف من ذلك انفا شديداً فدعا سرة امرأة فلبسها فلما انطلقوا
المرأة الى العطيون سار كواحدة من نسائها اللواتى يسطلق بها متشبها بامرأة وقد أعدسكينا
بى حمه فلما دخلت المرأة على العطيون مال مالك الي حرانة في ذلك البيت فدخلها فلما
خرج المساء ودخلت المرأة قام اليها ليمترعها فخرج اليه مالك بالسكين فوجأه فقتله ثم قال
لليهود دونكم حسوده فاقتلوهم فاجتمعت عليهم فقتلوهم عن آخرهم

﴿ ومنه أخبار وأمثال ﴾ ذكروا أن اول من قال المحب كل المحب بين حمادى
ورجب عاصم بن المنشعر الضبي وذلك ان الخيبس بن حشرم كان اغير اهل زمانه
وأشجعهم وكان لعاصم أخ يقال له عبيدة عزيز في قومه فهوي امرأة كانت تأتي الخيبس
فمنع الخيبس ذلك فتواعد عبيدة وترك الخيبس فرسه وأخذ رمحه وانطلق يترصد
عبيدة حتى وقف على ممرّه فاقبل عبيدة وقد قضى من المرأة وطراً وهو يقول

ألا إنّ الخيبسَ فاعلموهُ ... كما سمّاهُ والدُه لعيبُ
بهيمُ اللونِ مختفرٌ ضئيلٌ ... لئيماتٌ خلائقهُ صنينُ
أيوعدني الخبيسُ من بعيدٍ ... ولمّا يلقَ مأنصهُ الوتينُ
لهوتُ بحارتيهِ وحادَ عني ... ويزعمُ أنهُ أبدٌ شقونُ

فعارضه الخبيس وهو يقول

يا ابنَ المنشعرِ لقيتَ ليثاً ... لهُ في جوفِ أيكتهِ عرينُ
تقولُ لهُ صددتَ حذارَ حيٍّ ... وأنكَ نشوُ أنطالٍ مسينُ
وأنكَ قد ابوتَ بحارتيا ... فهاكَ عبيدَ لاقاكَ القرينُ
ستعلمُ أيُّنا أحمي دماراً ... إذا قصرتْ شمالُكَ واليمينُ

لَهوْتَ بها لقـدْ أُبدِلتَ قَرًّا وباكِيـةً عليكَ لها رَنينُ

فقال عبيدة أدركك الله وحرمة حشرم فقال والله لاقتلنك فقتله فلما بلغ أحياء عاصما خرج اليه ولبس أطمارا وركب فرسه وكان في آخر يوم من حادي فأقبل يبادر دخول رحب لانهم كانوا لايقتلون في رحب أحداً فانطلق حتى وقف بباب خيبس ليلا وقال أحب المرهوق قال وما ذاك قال العنب قال العنب من حادي ورحب واني رحل من صنة عصب أخ لي امرأة فخرج يستقدها فقتل وقد عجرت عن قاتله فخرج الخيبس معصما وأخذ رمحه وركب وانطلق معه فلما نجى به عن قومه دنا منه فقتله بالسيف فابان رأسه ،، ويقال ان أول من قال سبق السيف العذل صمصم بن عمرو اللحمي كان يهوى امرأة فطلبها بكل حيلة فأبت عليه وطلبها عرير بن عبيد بن صمصمة فآنسته وبأنت على صمصم وكان صمصم من أشد قومه بأسا فاغتاظ لذلك وانطلق ليلة وهو متقلد سيفه حتى صار بمكان يراهما اذا اجتمعا ولا يريانه فلما نام الناس وطال هدو صمصم اذا العرير قد أقبل على فرسه وهو يقول

أمامَ تُوَلّيني وتأبَى بنفسِها علي ضَمصَمٍ تَعسًا ورَغمًا لصَمصَمِ

وصمصم يسمع صوت فرسه ومشي الى ناحية حسها فصدح صدوح بطاء وكان آية ما بينهما فخرجت اليه فعانقها وصمصم ينظر ثم واقعها فلما رآهم مشى اليهما بالسيف وهو يقول

ستعلمُ أني لستُ أعشقُ مُنعِصاً فكانَ بما عنها وعنك عزوفُ

وقتله فعلم القوم بصمصم فأخذوه فلما أصبح أمر الحادي ليقتل فجعلوا يومونه على قتله ابن عمه فقال سبق السيف العذل ،، ويقال ان اول من قال ذلك حر قايل وقصته هي قاثرة امرأة مرة الأسدي وكان من اجمل النساء في زمنها وكان زوجها غاب عنها اعواما فهويت عبداً له حبشياً يرعى ابلها فامرته ان يحسر مصحفها وكان زوجها مسافرا قد نزل تلك الليلة منها على مسيرة يوم فبينما هو نائم ومعه اخوانه اذ سمع به

فأخبره أن امرأته لم تمهر قط ولا تسهر الا تلك الليلة فركب فرسه ومر مسرعا وهو يرجو ان هو سمعها تلك الليلة أمسها فيما بقي فانثنى اليها حين قام العبد عنها وندمت وهي تقول خير قليل وفصحت نفسي فسمعها روحها وهو يرعد لما به من الغيظ فقالت له . ما يرعدك فقال يسامها انه قد علم خير قليل وفصحت نفسي فشهقت شهقة خرت ميتة فقتل روحها العبد وجعل يقول

لعمرُكِ ما تعتادُني منكِ لوْعةٌ ولا أنا مِنْ وجدٍ بِذِكراكِ أسْهدُ

قيل ، وكانت هند بنت عتبة تحت الفاكه بن المغيرة المخزومي وكان الفاكه من فتيان قريش وكان له بيت صيافة يغشاه الناس من غير اذن فخلا ذلك البيت يوما فصنع الفاكه وهند فيه فخرج الفاكه لبعض حوائجه وأقبل رجل ممن كان يغشى ذلك البيت فولجه فلما رأى المرأة ولى هاربا فرآه الفاكه وهو خارج من البيت فقال الى هند فعرفها برجله وقال من هذا الرجل الذي خرج من عندك قالت ما رأيت أحدا ولا استبنت حتى ذهب فقال لها الحقي باهلك فتكلم الناس فيها فقال لها أوها يابنية ان الناس قد اكثروا فيك فاصدقيني فان كان الرجل في قوله صادقا سدت له من يقتله فتقطع عنك القالة وان كان كاذبا حاكمته الى بعض كهان اليمن فخبرت له بما يحاسبون به في الجاهلية انه لكاذب فقال عتبة للفاكه يا هذا انك قد رميت امرا عظيما فحاكمني الى بعض كهان اليمن فخرج عتبة في جماعة من بني عبد مناف وخرج فاكه في جماعة من بني مخزوم واخرجوا معهم هنداً ونسوة معها فلما سار فوا البلاد قالوا غداً نرد على الكاهن فنمر نون هند فقال لها اوها اني أرى ما بك فهلاّ كان هذا قبل خروجنا قالت لا والله يا ابتاه ما ذاك سكروه ولكن سألني شراً يخطيء ويصيب فلا بأس أن يسومني بما يكون فيه سبة علي ، بقي عمري قالت اني سوف اختبره قبل أن يطلع في أمرك فأخذت حصاة من حصباء فأدخلتها في احليل فرسه وأوكت عليها بسر فلما دخلوا على الكاهن قال له عتبة ما كان مني في طريقي قط غمزه في كبره قال احتبس الى أبين من هذا قال حصاة بر في احليل مهر قبل صاقب قد حبس هؤلاء النسوة شعيل يدنو من احداهن فضرب عنكبها حتى أتى

الى هند فضرب عنكبها وقال ابهمي غير رسحاء ولا فاحشة ولتلدين ملكا يقال له معاوية فوثب اليها العاكة فأخذ يدها فنزعت يدها من يده وقالت : اليك عني والله لأجهدن ان يكون ذلك من غيرك. فتزوجها أبو سفيان بن حرب فجاءت بمعاوية .. قيل وكان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يمس نفسه فسمع امرأة تقول

ألا سبيلٌ إلى خمرٍ فأشربها ... أم هل سبيلٌ إلى نصر بن حجاجِ
إلى فتىً ماجدِ الأخلاق ذي كرمٍ ... سهلِ المحيّا كريمٍ غير ملجاجِ

فقال عمر أما ما دام عمر إماما فلا ، فلما أصبح قال علي نصر بن الحجاج فأتي به فاذا هو رجل جميل فقال اخرج من المدينة ، قال ولم وما ذنبي ، قال : اخرج فوالله ما تساكني ، فخرج حتى أتى البصرة وكتب إلى عمر رضي الله عنه

لعمري لئن سيرتني وحرمتني ... ولم آتِ إثماً إنّ ذا لحرامُ
وما ليَ ذنبٌ غير ظنٍّ ظننتهُ ... وبعضُ تصاديقِ الظنونِ إثامُ
وإن غبتِ الدهماء يوماً بنيةٍ ... فبعضُ أمانيّ النساء غرامُ
فظنّ بيَ الظنّ الذي لو أتيتهُ ... لما كان لي في الصالحين مقامُ
وبيّعني مما تمنّتْ خفيظتي ... وآباء صدقٍ سالفون كرامُ
وبيّعنها مما تمنّتْ صلاتها ... وبيتٌ لها في قومها وصيامُ
فهذا حالا ناهيكَ أنتَ مرحمي ... فقد حمّ مني عازبٌ وسآمُ

قال .. فردّه عمر بعد ذلك لما وصف من عفته ، ويروى أنه كان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يمس بالمدينة ذات ليلة إذ سمع امرأة تهتف وتقول

تطاولَ هذا الليلُ واسودّ جانبه ... وأرّقني إذ لا حليلٌ ألاعبه
فوالله لولا الله لا ربّ غيرهُ ... لزعزعَ من هذا السريرِ جوانبه

ولكنّ ربّي والحياء يكفّني وأكرمُ بعلى أن توطّأ مراكبُه

قال .. فرجع عمر الى منزله فسأل عن المرأة فاذا زوجها غائب فسأل ابنته حفصة كم تصبر المرأة عن الرجل فسكتت واستحيت واطرقت فقال أربعة أشهر خمسة أشهر ستة أشهر فرفعت طرفها فعلم أنها لاتصبر أكثر من ستة أشهر فكتب إلى صاحب الجيش ان يقفل من غزو الرجال إذا أتت ستة أشهر إلى أهاليهم .. وغزا رجل من الانصار وله جار يهودي فأتى امرأته واستلقى ذات ليلة على ظهره وانشأ يقول

وأشعثَ غرّهُ الإسلامُ منّي خلوتُ بعرسهِ ليلَ التّمامِ
أبيتُ على ترائبها ويصحي على حرّداء لاحقةِ الحزامِ

فسمع ذلك جار له فصبر به السيف حتى قطّعه فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال انشد الله رجلا كان عنده من هذا علم الا قام . فقام الرجل فحدثه، فقال أحسنت أحسنت ، وتمام الابيات

كأنّ محامعَ الرّيلاتِ منها فِطامٌ قد حُمِسْنَ إلى فِطامِ

﴿ ومنه أخبار الشعراء ﴾ قيل .. لما خرج امرؤ القيس بن حجر إلى قيصر ملك الروم ليسأله النصرة على بني أسد لقتلهم اباه حجر بن الحارث راسل ملك قيصر وأراد أن يخدعها عن نفسها ويلغ ذلك قيصر وأراد أن يقتله فتدبر من ذلك وأمر قميص فغمس في السم وقال لامرئ القيس إلبس هذا القميص فاني أحببت أن أوثرك به على نفسي لحسنه وبهائه فعمل السم في جسمه وكثرت فيه القروح فمات منها فسمي ذا القروح وقد كان قال لقيصر قبل ذلك انه سيحاه فعندها يقول

ظلمتُهُ لمّا أن حثّ رعاً إليهِ وقد سيّرتُ فيهِ القوافيا
فإنّكَ مهضوماً فقدماً ظلمتَه وبالصّاعِ يُجزى مثلَ ما قدّ حرابيا

قيل .. وكان السبب لسحره امرأة النعمان بن المنذر وكانت أكمل أهل عصرها جمالا فبعث النعمان فيها فقتل المتبعة فهرب منه وسار حتى أتى الشام والملك

بها حبلة بن الايهم الغساني فنزل عليه وأقام عنده وكتب إلى النعمان

حَلَفْتُ ولم أَتْرُكْ لنفسِكَ رِيبَةً ... وليسَ وراءَ اللهِ للمَرْءِ مَذْهَبُ
لئنْ كنتَ قد بُلِّغْتَ عنّي خيانةً ... لَمُبْلِغُكَ الواشي أَغَشُّ وأَكذَبُ

قيل .. وكانت امرأة شداد أبي عنترة ذكرت له أن عنترة أرادها عن نفسها فأخبره أبوه فضربه ضرب التلف فقامت المرأة فألقت نفسها عليه لما رأت ما به من الجراحات ولكنه وكان اسمها سُمَيَّة فقال عنترة

أَمِنْ سُمَيَّةَ دَمعُ العينِ مذْرُوفُ ... لوكانَ دامنكِ قبلَ اليومِ معروفُ
كأَنَّها يومَ صَدَّتْ ما تُكلِّمُنا ... ظبيٌ بِمَنْعَانَ ساجي العينِ مَطْرُوفُ
قامَتْ تُحَلِّلُني لَمَّا هَوَى فَسَلى ... كأَنَّها صَنَمٌ يُعتادُ مَعْكُوفُ
المالُ مالُكُمُ والعبدُ عَبْدُكُمُ ... فهلْ عَدَاكِ عَنِّي اليومَ مَصْرُوفُ

قيل .. ولما أنشد عبد بني الحسحاس عمر بن الخطاب رضي الله عنه قصيدته التي يقول فيها

تُوَسِّدُنِي كَفًّا وتَمْضِي بِمِعْصَمٍ ... عليَّ وتَحْوِي رِجْلَها مِنْ وَرَائِيا
فما زالَ نَزْدِي طَيْلَةً مِنْ ثِيابِها ... إلى الحَوْلِ حتَّى أَنْهَجَ الرِّدْفُ نَائِيا
وهَبَّتْ لنا رِيحُ الشَّمالِ بِقُوَّةٍ ... ولا نَزْدَ إلَّا دِرْعُها ورِدَائِيا
أَمِيلُ بها مَيْلَ الرَّدِيفِ وأَتَّقِي ... بها الرِّيحَ والشَّفَّانَ مِنْ عن شِمَالِيا
رأَتْ فَتَأً رَثًّا وأَحْلاقَ شَمْلَةٍ ... وأَسْوَدَ مِمَّا يَلْبَسُ النَّاسُ عارِيا
تَجَمَّعْنَ شَتَّى مِنْ ثَلاثٍ وأَرْبَعٍ ... وواحِدَةٍ حتى كَمُلْنَ مِئِينا
سُلَيْمَى وسَلْمَى والرَّبابُ وتِرْبُها ... وأَرْوَى ورَيَّا والمُنَى وقَطَامِيا
وأَقْلَلْتُ مِنْ أَقْصَى اللَّادِ يَعْذِلُنِي ... أَلا إنَّما بَعْضُ العَوَاذِلِ دَائِيا

قال عمر رضي الله عنه أنت مقتول فلما قال

ولقد تحدّرَ من كريمةِ معشرٍ عرقٌ على متنِ الفراشِ وطيبُ

وجدوه شاربا ثملا فرصوا عليه نسوة حتى مرت به التي يطلبونها فاهوى اليها فقتلوه

مساوى سرة العبرة والعقوبة عليها

حكي عن سليمان بن عبد الملك أنه كان في بعض أسفاره فسمر معه قوم فلما تفرقوا عنه دعا بوضوء فجاءت به جارية فبينا هي تصب الماء على يده اذ استمدها وأشار اليها مرتين أو ثلاثا فلم تصب عليه فانكر ذلك ورفع رأسه فاذا هي مصغية تسمعها مائلة تجسدها الى صوت جاء من ناحية العسكر فأمرها فسجت فسمع الصوت فاذا رجل يغني فانصت له حتى فهم ما غنى فدعا بجارية غيرها فتوضأ فلما أصبح أذن للناس فاجرى ذكر الماء فلم يزل يخوض فيه حتى ظن القوم انه يشتهيه فأفاضوا فيه وذكروا ما جاء في الماء والتسهيل لمن سمعه وذكروا من كان يسمعه من سروات الناس فقال هل بقي أحد يسمع منه فقال رجل من القوم عندي رجلان من أهل الاثلة محكمان قال فأين منزلك من العسكر فأومأ الى ناحية الماء فقال سليمان ابعث اليهما فعجل فوجد الرسول احدهما وأقبل به وكان اسمه سمير فسأله عن الماء وكيف هو فيه قال محكم قال متى عهدك به قال البارحة قال وفي أي النواحي كنت فذكر الناحية التي سمع منها الصوت قال وما اسم صاحبك قال سمار قال فأقبل سليمان على القوم فقال هذر المحل فصنعت الباقة وبت التيس فشكرت النشة وهدل الحمام فراقت حمامه وغنى الرجل فطرت المرأة ثم أمر به فحصي وسأل عن الماء من أين حمله قالوا بالمدينة وهم المحتون فكتب الى عامله ان احص من قبلك من المخنثين . وحدث الأصمعي ان الشعر الذي سمعه سليمان يتغنى به هو

مخنوثةٌ سمعتْ صوتي فأرّقها من آخرِ الليلِ لما نامها السحرُ

تُدْنِي على الخَدِّ سهامِنْ مُعْفِرَةٍ والحَلْيُ ناد على لَأَتِها حَصِرُ
في ليلةِ النَّدْرِ مايَدْرِي مَصاحِبُها أَوَجهُها عندَهُ أَبْهَى أَمِ القمرُ
لم يمنعِ الصوتَ أبوابٌ ولاحرسٌ وقد معها لطُرُوقِ اللَّحْنِ يَنْحدِرُ
لوتستطيعُ مَشَتْ نحوِي على قَدَمٍ تكادُ مِنْ رِقَّةٍ في المشيِ تَمْطَرُ

ثم دخل سايمان مضرب الخدم فوجد جارية على هذه الصفة قاعدة تبكي فوجه إلى سيان فأحضره ووجهت الجارية رسولا الى سيان يخبره وجعلت للرسول عشرة آلاف درهم ان سبق رسول سايمان فلما حضر أنشأ يقول

إستَبْقِنِي إلي الصَّباح أَعتذِرْ إنَّ لساني بالشَّرابِ مُنْكَسِرْ
فأَرْسِلِ المعروفَ في قومٍ نُكُرْ

فامر به فحبي وكان بعد ذلك يسمى الحبي ،، وعن عليّ بن يقطين قال كنت عند موسى الهادي ذات ليلة مع جماعة من أصحابه اذ أتاه خادم فسارّه بشيء فنهض مسرعا فقال لا تبرحوا فمضى فأبطأ ثم جاء وهو يتنفس ساعة حتى استراح ومعه جارية يحمل طبق معلق بمنديل فقام بين يديه فأقبل يرعد ويحسر من ذلك ثم جلس وقال لمحسر ضع مامعك فوضع الطبق وقال ارفع المنديل فرفعه فاذا على الطبق رأسا جاريتين أروعة أحسن من وجههما قط ولا من شعورهما فاذا على رأسيهما الجوهر منضود على الشعر واذا رائحة طيبة تفوح فاعظما ذلك فقال أتدرون ماشأنهما قلنا لا قال بعثني بهما أخانا فوكلت هذا الخادم بهما ليهيء إلي احضارهما غناءي وأخبرني بهما فقد جئتك بهما فوجدتهما كذلك في لحاف فقلتهما ثم قال يا غلام ارفع ورجع في حديثه كأنه لم يصنع شيئاً وحدثنا ابراهيم بن اسماعيل عن ابن القداح قال كنت بربيع حين دخل أمة العزيز فأهداها للمهدي فلما رأى حسنها وجمالها وهيئتها قال هذه موسى فاصطفوها له فكانت أحب الخلق اليه وولدت له بنيه الأكابر ثم بعض أبناء ربيع

قال لموسى انه سمع الربيع يقول : ما وسعت بيني وبين الأرض مثل أمة العزيز فمار موسى فدعا الربيع فتمدّى معه وناوله كأسا فيه شراب فقال الربيع فعلمت أن سمي فيها واني ان رددتها من يدي صرب عنقي فشربتها وانصرفت فجمع ولده وقال اني ميت فقال الفضل اسقه ولم تقول ذلك جعلت فداك قال ان موسى سقاني شربة فما أحدعملها في بدني ثم اوصي عياله ومات في يومه ،، قيل وطرب الرشيد الى الماء فخرج مشكراً ومعه خادمه مسرور حتى انتهى الى باب اسحاق بن ابراهيم الموصلي فقال يامسرور اقرع الباب فخرج اسحاق فلما رأى الرشيد انكب على رجله فقبلها ثم قال ان رأى أمير المؤمنين ان يدخل منزل عبده فنزل الرشيد فدخل فرأى أثر الدعوة فقال ياسحاق اني أرى موضع الشرب من كان عندك قال ما كان عندي يا أمير المؤمنين سوى جاريتي كنت أطارحهما قال فهما حاضرتان قال نعم قال فأحضرهما فدعا الجاريتين فخرجتا مع احداهما عود حتى جلستا فأمر الرشيد صاحبة العود ان تغني فغنت

نبي الحبُّ على الجور فلو ... أنصفَ المعشوقُ فيهِ لَسَمُحْ
ليس يستحسنُ في وصفِ الهوى ... عاشقٌ يُكثِرُ تأليفَ الحُجَجْ
فقليلُ الحبِّ صِرفاً خالصاً ... هو خيرٌ من كثيرٍ قد مُزِجْ

فقال الرشيد يا اسحاق من الشعر والغناء فيه قال لاعلم لي به ياأمير المؤمنين فحرك رأسه ساعة يحرك في الارض ثم رفع رأسه وأخذ العود من حجر هذه فوضعه في حجر الاخرى ثم قال لها غني فغنت

إن تمس حبلك بعد طولِ تواصلٍ ... خلقاً وأصبحَ بيتكم مهجورا
فلقد أرى والحديدُ إلي بلى ... رمساً بوصلك راضياً مسرورا
كنت لهوى واعرَ من وطئ الحصى ... عهدي وكنت بذاك منك جديرا

فقال ياسحاق من الشعر والغناء فيه قال لاعلم لي ياسيدي فرد المسألة على الجارية فقالت لستي قال ومن ستك قالت عليه أحت أمير المؤمنين فحرك رأسه ساعة ثم وثب

وقال لمسرور خامه امض بنا الى منزل علية فلما وقف بالباب قال استأذن يامسرور فخرجت جارية فلما رأت الخليفة رجعت تبادر تعلم ستها فخرجت تستقبله وتفديه فقال ياعلية هل عندك ماتأكل قالت نعم ياسيدي قال وما تشرب قالت نعم فدخل وجلس فقدمت اليه الطعام فاكل حارا وباردا ورطبا ويابسا ثم رفع الطعام ووضع الشراب والطيب وانواع الرياحين ودعت جواريها وكان عندها ثلاثون جارية يغنين فالسنهن أنواع الثياب وصفهن في الايوان وتناول الرشيد الشراب فامر الجواري يغنين ثم سقى احداهن حتى أخذ الشراب منها واحمرت وجناتها وفترت اجفانها وكانت من أجل النساء فسرب الرشيد الى جعفر نعص الجواري في أحد العود وقال يا علية بحياتي غني

غنيَ الحبُّ علي الجورِ ولو

فعلمت انها داهية فكت فصاح الرشيد بجرح الجواري وتقي هو وهي فدفعها وأخذ وسادة فجعلها على وجهها وجلس عليها فاضطربت اضطرابا شديدا ثم ردت فجعل الوسادة عنها وقد قضت نحبها فجرح وقال للخادم اذا كان غداً فادخل وعرفني وترك متوجهاً الى قصره فلما كان الغد جاءه مسرور فبكى فقال

قبرٌ عزيزٌ علينا لو أنَّ من فيه يفدي
أسكنتْ قُرَّةَ عيني ومُهجةَ النفسِ لَحد
ما إنْ أرى لي عليها مِنَ التوحُّشِ بُدّ

ومنه ماحكي عن البهائم قال شيخ من بني قشير كنت في بناح فامتنع فرس من حجرة فشددنا عينه فمرا عليها فلما فرغ فتحنا العصابة فرأى الحجرة وكان أمه فعمد الى ذكره بأسنانه فقطعه ،، ومنه في خفة الغيرة قال سليمان بن داود لم شمي لاسه لا تكن غيرة على اهلك فترمى بالشر من اجلك وان كانت بريئة ولا تكثر الضجر فيستخف فؤاد الرجل الحليم وعليك بخشية الله فانها غالب كل شيء . وقد عهد الله الى جعفر لابنه اياك والغيرة فانها مفتاح الطلاق واياك وكثرة العتب فانه يورث البغضاء وعليك بالحلم

عليه أرين الرسة وأطيب الطيب الماء .. قيل وكان كسرى ابرويز يتعشق امرأة رجل كان من مرازبته يقال له البارحان وكانت تأتيه سراً فلما رجوحها ذلك فامسك عن امرأته واحتبسها ودخل الى كسرى ذات يوم فقال له كسرى ملعي ان لك عين ماء عذبة وانك قد احتبستها فلا تقربها . فعطش فقال له : ايها الملك بلغني ان الأسديتاب تلك العين فاحتبستها خوفاً منه فأعجب كسرى بمقالته وامر ان يتحدله تاج لا قيمة له ثم دخل كسرى دار نسائه فقاسمهن نصف حليهن فاجتمع من الجوهر ما لا يحصى فبعث به الى امرأة البارحان بالقادسية ووقع ذلك الجوهر الى السائب بن الأقرع وكان على المقسم فباعه وحمل للمسلمين بكتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه .. وقال بعضهم كنت أغار على امرأتي فأشرفت عليّ يوماً وانا مع جارية لي فلقيت منها أداً حتى حلفت أن ابيع الجارية فخرجت اريد شراء حوائج لي ومعي الجارية فأتيت دكان حلاّل لشرى الحلل فوجدته حليماً فقلت له ياهذا تأذن لي في ملامسة جاريتي هذه في دكانك فاني اريد بيعها قال نعم فجعلت فداك ادخل حيث شئت فدخلت فاصلت من الجارية فلما خرجت اذا الحلال قد كمن ناحيه وهو في ثياب قد أنعظ فقال فرعت قلت نعم قال بسم الله اتأذن لي جعلت فداك قلت ويلك ماتريد قال اقضي وطري منها قلت ياابن الفاعله حرمتي قال لا يضرك شيئاً فاني اسرع ثم وثب كأنه السبع فصارعته حتى تخالصت الجارية بعد كل جهد .. قال ودخل رجل من بني زهرة من أهل المدينة على قينة فسمع غناءها عبدمولاها فخرج مولاها في حاجة ثم رجع فدا جاريته على بطن الزهري فقام مدعورة فقعد تبكي فقال ما يبكيك قال لأنك لاتقبل لأحد عذراً قال يازانية لو رأيتك على قمالة قالت صريع معلوب ولو رأيتك على وجهك لبلد وعاء مكبوب اما رأيتك فرساً مصلوباً .. وحكي عن ثمامة انه قال لعبدوس بن الحسن شتمني شتما وان هشيمة نعت نعتاً وكان هشيمة امرأة ثمامة فسأله عبدوس أن يترك عنه فعل وأقام النهدي حتى انقضت عدتها ثم تزوجها وبنى بها ثم طلقها وخرج الى بلد عبدوس فلما انقضت عدتها راجعها وجها وقال ابو طاهر أنشدني بعض شعراء بني يحيى لنفسه ؟

بني القعقاع أكرمكم لئيم وأعظم مجدكم ركب حليق
وأنتم في نسائكم اتساع وفي أخلاقكم نكد وضيق

وعن عبد الله بن ياسين قال : كان في المهدي عزل وشدة حب للحلوة بالنساء فبلغه عن امرأة لأبي عبيد الله كانت جميلة فقال للحيران استزيرها ، فزارتها وجاءت اليها فقالت لها هل لك في الحمام ، قالت . نعم ، فلما دخلت الحمام وافاها المهدي فسرت له ولم تستتر عنه فقال لها المهدي انا وليك فروحيني نفسك ، فقالت انا امتك ، فتروحها ونال منها ، فلما انصرفت أخبرت إخوتها بما كان فقالوا امسكي عنه ، فلما كان بعد مدة قالوا لها استزيري الحيران فاستزارتها فلما صارت اليها قالت : هل لك في الحمام قالت نعم ، فلما دخلتا معاً ما شعرت الحيران الا بأبي أبي عبيد الله قد عمدوا عليها فاستترت عنهم فقالوا لو أردنا أن نفعل كما فعلتم بحرمتنا لفعلنا ولكنا لا نستحل ، فقالت لهم والله لو رمتم ذلك لأصرت الخدم فقتلكم ، فانصرفوا فلما رجعت الحيران أخبرت المهديّ بذلك فكان السبب في قتل المهديّ محمد بن ابي عبيد الله على الزندقة . وبلغه ايضا عن عونة بنت ابي عون جمال وهيئة فقال للحيران استزيرها فاستزارتها فقالت لها الحيران هل لك في الحمام . قالت نعم ، فلما دخلتا ما شعرت الا بالمهدي قد وافاها فاستترت بالحيران وقالت والله لئن دنوت مني لأصرخن بالكريب وجهك ، فقال ويلك انما أردت ان اتروحك ، قالت لا سبيل الى ذلك ، فانصرف عنها وحدثت بما فعلت فقالت أحسنت في فعلك

محاسن العبادة

الحسن الحرجاني قال حدثني سهم بن عبد الحميد الخولي قال خرجت من الكوفة الى بغداد فلما نزلت بسوق علقمة ، هؤلاء عبادنا فما ترى برجل حسن وجه

والهيئة على برذون فاره فصحت بالغلمان فاخذوا دابته فدعوت بالغداء فبسط يده غير محتشم وما أكرمته شيء الا فعله وكنا كذلك اذ جاء غلامه بثقل كثير وهيئة حسنة فتناسينا فاذا هو طريح بن اسماعيل الثقفي فارتحلنا في قافلة ما لا يدرك طرفاها فقال طريح ما حاجتنا الى هذا الزحام وليست بنا اليهم وحشة ولا علينا خوف فاذا خلونا بالحانات والطرق كان أروح لأبداننا قلت ذلك اليك فنزلنا من العقد الخان وتغدينا والى جانبنا نهر طليل بالشجر فقال هل لك ان تستنقع فيه فمررنا اليه فلما نزع ثيابه اذا بين جنبيه آثار ضرب كثير فوقع في نفسي منه شر فنظر الي فغطن وتبسم وقال قد رأيتا دعرك عاثري وحديث ذلك يجري اذا سرنا بالعشية فلما سرنا قلت له الحديث قال نعم قدمت من عند الوليد بن يزيد بالعطاء واليسار وكتب الي يوسف بن عمر فلما أتيته ملأ يدي خيراً فخرجت مبادراً الى الطائف فلما امتد بي الطريق وليس بصحبتي فيه احد عنّ لي اعرابي على قعود له فحدث احسن الحديث وروي الشعر فاذا هو راوية فانشد فاذا هو شاعر فقلت من اين اقبلت ، قال لا ادري ، قلت وما القصة ، قال انا عاشق لامرأة قد افسدت عليّ عيشي وقد حدرني اهلها وحماني لها أهلي وانا استريح بان احدر الى الطريق مع منحدر واصعد مع مصعد ، قلت فأين هي ، قال نزل عداً فارتادها ، فما نزلنا أريته طريقاً عن يسار الطريق فقال ترى ذلك الطريق ، فقلت نعم أراه ، قال فترى الخيم التي هناك ، قلت نعم ، قال فانها في الخيمة الحمراء ، فأدركني اريحية الحدث فقلت والله اني آتيها برسالتك فمضيت حتى انتهيت الى الخيم فاذا امرأة طريفة جميلة كأنها مهرة عربية فذكرته لها فعرفت وهلة كادت تنقض أضلاعها قالت أوحيّ هو قلت نعم تركته في رحلي وراء هذا الطريق ، قالت فأي أب وأم ترى لك وجهاً حسناً يدل على الخير فهل لك في أمر ، قلت نعم فقير اليه ، قالت ليس شيء دون مكاني ودعني حتى آتيه وذلك عند معترك الشمس فانك اذا صرت اليه فروحي فقل لك يا فاجرة ويا هذة أمة الهة فيوسعك شتماً فأوسعه صمتاً ثم يقول في آخر كلامه يقضي ما شئت يا عدوة الله فضع القضيب في هذا السقاء واياك وهذا السقاء لآخر وهو ماء ، قلت نعم فأحسنها الى ما سألت فشاء الروح على ما وصف

وقال اقعي سقاك خيري الله ان تركت الصحيح وقمت الواهي فاشمر الاباقلس يتسلب بين رجليه قعدا الى كسر الخيمة وحلّ متاعه وتناول رشاء من قدّ مدبوغ ثم شاه بأثنين فعمل لا يبقي رأساً ولا وحهاً ولا رحلا حتي حشيت ان يبدو له وحهي فتكون الأخرى فألزمت وحهي الأرض فعمل بظهري ماتري فلما تعب عني جاءت المرأة باكية فرأت ما بي من الشر واعتذرت وأحدثت ثيابي وانصرفت . قال وحدث بهذا الحديث محمد بن صالح بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم عن من رأى سنة أربعين ومائتين وكان حمل من البادية الى المتوكل فأطلقه وكان اعرابيا فصيحا فعجب منه وكان حسن الوجه بحيباً قلّ ما رأيت في الفتيان مثله. قال كان ما فتي يقال له الأشتر بن عبد الله وكان سيد بني هلال واحسنهم وجهاً واسخاهم كفاً وكان معجباً بجارية يقال لها حيداء بارعة الجمال فلما اشتهر أمرهما وظهر حبهما وقع الشر بين أهل بيتيهما حتي قُتل بينهما القتلى فافترقوا فريقين فلما طال على الأشتر البلاء جاءني يوما وقال يا عبرهل فيك خير قلت عندي ما أحببت قال فساعدني على زيارة حيداء قلت بالحب والكرامة فانهض اذا شئت قال فركبنا وسرنا يوما وليلة والعداة حتي امسينا فعطرنا الى أدني سرب لهم فانخنا رواحلنا في شعب وقعدنا هناك وقال يا عبر اذهب وانشد واذكر لمن يلقاك انك طالب صلة ولا تعرض بذكري بشعة ولا لسان الى ان تلقى جويريتها فلانة راعية الضأن فتقرئها مني السلام وتسألها عن الخبر وتعلمها مكاني . قال فخرجت لا أتعدى ما أمرني به حتي لقيت الجارية فأبلغتها الرسالة وأعلمتها مكانه وسألتها عن الخبر فقالت هي مشتدّ عليها مختلط بها وعلى ذلك فموعدكما عند الشجرات الثواني عند عقد البيوت مع صلاة العشاء فانصرفت فأخبرته ثم قدنا رواحلنا حتي بلغنا الموعد في الوقت الذي وعدتنا فيه فلم نلبث الا قليلا حتي اذا حيداء تمشي قد تبعها موالي الأشتر فسلمت وسلم عليها ووقفت موليا عنهما فقالا اقسمنا عليك الا رجعت فوالله ما بنا من ريبة ولا قبيح نحلو به دونك فانصرفت اليهما وجلست معهما فقال الأشتر هيك حينة يا حيداء فتردّد منك الليلة قالت لا والله ما الى ذلك سبيل الا ان أرجع الى سيدي بعد من البلاء والشر فقال لا بد من ذلك ولو وقعت السماء على الأرض قالت فهل بعد احسنت حيرتك

بلى وهل الخير الا عندي فاسألي ما بدا لك فاني مستهٍ اليه ولو كان في ذلك كله ذهاب نفسي فألقت ثيابها وأخذت ثيابي ثم قالت اذهب الى حائطي فادخل في سترى فادر وحي يأتيك مع العتمة فيطلب منك القدح ليحلب فيه فلا تعطه من يدك فكذلك كنت افعل فيجلب ثم يأتيك بالقدح ملآناً لبناً فيقول هاك فلا تأخذه منه حتى يطيل عليك بكذلك ثم خذه او دره حتى نصفه ثم يستند برداءه ولست تراه حتى يصبح فذهبت ففعلت ما أمرتني به حتى جاء بالقدح فيه اللبن فاطلت بكذى عليه ثم اهويت لآخذه فاخذ بيدي بيده وانكفأ القدح فاندفق منه اللبن فقال ان هذا لطماح ممرط وضرب يده الى جانب الخباء فاستخرج سوطاً قصيرا مقدار ثلاثين سوطاً حتى جاءت أمه وأخواته فانتزعوني منه ولا والله ما فعلوا ذلك حتى رأيتني روحي وهممت أن أوجره بالسكين فلما خرجوا عني وهو معهم قعدت كما كنت الله فما لبثت ان جاءت أم حيداء فحدثتني وهي تحسبني ابنتها فألقيتها بالسكوت وتعطيت شوني دونها فقالت يا بنية اتقي الله ولا تتعرضي المكاره من زوجك فذلك أولى بك ثم خرجت من عندي فقالت سأرسل اليك احمك تؤنسك وتبيت الليلة عندك فلم ألبث ان جاءت الجارية تبكي وتدعو على من صرني وانا لا أكلمها ثم اضطجعت الى حائطي فلما استمكنت منها شددت يدي على فمها وقلت يا هذه ترك أختك مع الأشتر وقد قطع ظهري نسبها وأنت أولى من سترعليها فاختاري لنفسك وطاوعته لئلا تكلمت لتكون فضيحة شاملة ثم رفعت يدي عن فيها فاهترت مثل القصبة من الروع وبانت مني وبانت منها الشهوة التامة ورافقني اصلح رفيق رافقته ولم أدق شيئاً قط مما دقت منها قط فلم يزل يتحدث ويضحك مني ومما يليب به حتى برق النور وجاءت جيدء فلما رأتنا ارتاعت وقالت من هذا عندك قلت أختك قالت وما السبب قلت هي تخبرك فيما بدا لك وأخذت ثيابي وأتيت صاحبي فأخبرته بما أصابني وكشفت له عن ظهري وما فيه من الله به عليم فقال لقد عظمت منك عندي ووجب شكرك وحظرت نفسك فلا حرمني الله مكافأتك .. وعن رجل من بني عامر انه خرج وهو غلام ما بلغ وجهه وكان ذا جمال وهيئة صاحب غزل فهجم على قوم نحملون وقد شدوا ثقالهم وبرزوا واذا امرأة جميلة قد تحاملت على حمل لها لاصلاح شأنها

قال فوقفت عليها فاذا هي احسن خلق الله وجها واغزله واملحه فتلاقينا كلاما كثيرا فقالت . اسألك شيئاً فهل لك به علم ، قلت : سلي . فقالت . ايهما احسن حرقة الرحل أم المرأة ، قلت : الرحل ، قالت : بل المرأة فان احببت ان تعلم ذلك علمته ، قلت وكيف اعلمه ، قالت . انجرّد لك من ثيابي وارميها عني ثم امشي حتى اباعد الأكمة ثم اقبل حتى آتيك فتعطيني عهد الله وميثاقه لتفعلن كما فعلت . فقلت لك عهد الله ان فعلت لأفعلنه ، قال فألقت ثيابها عن احسن ما نظرت اليه قط بياضا ونظافة وحسنا فلما انتهت إلي قلت الوفاء ، قلت الوفاء ونعمة عين فجاءت ثيابي وانا كأنما العثيان وأهيأهم حتى مضيت بعد العاية فلما انتصف بي المدى سمعت حرحرة خلفي فاذا هي قد حالت على طهره لابسة ثيابي متنكبة قوسي قد لزمت المحجة فنادتها فلم تعرج علي ولبست ثيابها وتحمرت بحمارها وركب بعيرها وحرته فاسمعت بي أثر الحي وأحدثت شق الوحشي حتى ما أراها وجعلت أكمن عن الحمل اذ حشيت ان ألحق الغنم حتى رأوني من بعيد وجعلوا ينادون ويحك أفلت وانا صامت لا أتكلم ولا أتقدم فلما طال عليهم أمري بعثوا بحارية لهم مولدة فاقبلت تعدو حتى أتتني وتشعث حبائل الحمل من يدي وانا مترقع احسن الناس وجها وعيبا فنظرت الجارية الي وجهي ولمته ثم قالت لقد امسيت حديدة الطرف وقادت الحمل حتى اتت الحي فقلت لها الجارية ويلمة لقد استحييت من الناس مما دعوتك العشية ثم تأملت ونظرت وسائر الناس وقالت احد هي والله انه لرجل وعطفت وارتني العجور وادخلتني الستر وقالت من أنت لا أفضحك ، قلت بل امتك لا أفلحت ولا انجحت وقصصت عليها قصتها ، فقالت لسيدتك امة الا اعرف نفسك هربعاً من الليل فاناً كما على أن بني دفتي صاحبة الحمل ليلة ومن في الحي رحل غير روحها وهو انسان فيه لوثة ولا بد من أن ندخل عليه فنسلاه أمرد فلا يشكك ولا أراه أقوى منك ان اعتركتما فلك عندي ما يسرك فقبلت وأحسن لامتها وحالتها فالبستني ثوب العروس وطيبني ثم دعاني في حوار لرحل نعسه العتمة وقالت أمها انا لك الفداء تحلد ساعة بالامتناع فانه مصروف عنك وستأتيك بكاورة فادخلتني على مثل الأسد الا ان به لوثة كما قال فاعتركنا حتى بي وكمنت عنه حتى

بي الليل حتى سمعت خرخرة حلق فلم الث الا هنيهة حتى حاءت أمها وحالتها وهي معهما فحملها مكاني وفتشتُ عن سرها عدا هي قد طلب مع انسان كانت تهواه وأتيت ثيابي فلبست مبادراً لا ألوي على شيء حذراً مما اتيت .. قيل وملك النعمان بن المنذر اربعين سنة فلم تُرَ منه سقطة غير هذه : وهو انه ركب يوما فمر بحارية قد خرجت من الكنيسة فاعجبته لحاظها فدعا بعديّ بن زيد وكان نديمه ووزيره فقال له ياعديّ لقد رأيت جاريه لئن لم اظفر بها انه الموت ولا بد من أن اتالطف أو تتلطف لي حتى تجمع بيني وبينها ، قال ومن هي ، قال سألت عنها فقيل هي امرأة حكم بن عمرو رجل من أشراف الحيرة ، قال فهل اعلمت أحداً ، قال : لا ، قال فاكتمه فاذا اصبحت فحدّد لحكم كرامة وبراً فلما ادن للناس بدأ به فأجلسه معه على سريره وكساه فاستعظم الناس ذلك فلما أصبح بدأ أيضاً بالادن له وحمّله فأنكر الناس ذلك فقالوا . ما هذا إلا لأمر فصنع به ذلك أياما ثم قال له عديّ . أيها الملك عندك عشر نسوة فطلق احداهن ثم قل له فليتزوجها ففعل فلما دخل عليه قال ياحكم ما كانت هذه تسمح بهذا لولد ولا لوالد فتزوج فلانة فقد طلقتها فخرج حكم الى عديّ فقال يا أبا عويمر ما صنع الملك باحد ما صنع بي وما أدري بما أكافيه ، قال له عديّ طلق امرأتك كما طلق لك امرأته ، ففعل وخلى بها عديّ عنده وعلم حكم انه قد مكر به في امرأته .. وفيه يقول الشاعر

ما في البريّةِ من أُنثى تعادِلُها ... إلاّ الذي أحدَ النُّعمانُ من حَكَمِ

وحدث الفضل بن العباس عن الزبير بن بكار عن محمد بن بشير الخارجي قال قدم علينا رجلان من هل المدينة بصيدان ومعهما نسوة والفساطيط مضروبة وكان سابان بن عبدالله الاسدي وان اخ له مقيمين باحيه الروحاء فأرسل النسوة الى سابان وان اخيه انه لكم حاجة في الحديث مرد الرسول ان ليس لنا فيه حاجة فكيف لنا بذلك مع رواحكن فانا خرج رواحنا للصيد وقد علمنا ان لكم صاحباً يعرف من طلب الصيد ما لا نعرفه نحن فلو خرج لهم شيئاً من ذكره لأسرعوا اليه ولحاقتم وتحدثتم

ماشئتم يسير به محمد بن بشير فصى اليه سليمان وابن اخيه فقالا يا ابا محمد ارسل الينا السوة بكذا وكذا وسألوني ان احرجك الى الصيد فقلت لا والله لا أفعل ولا أنصب وأنتم تثلبون وتحدثون انا لذا اشد حبا واكثر صبابة وشوقا فارسلا الى السوة بمثالث فارسل إلي رسولا وعاهدني لئن احرجتهم ليحتملن لي حتى احلو معهن ليلة حتى الصبح فصرت اليهم وذكرت لهم الصيد فرحوا مني فما زلت احدثهم بالصدق حتى احدث في الكذب مما يصارع الصدق حتى اعيته فاقت معهم ثلاثة ايام ولياليها ثم انصرفوا من غير ان اصطادنا شيئاً فقلت في ذلك

إني انطلقتُ مع قومٍ ذوي حسبٍ ... ما في خلائقهم زهوٌ ولا حمقُ
إني لأعجبُ منهم كيفَ أخدعهم ... أم كيف آفك قوماً مالهم رهقُ
أطلقتُ في الأرضِ أنهبهم وأخبرهم ... أحرارَ قومٍ وما كانوا ولا خلقوا
ولو صدقتُ لقالَ القومُ قد خلعوا ... حينَ انطلقنا وإني ساعةَ انطلقوا
ولو أحاهدُ ما جاهدتُ دونكمُ ... في المشركين لأدركتُ الأولى سبقوا
إن كنتُ أبدأُ جاري من خلائقكم ... والدهرُ دو عصفٍ أيامهُ طرقُ
فإنَّ كلَّ جديدٍ عائدٌ خلقا ... فلن يعود جديدا ذلك الخلقُ

قال فطفر أصحابي بالحديث والمعارلة وانا بالجهد والخيبة مع ثم القيادة والتعب وكذب المحادثة . وحدثنا وهب بن سليمان عن عمه الحسن بن وهب قال حرج محمد بن عبد الملك الزيات من عند واثق ومعه محمد بن عبد الله بن أبي السرح الطاروني وكيل عبد الله ابن طاهر فاذا بجارية حسناء في منصرة لها فلما نظرت ورأت موكبه وكان جميلا رمته وأومأت اليه السلام وأومأت بيدها الى صدرها وتحسرت فلما نظر الى منزلة رجعت اليه فرأته بخلاف ما عهدت وكان لا يكسي شيئا قط مني فأمر محمد بن عبد الله رأس شئ الى عمه ذكر ثم أنشأ يقول

وابأبي مُخضبٌ أومى إليا بيدِه
أومى بها يخبرني راحتُهُ في كبدِه
أنّ الصبى في حسدي يخبرني عن جسدِه
فليس للحاسدِ إلاّ خصلةٌ من حسدِه

ثم شرح لي القصة ثم انصرفت من عنده ووافيت مولى الجارية فسألته أن يبيعها فقال اشترتها للامير عبد الله بن طاهر وليس الى بيعها من سبيل فلم أزل به حتى اشتريتها بخمسين ألف درهم ووجهت بها اليه وكتبت اليه

هذا مخبك مطويٌّ على كمده عرى مدامعه تجرى على جسدِه
انهُ يدٌ تسألُ الرحمنَ راحتها مما به ويدٌ أخرى على كبدِه

فصلها وحسن موقعها عنده فولاني خراج ديار ربيعة فأصبت فيها الف الف درهم .. قال المحسناني ارق الرشيد ذات ليلة فوجه الى عبد الملك الاصمعي والى الحسين الخليع فاحضرهما وسكا اليهما مدامعة يومه وشدة ارقه وقال لهما عالاني احاديثكما والدأب يا حسين . قال نعم يا أمير المؤمنين حرجت في بعض السنين متجردا الى البصرة ومنتجعا لآل سليمان فقصدت محمد بن سليمان بقصيدتي فقبلها وأمرني المقام فخرجت ذات يوم الى المربد وحمام المهالبة طرقني فاصابني حر وعطش فدنوت من باب داركم لاستسقي فاذا انا بجارية أحسن ما يكون كأنها قضيب تحتي وسناء حبيبي رحاه الخاصرين مهضمة الحضر حاسرة الرأس مفتوحة الجيبان عليها قميص لاذ خماريّ وردائه عدني قد عاث شده بياض بدنها حمرة قميصها تتلألأ من تحت قميص سندس كرماسين ونعل كفلى القاطي وعكن مثل القراطيس لها حمة حمدة مسك محشوة وهي يا أمير المؤمنين متمادة حبراً من ذهب والجوهر يزهر بين ترائبها على نحر حبيها صره كالثلج وحجان متروان وعينان كالاوان وخدان أسيلان عليهما حمرة كالورد وبياض كالثلج وقد عاث حمرتها سواد المسك والعالية

ودابر العود الهندى على لسانها عاشق الخلوق وهي والهة حيرى واقعة في الدهليز وحالية تمطر في مشيتها قد حالط صرير نعلها أصوات خلخالها كأنها تمطر على أكباد محبيها فهي كما قال الاعمى الأودى

ليسَ منها ما يُقالُ لها كَمَلَتْ لو أنَّ ذا كملا
كلُّ جزْءٍ من محاسنِها كائنٌ من حُسنِها مثلا
لو تمنَّتْ في مراعتِها لم تجدْ في حُسنِها بدلا

فهنأها والله يا أمير المؤمنين ثم دنوت منها لأسلم عليها فاذا الدار والدهليز والشارع قد عبقت بالمسك فسلمت عليها فردت السلام بلسان منكسر وقلب حزين محزون فقلت لها يا سيدتي اني شديد العطش فأمري لي بشربة من ماء تؤجري . قالت اليك عني ياشيخ فاني مشغولة عن سقي الماء وادخار الأجر . فقلت لها يا سيدتي لأية علة . قالت لأني عاشقة من لا يصغي وأريد من لا يريدني ومع ذلك فاني ممتحنة برقباء فوق رقباء . قلت لها يا سيدتي هل على بسيط الأرض من تريدينه ولا يريدك . قال انه لعمري على ذلك الفضل الذي ركّب الله فيه من الجمال والدلال . قلت لها يا سيدتي فما وقوفك في الدهليز . قال هو طريقه وهذا أوان اختياره قلت لها يا سيدتي هل اجتمعتما في خلوة في وقت من الأوقات أم حب مستحدث . فسفحت الصعداء وأرخت دموعها على خديها كطلّ على ورد . وأنشأت تقول

وكنا كغصني بانةٍ وسطَ روضةٍ نشمُّ حبا اللذّاتِ في عيشة رغد
وأوردَ هذا الغصنَ من ذاكَ قاطعٌ فيا من رأى فرداً يحنُّ إلى فرد

قلت لها يا هذه ما بلغ من عشقك هذا الفتى قال أرى الشمس على حائطه أحسن منها على حائط غيرهم وربما أراه نصف نهار فأهيم وتهرب الروح من جسدي وأبقى الأسبوع والأسبوعين بغير عقل . قلت لها صبرا عليّ وأنت على ما ذكرت من الهوى وشغل القلب بالهوى واعتلال الجسم وضعف القوى ما أرى ذلك من صفاء اللون ورقة

البشرة فكيف لو لم يكن بك من الهوى شيء أراك كنت معتنة في أرض البصرة ، قالت : كنت والله يا شيخ قبل تحقق لهذا الغلام تحفة الدلال والجمال والكمال ولقد فتنت جميع ملوك البصرة وفيهم هذا الغلام ، فقلت . يا هذه ما الذي فرّق بينكما ، قالت : نوائب الدهر وأوابد الحدثان ولحديثي وحديثه شأن من الشان وأميك أمري اني كنت اقتصدت في بعض أيام السرور فأمرت قرن لي وله مجلس بأنواع الفرش وأواني الذهب ونصبنا الرياحين والشقائق والمنثور وأنواع البهار وكنت دعوت لحبيبي عدة من متطرفات البصرة فيهن من الجواري جارية شهراز وكان شراؤها عليه من مدينة عمان ثمانمائة ألف درهم وكانت الجارية ولعت بي وكانت أول من أجابت الدعوة وجاءتني منهن فلما حصلت عندي رمت نفسها عليّ تقطعني عضاً وقرصاً ثم حلونا تمرر القهوة الى ان يدرك طعامنا ويجتمع من دعونا فجارة هي فوقي وتارة انا فوقها تحملها السكر على ان صرت يدها على تكتي تحلها وبرعت هي سراويلها وصارت بين يدي كبعير الرجال من النساء فبينا نحن كذلك اذ دخل عليّ حبيبي وقد الترق قرطي بخالي فلما نظر اليّ اشمأزّ لذلك وصدف عني وعنها صدوف المهرة العربية اذا سمعت صلاصل اللجم وعضّ على أنامله وولّى خارجاً فأنا يا شيخ منذ ثلاث سنين أسأل سجيته واستعطفه فلا ينظر إليّ بعين ولا يكتب إليّ بحرف ولا يكلم لي رسولاً ، قلت لها . يا هذه أقس العرب هو أم من العجم ، قالت هو من حلّة ملوك البصرة ، قلت : من أولاد بنيها أو من أولاد تجارها ، قالت من عظيم ملوكها ، قلت لها : سبحان الله أم شاب فنظر إليّ شزراً وقالت ابك لأحمق أقول هو مثل القمر ليلة البدر أمرد أحرد وطرة رقعاء كحلك الغراب تعلوه شقرة في بياض كنظر لناس صارت السيف ساعة تارة لاعب بالمرد والشطرنج ضارب بالعود والطنبور يغني ويشعر على عمل وزن ذميمة شيء إلا انحرافه عني لا نقصاً لي منه بل حقداً لما رآني عليه ، قلت لها يا هذه وكيف صبرك عنه ، فأنشأت تقول

أمّا النّهارُ فمستهامٌ والهٌ ... وجفونُ عيني ساحماتٌ تدمعُ

والليل قد أرعى النجوم مفكرا ... حتى الصباح ومقلتى لا تهجع
كيف اصطبارى عن غزال شادن ... فى لحظ عينيه سهام تصرع
وجنة يفضى وحاجبان تقوسا ... وكأن جبهته سراج يلمع
وبياض وجه قد أشيب بحمرة ... فى وجنتيه كأنه مستجمع
والقد منه كالقضيب إذا زهى ... والغصن فى قنواته يتزعزع
تمت خلائقه وأكمل حسنه ... كمثال نذر لعبد عشر أربع

قلت لها ياسيدتي ما إسمه وأين يكون . قالت : نصبح به مادا . قلت احهد في لقائه واتحرى الفصل بينكما فى الحال . قالت . على شريطة . قلت . وما هي . قالت : تلقانا اذا لقيته وتحمل لنا اليه رقعة . قلت لا أكره ذلك . قالت هو عمرة بن المعيرة ابن المهلب بن أبي صفرة يكنى بابي شجاع وقصره فى المربد الأعلى وهو أشهر من ان يخفى ثم صاحت فى الدار يا جواري دواةً وقرطاسا وشمرت عن ساعدين كانهما طومارا فضة ثم حملت القلم وكتبت بسم الله الرحمن الرحيم سيدى تركي الدعاء فى صدر رقعتى عجزا عن تقصيري ودعائى ان دعوت بكم من محنة فلولا ان بلوغ المجهود يخرج عن حد التقصير لما كان لما تكلفته خادمتك من كتب هذه الرقعة معي مع ايسها منك وعلمها بتركك الجواب سيدي فقد سطرة وقت اختيارك فى الشارع الى الدهليز تحي بها أنفس منيته أسرى وأحطط بخط يدك تسطها الله بكل فضيلة رقعة وجعلها عوضا من تلك الخطوات التى كانت بيننا فى الليالى الخاليات التي اذا ذكرتها سيدى الست تلك محنة وتلك مسرة فى رحمت مولاي الى الاشفاء بك واهدي من عوارض السقم كنت لك خادمة ولك شاكرة فلما فرغت من الكتاب يا امير المؤمنين دولته . وقفت له يسيدى قد وجب حقك على وارمتك حرمتى لطول وقوفى عليك وكنت قد سألت شربة ماء فقال استعمر الله ما فهما عملك ثم صاحت فى الدار آخرجى بنا شرابا من ماء وعبير فما كان الا ان افصل ثلاثون وصيفة بايديهن الطاسات والحباب والاقداح تفوح منها

وثلجا وفقاعا وشرابا فشربت الماء ثم قلت ياسيدتى مع قدرتك على هذا من استواء الحال وكثرة الخدم والعبيد والحوارى فلم لا تأمرين احدى الحوارى أن تقف مراعية للغلام حتى ادا مر اعلمتك فتحرجين اليه ، قالت لاتعلط ياشيخ فتسلط

عَالَةَ عَنْقِ اللَّيْثِ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ إِذَا رَامَ أَمْرًا قَامَ فِيهِ بِنَفْسِهِ

ثم انصرف عنها يا أمير المؤمنين فلما اصبحت غدوت على محمد بن سليمان فوجدت مجلسه محتفلا بالملوك وأبناء الملوك ورأيت غلاما قد زان المجلس وفاق من فيه حسنا وجمالا قد رفعه الامير فوقه فسألت عنه فقيل ضمرة بن المعمرة فقلت فى نفسى بالحقيقة حل المكية بمحل هو والله فاتاها فيما أرى ثم قمت فقصدت المربد ووقفت على باب داره فاذا هو قد ورد فى موكب حافل فوثب اليه وبالغت فى الدعاء والثناء ثم دنوت منه فاومأت فى اذنى حرى بين وبينها وناولته الرقعة فلما قرأها ضحك ثم قال يا شيخ قد سبقتنا بسؤال فهل لك فى ان تنظر الى المديل ، قلت نعم ، فصاح فى الدار يا حوارى خرجن الينا لمديدا ، فكان ألا ان طلعت جارية وصيفة الكعبين ناهدة الثديين تمشى مشية ستوحل ترتج من دقة خصرها على كثر عجزها ذات خدين وعجيزتين تختطفان الانفس حتفاه على رأسها صفيحة من الكافور مكتوب على جبينها

آهٌ مِنَ الحُبِّ آهْ مَا أَقْتَلَ الحُبَّ وَأَصْبَاهْ

وعلى ذلك مكتوب

عِبَارَةٌ مَيْأَسَةٌ فِى الخَطَى رَخِيمَةُ الدَّلِّ صَيُودٌ لِلرِّجَالِ

وقد كتبت هذه الابيات على عضادتها الثلاثة اسطر وهى

إِذَا عَصَيْتُ رَبِّيَ النَّاسَ قَتْلَى وَإِنْ رَضِيَتْ فَأَرْوَاحٌ تَعُودُ

لِى فِى عُيُونِ لَحَظَاتٌ سِحْرٍ تُمِيتُ بِهَا وَتُحْيِى مَنْ تُرِيدُ

وَتَسْبِى العَالَمِينَ بِمُقْلَتَيْهَا وَكُلُّ العَالَمِينَ لَهَا عَبِيدُ

وقد رقعه وقد وثب وحى صاحبك فلما قرأت الرقعة اصفرت وعرقت

ومزقتها وصرت بها في وجه الغلام وعدت في الستر . فقال لي : أما أنت ياشيخ فاستغفر الله مما مشيت فيه . قلت : بل أنت استغفر الله من محرانك اياها وتركك إتيانها والله ماأرى لها في البشر نظيراً . قال لا أفعل ولوأنها في حسن يوسف وكمال حواء لفرحت . ياأمير المؤمنين وأنا أجر ديلي حتى وردت عليها فاستأذنت ودخلت فبدأت بي ، فقالت : ما وراءك الشيخ ، قلت : اليؤس واليأس : قالت لا عليك فأين الله والقدر ثم أمرت لي بخمسمائة دينار وعشرة أثواب وخرجت من عندها وأنا أمتدح لآل سليمان فلم يكن لي والله الا معرفة خبرها في العام الذي عدت فيه الى البصرة فوردت عليها فوجدت على بابها أمراً وبهياً وأساناً لاتكون الا على باب الخلفاء فاستأذنت فدخلت فاذا فوق رأسها ثلاثون وخلا من شيوخ وشباب وخدم وقوف بسيوفهم فلما نظرت الي عرفتني ووثبت الي وقبلت رأسي وقالت ياشيخ الحمد لله الذي جعل العبيد بالصبر ملوكا وجعل الملوك بالتيه عبيداً ان الذين تراهم وقوفا أصحاب صبرة يسألون سجيتي ويسألوني الرجوع له والله لانظرت اليه في وجه ولو أنه في حسن يوسف وكمال حواء فسجدت ياأمير المؤمنين شكراً لصبرة وتعزيزاً الى الجارية فقال بعض خدمها مهلا ياشيخ فان صاحبة البصرة طاب مولده ثم انصرفوا فاوتيت حريصة فيها أوراق فقلت هذا أول ماورد علي منها فاذا فيها ثوب حر أبيض بقلم مكتوب فيه بداء الدهب بسم الله الرحمن الرحيم ولا تعلق عليك أدام الله حياتك لو صفت سطراً من عذرك ولبسطت سوط عتبي عليك وحكمت سيف ملامتي فيك اذكرت الحاجة على بعدك وامتهره لسوء العهد وقلة الوفاء فتؤثره علينا غيرنا فخالفت هواي وفرشت عذرك لها على حد وهزل وصحو وسكر واستعنت الله على ماكان من سوء اختيارك وقد صبرت . فعنى هذه أبيات سطرت بالعصبة بالحمرة وهي

قطّعَ قلبي فراقكمْ قِطَعا ... وكدتُ قصي لبيتكم جزعا

ما تكحلُ العينُ بالرُّقادِ ولا ... يبرحُ حبي في ليلِ مضجعه

لاعاشَ لي مذ نأيتُ ولا وجدتُ ... عيدي في الارض قطُّ متسعا

قال لها أفلا تحدثيني كيف سلبت عبدك وملكت لأحرارك فقصصت

تفاحة جارية محمد بن سليمان فدعيا الى حورنق لمحمد بن سليمان فلما طعما دعت لنا بالشراب فبينا نحن كذلك اذا بحراقة سلطانية قد وردت وفيها عدة من أساء الملوك وفيهم هذا العيار ولا علم لى بمكانه وكنت حملت العود وغنيت

أَبَلَى فُؤَادِى وشَفَّنِي الأَرَقُ والدَّمْعُ مِنْ مُقْلَتَيَّ يَسْتَبِقُ
مِنْ حُبِّ ظَبْيٍ أَغَنَّ ذِي دَعَجٍ وقَلْبُهُ لِلشَّقَاءِ مُنْطَبِقُ

فلما وجدت العتمة انصرفنا وأطفأت الجارية وأتانى هؤلاء القوم من عنده يسلمون سحيمق ويتعظمون على ثم انصرفت عنها ياأمير المؤمنين ودخلت الحمام من ساعتى فما كان الا أن دخلت حتى أتانى غلامى فقال جماعة من حلة الناس قد طرقوا دارك فظننت انك قمت ثيابى وخرجت مسرعا فاذا بصمرة قد كبس دارى فى عدة من الرؤساء فقال والله لارجعن حتى سبق عاليا الحمامة ديبار التى أخذتها من الجارية سيدتى ، فقلت أى والله بالسمع والطاعة ثم عدت الى نفسه فلم يزل يناظرنى فى أمرها حتى أقبل المساء ثم انصرف الى رحله فلما كان من الغد وردت له رقعة مع خادم وكيس فيه ألف دينار واستدارنى فصاب ذلك وصرت معه اليه فلما نظر الىَّ تحنى عن مقعده وأقعدنى ثم قال هذا قد أعددته للسرور لسيدتى هدية وأنت أولى من تحتشم مع الخادم اليها فقلت السمع والطاعة ثم صاح فى الدار فاذا مائة تخت من ثياب وصندوق من ذهب مقفل عليه فقال لى فى التخت والصندوق مبلغ ثلاثين ألف دينار وأنت أولى من تفضل بالانعام بصرفها واستأذنه فلم يمكنه بين يديها أن كرتنى ، وقالت من الشيخ ، قلت الخليع شاعر العراق ومعى هدية عندك صمرة فصاحت فى الدار تملأ فاذا جارية كأنها الشمس فى الشكل ، فقالت لها خذى هذه الهدايا وفرقيها على جوارى الدار ثم قالت أسمع خوصك فى صنعة معى فقلت ولى الهدية فى ثلاثين سنة ، قلت لها السمع والطاعة ثم نثرت رقعة ، قالت فى خمس عشرة سنة ، قلت لها اقصرها أولى فقالت فى ثلاث سنين ، قلت لها خطة أخرى وقد اختصما ، قالت لا والله لا أكلمه ولا أشرب حتى يعده ، فأمرت أن يسرح لها وعادت الى بابها صمرة مبشراً

فما وصلت أو سمعت سلاسل الأهم فاذا هي قد سقتني في حواريها وخدمها فدخلت فاذا هما يتعانقان ويتعاتبان فقلت ياسيدتي مأأتيا الى شيء أحوج مسكا الى حلوة . قالا : هو ذاك فانصرفت عنهما ثم نكرت عليهما فاذا هي في المرقد الأول جالسة عليها حلة وشي معلم وهي تعصر الماء عن ذوائبها وتصلح قرونها فاستحييتي . وقالت لا تعكرن علي ريبة فوالله ماساليا البارحة حتى بعثت الى عبدالرحمن بن أبي ليلى القاضي فروحت نحو سيدي ولكن صر اليه فانه في المرقد الثاني فصعدت اليه فلما نظر الي وثب الي وقبل بين عيني ، وقال : يا شيخ قد جمع الله بيني وبين سيدتي فلك ثم دعا بدواة وقرطاس وكتب الى ابن روح السيرفي في ثلاثة آلاف دينار فرجعت اليها . فقالت : ماوراءك سيدي فاقرأتها الرقعة ، فقالت لتحمل اليك مثلها ودعت بمال وصيار وورق ثلاثة آلاف دينار ودعت بعشرة أثواب من ثياب مصر وقالت هذه وصيفتك عليها كل يوم فخرجت من عندها وأخذت مرقوعي من آل سليمان وانصرف الى العراق وكان ارشد متكئاً فاستوى جالساً وقال أوه ياحسين لولا أن صمرة سقى اليها لكان لي ولها شأن من الشأن

(ومنهم الشعراء) قال استأذنت على عبد الملك بن مروان في الحج فأذن لي وكنت الى الحجاج يأمره بالقدم الى عمر بن أبي ربيعة أن لايذكرها في شعره فلما لقي عمر مقدمها لم يكن له همة الا أن يتهيأ لاحل مايقدر عليه من الحال والهيئة وصرف همه قبل المسجد الحرام فكان يكون فيها نهاراً فاذا أمست تحولت الى مرطها بمصر فيه وتحدث باراء الفتنة وقد حير عمر نشأتها فاذا أرادت الطواف أمر جواريها فيسترنها بملاءة ريط وكانت تتطلع الى عمر كثيراً وكانت تسأل من دخل عليها عنه رجاء أن يكون قد قال شيئاً فلم يعمل حتى قضت الحج ورجعت ورأت من مكة على أبيات وأعمل راكب من عنده فسألته من أين أقبلت ، قال من مكة ، قالت عليك وعلى فرقدت منها لعبد الملك قال ولم ياأمة عبد الملك قالت قدمنا مكة فأقمنا أشهر فلم نسمع لعمر بن أبي ربيعة أن نرودنا من شعره أبياتاً كما ماهو في سفرنا هذا ، قال فهل قصدتيه قالت فاذهب اليه واسأله ولك في كل بيت يقول له مائة دينار ، فأقبل راكب من عند عمر ابن أبي ربيعة فأخبره الخبر فقال له اذهب ولكن حتى نكتم عنا ، قال افعل ثم أنشده

راعَ الفؤادَ تفرُّقُ الأحبابِ ... يومَ الرَّحيلِ فهاجَ لي أطرابي

فظللتُ مُكتئباً أكفكفُ عَبرةً ... سحّاً تفيضُ كوابلِ الأسراب

لمّا تنادَوا للرَّحيلِ وقرّبوا ... نُزُلَ الحمالِ لطيّةٍ وذَهابِ

كادَ الأسى يقضي عليكَ صَبابةً ... والوَجهُ منكَ لبَينِ إلفكَ كابي

قالتْ سُعيدةُ والدُّموعُ ذَوارفٌ ... منها على الخدّينِ والجِلبابِ

ليتَ المُغيريَّ الذي لمْ يحزِهِ ... فيما أطالَ تصيُّدي وطِلابي

كانتْ تَرُدُّ لنا المُنى أيّاما ... إذ لا نُلامُ على هَوىً وتَصابي

أيّامَ تكتمُ وِدَّنا وبودُّهُ ... سرّاً مخافةَ مُنطقِ المُرتابِ

أخبرتُ ما قالتْ فتُّ كأنّما ... يُرمى الحَشا بنوافذِ النُّشّابِ

فبعثتُ جاريتي وقلتُ لها ادْهَبي ... فتولّي لها في خفيّةٍ وقَرابِ

أسعيدُ ما ماءُ الفراتِ وطيبُهُ ... منّي على طمإٍ وطيبِ شَرابِ

ألذُّ منكِ وإن نأيتِ وقلَّما ... تَرعى النِّساءُ أمانةَ الغُيّابِ

إن يَبذُلي لي نائلاً أشفي بهِ ... سَقَمَ الفؤادِ فقدْ أطلتِ عذابي

وعصيتُ فيكِ أقارِبي فتقطّعتْ ... نَسَبي وبينهمُ عُرَى الأسبابِ

وتقيتُ كالبَرقِ فصلةَ مائهِ ... في حرِّ هاجرةٍ لِلمَعِ سرابِ

ثم أتى الوليد بالكتاب وعجب منه وأمرت جواريه بحفظها ثم وفى له بما وعده وسلمها إليه في كل سنة مرة واحدة. وقال أخبرنا محمد بن حلف قال أخبرني أبو بكر الهاشمي قال حدثني موسى بن عمر بن أوس مولى فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس بن عمر بن عبد مناف بن محمد قال حدثني الهلال مولى ابن أبي عتيق، قال قام

الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة من الحج فأتاه ابن أبي عتيق ، فقال : كيف تركت أبا الخطاب فقال هجرت الثريا عمر فقال

مَنْ رَسولي إلى الثُّرَيَّا فإني ... ضِقْتُ ذَرْعًا بِهَجْرِها والكتابِ
سلبتني مُحَّاجةُ المسكِ عقلي ... فسلوها بما يَحِلُّ اغتصابي
أَبْرَزُوها مثلَ المَهاةِ تهادى ... بين خمسٍ كواعبٍ أترابِ
وهي مَمْكورةٌ تَحَيَّرَ فيها ... في أديمِ الخدَّينِ ماءُ الشَّبابِ
وتكنَّفْنها كواعبُ بيضٌ ... واضحاتُ الخُدُودِ والأقرابِ
في سخابٍ مِنَ القَرَنْفُلِ والدُّرِّ ... نفيس واهًا له مِنْ سِخابِ
قلتُ لمَّا صَرَفْنَ بالسُّخْفِ دوني ... ليس هذا لوِدِّنا بمَتابِ
فتبدَّتْ حتَّى إذا خِفْنَ قلبي ... حالَ دوني ولائذٌ بالنِّيابِ
حين شَفَّ القتولَ والعُنْقَ منها ... حُسْنُ لَوْنٍ يَرِفُّ كالرِّيَّابِ
ذكَّرَتْني بَهْجةِ الشَّمسِ لما ... طلعتْ في ذُجُنَّةٍ وسَحابِ
دُمْيةٌ عند راهبٍ وقسيسٍ ... صوَّرُوها في مَذْبَحِ المحرابِ
فارحَمَتْ في خمسٍ حاقٍ عميمٍ ... سهادي في مثلِها كالمُصابِ
ثمَّ قالوا تحبُّها قلتُ بُهْرًا ... عدَدَ الرملِ والحَصا والترابِ

وقال العلامة انطلق بكتابي هذا الى ابن أبي عتيق بالمدينة فدفعه اليه ، وقال علام بالكتاب حتى دفعه اليه فلما قرأه قال والله أما رسوله "فهو فسير حتى قدم مكة لا من أهله فأتى منزله فوجده خاليًا فانطلق علام عمر الى عمر ، فقال له رجلا قد وهو يطلبك من شأنه وهيئته كذا ، قال ويحك ذلك ابن أبي عتيق دفعت اليه فض ولاي أتيت الآن وكان عمر على فرسخين ، أو على رأس ثلاثة أميال من مكة ، فلما علام

فأخبره فقال اسرح لي أنت بردون عمر فان دابتي قد تعبت وكلت فأسرجه له فركب وأتى الحي فصهل البردون وسمعت الثريا صهيله ، فقالت : لجواريها هذا هو بردون الخبيث عمر ثم دعت سعلة لها فوضعت عليها رحالها فخرجت فاذا هي بأبي عتيق فقالت مرحباً بمن ماجاء بك ياعم ، قال أنت والعاشق حيثما هي ، قالت : أما والله لو يعيرك تحمل عليها ما أجبناه ولكن ليس لك مدفع امرر ساعتك فأقبل حتى انتهى الى عمر فخرج عمر اليه وقبل يده ثم قال ابرك حملني الله فداك ، فقال ماء مكة عليّ حرام حتى أخرج منها ثم دعا سعلته فركبها وانصرف الى المدينة وخلا عمر بالثريا وحدث الزبير ابن بكار عن أبي محرم عن ابراهيم بن قدامة قال قال عمر بن أبي ربيعة ألا أحدثك حديثاً حلواً ، قال قلت بلى قال بينا أنا جالس اذ جاءني خالد الحريت ، فقال ياأبا الخطاب هل لك في هند وصواحبها فقد خرجن الي برهـة ، قلت وكيف لي بذلك قال تلبس لبسة أعرابي وتعتم بعمامته وتركب مركبه كأنك بائع صالة ، قال ففعلت وخرجت حتى وقفت عليهن أنشد ضالتي فقلن إبرك فبركت وقعدت أحادثهن وأعارضهن فصارمت الهوى قالت لي هند اجلس لا جلست أنت ألا ترى أنك وقفت علينا عربياً ونحن والله وقفنا على عرتك نحن نعشا خالداً وخدعناه وأطمعناه في أنفسنا حتى جاء بك فقال خالد صدقتن والله خدعني وخدعتك فجلس وتحدثنا فأنشدتهن ، فقالت هند ياسيدي لقد رأيتني منذ أيام وقد أصبحت عند أهلي فأدخلت رأسي في حبي ونظرت الى هي فاذا هو ملء الكف ومية انتمي فمادت ياعمراه ياعمراه ياعمراه ، قال عمر ، فقلت ياليك ياليك يالبيك ثلاثاً ومددت في الثالثة صوتي فضحك وحادثتهن ساعة ثم ودعتهن وانصرفت فذلك قولي

عَرفتْ مصيف الحيّ والمترَبّعا ... بَطنِ خلَيّاتٍ دَوارِسَ بَلقَعا

بِنَ لسفح من وَدِيّ المُعمسِ بَدّلتْ ... مَعالمُهُ وَبلاً وبَكباءَ رَعرَعا

بعد وتْرابِ لبعد بعد الهوى ... جميعٌ وإذْ لم نخشَ أن يتصدّعا

وإذْ نحنُ مثلُ الماء كان مزاجهُ ... إذا صفقَ الساقي الرّحيقَ المشعشعا

وإذ لا نُطيعُ الكاشحينَ ولا نَرَى ... لِواشٍ لَدَينا يَطلُبُ الصَّرْمَ مَطْمَعا

وقال عمر ما رأيت يوما حانت عوادله وحضرت عوادره بأحسن من يومنا ولا صوة كصوتنا ولا قيادة كقيادة خالد ولا أملح ولقد وصفت ذلك في شعر . فقلت في تمام ماتقدم

أتاني رَسولٌ مِنْ ثلاثٍ حَرائرٍ ... ورابعةٍ يَزْكُو لها الحُسْنُ أجمَعا
فقلتُ لِمُطْرِيهِنَّ في الحُسْنِ إنَّما ... صَرَرْتَ مَهَا تَسطيعُ مَعْ فَتَنَتَيْما
لئنْ كانَ ما حدَّثْتَ حقًّا لَمَا أرَى ... كمِثْلِ الاولى أطْرَيتَ في النَّاسِ أرْبعا
وهَيَّجْتَ قلباً كانَ قد وَدَّعَ الصِّبا ... وأشياعَهُ فاشفعْ عَسَى أنْ تُشَفَّعا
فقالَ تعالَ انظُرْ فقلتُ فكيفَ لي ... أخافُ مَقاماً أنْ يشيعَ ويَشْنعا
فقالَ اكتَمِلْ ثمَّ التَمِمْ وأتِ داعياً ... فسلِّمْ ولا تُكْثِرْ بأنْ تتورَّعا
فإني سأُخفي العينَ عنكَ ولا تَرَى ... مَخافةَ أنْ يَفشو الحَديثُ فيَسْمعا
فأقبلتُ أهوِي مِثلَ ما قالَ صاحبي ... لمَوْعِدِهِ أرْجي قُعودًا مُوَقَّعا
فلمَّا تواقَفْنا وسَلَّمْتُ أشرَقَتْ ... وُجوهٌ رَهاها الحُسْنُ أنْ تتقنَّعا
تَسالَهُنَّ بالعِرفانِ لَمَّا عَرَفْتُني ... فقُلْنَ امرؤٌ باغٍ أضلَّ وأوْضعا
فلمَّا تَبارَعْنَ الأحادِيثَ قُلْنَ لي ... أحِفْتَ علينا أنْ نَمُرَّ ونَحْدَعا
فما حِثْتَنا إلَّا على وَفْقِ مَوْعِدٍ ... على مَلَإٍ مِمَّا حَرَصْتَ لهُ معا
رأينا خَلاءً مِنْ عيونٍ ومَجلِساً ... دَمِيثَ الثَّرَى سَهْلَ المَحَاةِ مُمْرِعا
وقُلْنَ كَرِيمٌ مالَ وَصْلَ كرائمٍ ... وحقَّ لهُ في اليومِ أنْ يتمتعا
وفيهِنَّ هِنْدٌ تكمِلُ الهَمَّ والمُنَى ... وإخدَاعَ عيني كلَّما رُمْتُ مَهْجعا

قال ولما أنشد عمر بن أبي ربيعة ابن أبي عتيق قصيدته التي فيها يقول

فأتتها طلّةٌ عالمةٌ تخلطُ الجدَّ مِراراً باللعبْ
تزعمُ الصوّتَ إذا لاقتْ لها وتُراخي عندَ سَوْراتِ المَصبْ

قال ابن أبي عتيق امرأتي طالق ان لم يكن الناس في طلب مثل هذه منذ قتل عثمان يجعلونها خليفة فلم يقدروا عليها وأنت تريدها قوادة ، قال ولما هاجر كثير بني صمرة فقال

ويحشرُ نورُ المُسلمينَ أمامَهمْ ويحشرُ في أستاهِ ضَمْرةَ نورُها

اشتدت على صمرة عليه وعلى عزة وأرادوا قتله ووضعوا له العيون فمكث شهراً لا يصل اليها فالتقى جميل وكثير فشكى أحدهما الى صاحبه ما يلقى ، فقال جميل أنا رسولك الى عزة فأخبرني عما كان بينكما ، قال آخر ما لقيتها بالطلحة مع أتراب لها قال فأتاهم جميل وهو ينشد دوداً له فمضت عزة ، فقالت تحت الطلحة التمس دوداً هناك فانصرف جميل فأخبر كثيرا فلما كان في نصف الليل أتيا الطلحة وأقام عزة وصاحبة لها فتحدثا مليا وحمل كثير يرى عزة تسطر الى جميل وكان جميلا وكثير دميما فحسب كثير وعار عليها وقال لجميل انطلق بنا قبل أن يصبح عليها الصبح فانطلقا فعند ذلك يقول

رأيتُ ابنةَ الشّلّيّ عزّةَ أصبحتْ كمُختطبٍ ما يَلقَ باللّيلِ يَخطبِ
وكانتْ تَميمًا وتزعمُ أنّما كبيضِ الأُنوقِ في الصّفا المُتعيّبِ

ثم قال كثير لجميل متى عهدك بصبية ، قال في أول الصيف بوادي الدم ومعها حواريها فسار بنا حتى أتيح بهم وهو يقول

وقلتُ ايا بعرَ أرسلِ صاحبي على بُعدِ دارٍ والرّسولُ مُوكّلُ
بأن تحملي لي ريحَكِ موعدا وأنْ تأمريني بالّذي فيه أفعلُ
فما تذكرين العهدَ يومَ لميتكم بأسفلِ وادي الدّومِ والثّوبُ يُغسلُ

فعلمت صبية ما أراد فصاحت احسأ احسأ فقال عمها ما دهاك يا ابنية ، قالت ان كلباً يا بابه

بأبيا من وراء هذا التل فيأكل مايجد ثم يرجع فرجع كثير: وقال لجميل قد وعدتك التل فدونك فخرج جميل وكثير حتى انتهيا الى الدومات وقد حاذت ظبية فلم تزل معه حتى برق الصبح وكان كثير يقول مارأيت محاسناً قط أحسن منه عمر بن شبة عن اسحاق بن ابراهيم الموصلي: قال حدثني شيخ من خزاعة قال ذكرنا ذا الرمة وعندنا عصمة بن مالك الفزاري وهو يومئذ ابن عشرين ومائة سنة فقال اياي فاسألوا عنه كان من أظرف الناس حبيب العارضين آدم حلو المضحك اذا أنشد احتفر وأتاني يوما فقال ان مية منقرية وان بي منقر أخت حيّ وأعلمه بأمرها فهل عندك من باقة نزورها عليها قلت أي والله عندي اثنتان قال فسرنا فخرجنا حتى أشرفنا على الحيّ وهم خلوف فعرف النساء ذا الرمة فمدلن سبالهن بيتمي وأتحنا عندهن فقال لذي الرمة أنشدنا ياأبا الحارث فقال أنشدهن فأنشدتهن قوله

نظرتُ إلى أظعانِ مَيَّ كأنَّها ... دُرَى النَّخلِ أوأثلٌ تميدُ دَوائِمُه

فأشعلتِ النِّيرانَ والصَّدرُ كاتمٌ ... بمعروزِقٍ بتُّ عليهِ سواكمُه

بكى وامقٌ حاءَ العراقَ ولم تَحُلْ ... حوائلُها أسرارَهُ ومعاتبُه

فقال طريقة منهن إنكي اليوم فررت فيها حتى انتهيت الى قوله

إذا سرحتْ من حبِّ مَيَّ سوارحٌ ... على القلبِ آتته جميعاً عوارضُه

فقالت الطريقة قتلك الله فقالت ما أفصحه وهيئاً له فتبسم ذو الرمة تبسماً كادت حرارته تساقط لحمي ثم مررت فيها حتى انتهيت الى قوله

وقد حلفتْ باللهِ ميَّةُ ماالذي ... أقولُ لها إلاَّ الذي أنا كاذبُه

إذا قرَّمالي اللهُ من حيثُ لاأرى ... ولازالَ في أرضي عدُوٌّ حريبُه

فلبثت ميّ الى ذي الرمة فقالت ماخبث حلف عواتق الله ثم ذهبت لي أن يعد الى قوله

إذا نازعتكَ القولَ ميَّةُ أو بدَا لكَ الوجهُ منها أو نضا الدِّرعَ سالبُه

فيالكَ من خدٍّ أسيلٍ ومنطقٍ رخيمٍ ومن خلقٍ يسلّلُ جاذبُه

فقالت تلك الطريعة أما القول فقد نازعتك والوجه فقد بدا لك فما لنا بأن ينضو الدرع سالبه فقالت لها ميّ قاتلك الله ما أنكر ما تحدثين به اليوم فتحادثا ساعة ثم قالت تلك الطريعة ما أحوج هذين الى الخلوة فهمت وسائر النساء فصرت الى بيت قريب منهما حيث أراهما فما ارتمت شيئ ولا رأيت أمراً كرهته فمكث ساعة ثم أتاني ومعه قارورة وثلاث قلائد فقال هذا طيب رودتساه ميّ وقلائد أتحفتك بها ابنة الحودي فكنا نختلف اليها حتى انقضى المربع ودعانا الصيف فرحلوا قبلنا وأتاني دوالرمة فقال قد طعنت ميّ فلم يبق الا الديار والسطر الى الآثار فأخرج بنا الى دارها فخرجت معه حتى اذا وقفنا عليها أنشأ يقول

ألا فاسلمي يا دارَ ميَّ على البِلَى ولا زالَ منهلاً بجرعائكِ القطرُ

حتى أتى على آخرها ثم انهملت عيناه بعبرة فقلت له ماهذا فقال إني لجليد وان كان مي مما ترى فما رأيت أحداً أحسن شوقاً وصبابة وعراء منه وعن سليمان راوية أبي نواس قال كنت مع أبي نواس أسير حتى انتهينا الى درب الفراطيس فخرج من الدرب شيخ نصراني وحلفه غلام كأنه غصن بان يتثنى كأحسن ما رأيت فقال ياسليمان أما ترى الدرة خلف الشيخ ثم قال هل لك أن تأخذ لي رقعه فتوصلها اليه قلت بلى فكتبها ودفعها اليّ فأوصلتها اليه فلما أبصر غلام وأخذه روحاً فقال من صاحب الرقعة قلت أبو نواس قال أين هو قلت على باب درب الفراطيس قال فليمض مكانه حتى أروح وكان في الرقعة

تمرُّ فتستحييكَ أنْ أتكلّما ويثنيكَ رهوُ الحسنِ عن أنْ تسلّما

ويهتزُّ في ثوبيكَ كلَّ عشيةٍ قضيبٌ من الريحانِ أضحى منعّما

فحسبكَ أنَّ الحبَّ قد شفَّهُ الهوى وأنَّ جفوني فيكَ قد درَفتْ دَما

أليسَ عجيباً عندَ كلِّ موحِّدٍ غزالٌ مسيحيٌّ يعذِّبُ مسلِما
فلولا دخولُ النارِ بعدَ تنصُّرٍ عبدتُ مكانَ اللهِ عيسى بنَ مريما

وحدثنا الحماز: قال كنت يوماً على باب عدي الدرّاع فمر بي أبو نواس شيباً بالمحون فلما خلفه علام كأنه مهر عربي فقلت له مالك فقال

إنَّ الرَّزِيَّةَ لا رَزِيَّةَ مثلُها عوزُ المكانِ وتذتهيّاالمركبُ

فعدلت به والعلام فأقاما سائر يومهما قال وكان عبيد الله بن يحيى يتعشق علاماً من دار المتوكل يقال له رشيق فلا يصل اليه حتى طال ذلك عليه . وكان أبو الأحطل يحامه في المركب ويبسط اليه فقال له عبيد الله يوماً يا أبا الأحطل من لي برشيق فقال الصغير الصغار والبيض الصحاح وحمل عبيد الله يأتي رشيقاً في الدار فيخلو به ويباره ويعطيه مائة دينار في كل ليلة الى أن علم رشيق بما في نفس عبيد الله وكان يتعذر عليهما الاجتماع لقضاء الوطر واللذة فركب أمير المؤمنين يوماً ومعه أبو الأحطل فطلب عبيدالله ونصب أبو الأحطل رشيقاً فرده اليه فلما ظفر به ومر له حالياً قضى حاجته منه وركب أمير المؤمنين مسرعاً فوصل الى الموكب وقد تصبب عرقاً فقال أبو الأحطل

لا خيرَ عندي في الخليـــــل ينامُ عن سهرِ الخليلِ
قولوا لأكثرِ من رأيـــــتُ لكلِّ معروفٍ خليلِ
هلْ تشكرُنَّ لي العدا ةَ تلطُّفي لكِ في الرَّسولِ
إذ نحنُ في صيدِ الحما لِ وأنتِ في صيدِ السُّهولِ

(ماقيل فيه من الشعر)

وتمشّيْت في الحميلِ فأسرعـــــت وإن كنت لست تأتي حميلا
إنَّ من مَدَّ للقيادةِ رِجلاً لحريٌّ أن يكون ذليلا

آخر

لَهَـوَاهُ لِإِتلاَف وملاَهُ لِلاْختِلاَفِ
لَيْسَ يَقرَا مِنْ كِتابِ اللَّـهِ إلاَّ لِإِيلاَ فِ

وقال آخر

إنَّ الرَّفاشيَّ مِنْ تكرُّمِهِ لَثَمَهُ اللهُ مُنتَهَى هِمَمِهِ
يَبلُغُ مِنْ بِرِّهِ ورأفتِهِ حَمْلاَنُ أصيافِهِ على حُرَمِهِ

(ومن محاسن ذلك) حدثنا عليّ بن الحسين بن عليّ بن عثمان بن عليّ بن الحسن قال كانت صبيح جارية مولدة ليمونة بنت الحسن بن عليّ بن زيد فأدبتها وعلمها الغناء فبرعت فيه وكانت من أحسن الناس وجهاً وبدناً وأرعبهم غناء وصرناً فأعطيت بها مولاتها عشرة آلاف دينار فلما أرادت أن تبيعها وأحضر المال بكت وقالت ياسيدتي ربيتني واتخذتني ولداً ثم تريدين بعي فأتعزى عنك ولا أرى وجهك قالت أشهد الله ومن حضر أنك حرة لوجه الله فلما مات ليمونة خطبها آل أبي طالب وغيرهم فطلب عليها جعفر بن حسن بن حسين فزوجها وأحبها حباً شديداً فقدم بها البصرة فقال عليّ بن الحسين وكان يجالسها ويسمع غناءها فأردت الخروج الى الرصى بخراسان فودعت جعفراً وخرجت فأقمت بالاهواز أياماً أهيأ للخروج على طريق فارس فورد عليّ كتاب جعفر أنه قد وقع بينه وبين صبيح سر وأنها قد أعاطت له حتى تناولها صرناً وانها على مفارقته وسألني المسير لأصلح بينهما فقال عليّ بن الحسين وكانت لي جاءة بالرصى وكنت أرجو ذلك في وجهي منه ومن المأمون العمى فلما قرأت كتابه لم أعط صبراً حتى انصرفت راجعاً الى البصرة فكتب لي جعفر فوقعت له بها وبدلا ثم أرسل اليها أقسمت عليك بحقي لا رجعت فخرجت مرحلة شعثة وجهها الباب حتى جالست جاريتها فأقبل جعفر معها من عنده فلما رأته وهي ساكتة ثم قالت جاريته هذا العود فأخذته فاصلحت منه حتى غنت وهي تبكي وتدموعها تكاد

أزتحي خالقي وأعلم حقا أنه ما يشاء ربي كان
لا تلمني وارفق خليلي نشاني إنه ما عناك يوماً عناني

قال عليّ بن الحسين فوالله ما رأيت أحسن منها ولا أرق من عتابها بهذا الصوت فما برحت حتى اصطلحا وألفتني والله عن العمى وأقمت بالمدينة .. وعن الكلبي قال بينا عمر ابن أبي ربيعة يطوف بالبيت في حال نسكه فإذا هو بفتاة قد دنا من شاكلة طاهرة الجمال فألقى اليها كلاماً فقال له عمر ياعدو الله في بلد الله الحرام وعند بيته تصنع هذا فقال ياعماه انها ابنة عمي وأحب الناس اليّ وأنا عندها لكذلك وما كان بيني وبينها من سوء قط أكثر مما رأيت قال ومن أنت قال أنا فلان بن فلان قال أفلا تتزوجها قال أبى عليّ أبوها قال ولم فان يقول ليس لك مال فقال انصرف والقني فلقيه بعد ذلك فدعى بعلته فركبها ثم أتى عم القتى في منزله فخرج اليه فرحا بمجيئه ورحب وقرب فقال ما حاجتك ياأبا الخطاب قال لم أرك منذ أيام فاشتقت اليك قال فانزل فأنزله وأطعمه فقال له عمر في بعض حديثه إني رأيت ابن أخيك فأعجبني تحركه وما رأيت من حاله وشأنه قال له أجل مايعيب عنك أفضل مما رأيت قال فهل لك من ولد قال لا الا فلانة قال فما يمنعك أن تزوجه إياها قال إنه لامال له قال فان لم يكن له مال فلك مال فان عليّ أضمن به عنه قال لكني لاأثق بعدته فزوجه واحتكم عليه مائة دينار فلما قام دفعها اليه وتزوجها القتى وانصرف عمر الى منزله فقامت اليه جارية من حجرته فحلت رداءه وألقى نفسه على فراشها وجعل يتعلل فأتته بطعام فلم يتعرض له فقالت أصلك والله قد وجد بعض ماكان يتعرض لك من حكم النساء فلا تكتمها فقال هاتي لدواة فكتب

تقول وليدتي لما رأتني طربت وكنت قد أقصرت حينا
أراك اليوم قد أحدثت شوقاً وهاج لك الهوى داء دفينا
وكنت زعمت أنك ذو عزاء إذا ما شئت فارق من تهينا
تعيشك هل أتاك بنا رسول يسرك أم لقيت بنا حزينا

فقلتُ شكا إليَّ أخٌ مُحِبٌّ كبعضِ زمانِنا إذ تعلمينا
وذُوالقلبِ المُصابِ ولو تعزّى مشوقٌ حينَ يلقَي العاشقينا
فقصَّ عليَّ ما يلقى بهندٍ وأشبهَ ذاكَ ما كُنّا لقينا
فكَمْ من خلّةٍ أعرَضْتُ عنها وكنتُ بودِّها دهراً ضنينا
أردْتُ فراقَها فصبَرْتُ عنها ولو جُنَّ الفُؤادُ بها حُنونا

قال . وقال عمر بن أبي ربيعة بينا أنا خارج محرما اذ أتتني جارية كأنها دمية في صفاء اللجين في ثوب قصب كقضيب على كثيب فسلمت عليَّ وقالت أنت عمر بن أبي ربيعة فتى قريش وشاعرها قلت أنا والله ذاك قالت فهل لك أن أريك أحسن الناس وجهاً قلت ومن لي بذلك قالت أنا والله لك بذلك على شريطة قلت وما هي قالت أعصك وأربط عينيك وأقودك ليلا قلت لك ذلك قال فاستخرجت معجراً من قصب فعجرتني به وقادتني حتى أتت بي مصراً فلما توسطته فتحت المعجرة عن عيني فاذا أنا بمصراع ديباج أبيض مزرر بحمرة مفروش نوني كوفيّ وفي المصراع ستارة مصرورة من الديباج الأحمر عليها تماثيل ذهب ومن وراءها وجه لم أحسب أن الشمس وقعت على مثله حسناً وجمالا فقامت كالخجلة وقعدت قبالتي وسلمت عليَّ فخيل لي أن الشمس تطلع من جبينها وتغرب في شقائق خدها قالت أنت عمر بن أبي ربيعة فتى قريش وشاعرها قلت أنا ذلك يا مني الجمال قالت أنت القائل

بينما يَبتَغي أنصرَفَ دونَ قيدِ الميلِ يَعدُو بي الأَعَرّْ
قالتِ الكُبرَى أما تعرِفُ ذا قالتِ الوُسطَى بَلَى هذا عُمَرْ
قالتِ الصغرى وقد تيَّمتُها قد عرَفناهُ وهل يَخفَى القمَرْ

قال أبو عبيدة قال يا سيدتي قالت ومن هؤلاء قلت يا سيدتي والله ما هو عن قصد مني ولا في خاطري ولكني رجل شاعر أحب الغزل وأقول في النساء قال

ياعدو الله ياقاضح الحرائر أنت قد فشا شعرك بالحجاز وأنشده الخليعة والامراء ولم يكن في جارية بعينها ياحواري أخرجه فخرجت الوسائف فأخرجني ودفعني الى الجارية فسجرتني وقادتني الى مصرى فبت ليلة كانت أطول من سنة فلما أصبحت بقيت هائماً لاأعقل ماأصبع فما زلت أرقب الوقت فلما كان وقت المساء جاءتني الجارية وسلمت عليّ وقالت ياعمر هل رأيت ذلك الوجه قلت أي والله قالت فتحب أن أريكه ثانية قلت اذا تكرمت فتكونين أعظم الناس عليّ منة فقالت على الشريطة فاستخرجت المسجر وسجرتني وقادتني فلما توسطت المصر فتحت المصانة عن وجهي فاذا أنا بمصر دياج أحمر مدبّر بياض ممروش بمرش أرمنيّ فقعدت على نمرقة من ملك المارق فاذا أنا بالشمس الصاحية قد أقبلت من وراء الستر تتمايل من غير سكر فقعدت كالجحلة فسلمت عليّ وقالت أنت عمر بن أبي ربيعة فتى قريش وشاعرها قلت أنا ذاك قالت أنت القائل

وناهِدَةِ الثَّدْيَيْنِ قلتُ لها اتَّكِي ... على الرَّمْلِ في دَيْمومةٍ لمْ تَوَسَّدِ
فقالتْ على اسْمِ اللهِ أمرُكَ طاعةٌ ... وإنْ كنتُ قدْ كُلِّفْتُ مالمْ أُعَوَّدِ
فما زِلْتُ في ليلٍ طويلٍ ملثّماً ... لذَيدَ رُضابِ المِسْكِ كالمُتَشَهِّدِ
فلمّادَنا الإصباحُ قالتْ فصَحّتي ... فقُمْ غيرَ مَطرُودٍ وإنْ شِئْتَ فارْدَدِ
فما ارْدَدْتُ مِنها وانْشَحَتْ بمِرْطِها ... وقلتُ لعينيَّ اسْفَحا الدَّمعَ مِنْ عد
فقامتْ تُمَشّي بالرِّداءِ مكانَها ... وتَطلُبُ شدْرًا مِنْ خِمانٍ مُبدَّد

قلت أنا قائلها قالت فمن الناهدة الثديين قلت ياسيدتي قد سبق في الليلة الأولى والله ماهو مني قصد ولا في جارية بعينها ولكني رحل شاعر أحب الغزل وأقول في النساء قالت ياعدو الله أنت قد فشا شعرك بالحجاز ورواه الخليعة وتزعم أنه لم يكن في جارية بعينها ياحواري ادفعه فوثبت الحواري فأخرجني ودفعني الى الجاريه فسجرتني وقادتني الى مصرى فبت في ليلة كانت أطول من الليلة الأولى فلما أصبحت أمرت بخلوق فصرب لي وبقيت أرقب الوقت هائماً فلما كان وقت المساء جاءتني الجارية فسلمت عليّ وقالت

ياعمر هل رأيت ذلك الوجه قلت أي والله قالت أفتحب أن أريكه الثانية قلت اذاً تكوبين أنعم الناس عليّ منة قالت على الشرطة قلت نعم فاستخرجت المحرو محرتني به وقادتني حتى أتت بي المصرف فلما توسطته فتحت العصابة عن عينيّ فاذا أنا في مصرف فياح أحصر مدنّر محمرة معروش بحر أحمر واذا أنا بالشمس الصاحيـة قد أقبلت من وراء الستر كور الحمان فسلمت عليّ وقلت أنت عمر بن أبي ربيعة فتى قريش وشاعرها قلت أنا ذلك قالت أنت القائل

لعبَ العُرَابُ بَيْنَ ذاتِ الدُّمْلُجِ ... ليتَ العُرَابَ بَيْنَها لمْ يشحَجِ
ما زلتُ أتْبَعُهمْ واتبعُ عيسَهمْ ... حتّى دُفعتُ إلى رَبيبةِ هَوْدَجِ
قالتْ وعيشِ أخي وحُرْمةِ والدِي ... لأُسَبَّنَّ الحيَّ إنْ لمْ تَخْرُجِ
فثَنَتْ فاها آخِذًا بقُرُوبِها ... شُرْبَ النَّزِيفِ بِرَنْدِماءِ الحَشْرَجِ
فتناولتْ كفِّي لتعرِفَ مسَّها ... بمُخَضَّبِ الأَطْرافِ غيرِ مُشَنَّجِ

قال أنا قائلها ، قالت ياعدو الله أنت الذي فضحتها وهتك وجهي من وجهك حراك ان عدت اليّ ياحواري أحرجه فوثب اليّ الوصيف وأخرجني ودفعني الى الخارة فمحرتني وقادتني وقد كنت عند خروجي من مصرفي صررت يدي بالخلوق وأسدلت عليها ردائي فلما صرت الى باب مصرفها أخرجت يدي ووضعتها على جانب المصرف وسعا بنا فلما أصبحت تحدث بعلمائي وعبيدي ولي ألف عبد من أباق بحر المصرف الذي صرت فيه كيدا وكيدا فهو حر لوجه الله فلما كان في وقت المساء أتتني جارية سوداء فقالت قد عرف المصرف وهو لرملة أخت عبد الملك بن مروان فاغتممت واشتد غمي وأمرت بمصرفي فباع وصرت بحذاء مصرفها وكتبت بالخبر الى عبد الملك بن مروان فكتب اليها بالرحيل فركبت هودجها وركبت فرسي فراحها في عشر لعبيد وأشرف عليّ من هودجها ، فقال الك عني أيها الرجل قلت سلام أو قال خير ، فألقى لبعض جواريها ألقى اليه شيئا من قصبي فأخذه

وأنا أقول

فلا وأبيكَ ما صوّتَ الغواني ولا شربتُ التي هيَ كالفصوصِ
أردتُ برحلتي وأريدُ حظّاً ولا أكلَ الدّجاجِ ولا الخبيصِ
قميصٌ ما يُفارقُني حياتي أنيسٌ في المُقامِ وفي الشُّخوصِ

وجعلت أنزل ببرولها وأوكب بركوبها حتى كنا من الشام على ثلاث مراحل فاستقبلها عبد الملك في حاشيته فدخل اليها ، ثم قال : يا رملة ألم أنهك أن تطوفي بالبيت الا ليلا يحمك الحواري ويعنف الحواري الحدم ويحجب الحدم الوكلاء لئلا يراك عمر بن أبي ربيعة ، قالت والله وحياة أمير المؤمنين ما رآني ساعة قط خرج من عندها فمضى الا تصدى ، فقال : لمن المضرب قيل لعمر بن أبي ربيعة ، قال . علي به فأتيته بلا رداء ولا حذاء فدخلت عليه وسلمت عليه فقال يا عمر ما حملك على الخروج من الحجاز من غير إذني ، قلت : شوقا اليك يا أمير المؤمنين وسآمة الى رؤيتك فاطرق مليا ثم سكت ثم نكس رأسه ثم رفع رأسه فقال يا عمر هل لك في واحدة ، قلت : وما هي يا أمير المؤمنين ، رملة أروجكها . قلت يا أمير المؤمنين وان هذا لكائن ، قال . أي ورب السماء ثم السماء قد روجتك فادخل اليها من غير أن تعلم فدخلت عليها فقالت من أنت هداك الله فقد أمنت يا سيدتي أنا المعذب في الثلاث فارتحلت وأنا عندها فأنشأت أقول

نَوِّلي لقد نِلتُ الذي كنتُ أرتجي وأصبحتُ لا أخشى الذي كنتُ أحذرُ
فما كمثلي اليومَ كسرى وهرمزٌ ولا الملكُ النعمانُ مثلي وقيصرُ

فنزل معها فأحسن عيش وعطفة

* * *

محاسن الريب

الأصمعي ، قال أخبرني رجل من بني أسد أنه خرج في طلب إبل قد ضلت

فبينا هو يسير في بلاء وتعب وقد أمسى في عشية باردة ادرفعت له أعلام ، قال : فقصدت بيتا منها فاذا أنا بامرأة جميلة ذات جزالة فسلمت فردت عليّ السلام ، ثم قالت : ادخل فدخلت فبسطت لي ومهدت واذا في حجرها صبي أطيب ما يكون من الولدان فبينا هي تقبله اذ أقبل رجل أمام الابل دميم المنظر ضئيل الجسم كأنه نعرة دمامة واحتقاراً فلما بصر به الصبي هش اليه وعدا في تلقائه فاحتمله وحمل يقبله ويعديه ، فقلت : في نفسي أطنه عبداً لها فجاءني ووقف بباب الخيمة وسلم فرددت عليه السلام ، فقال : من سيدكم هذا فأحرته فجلس الى جانبها وجعل يداعبها فجعلت أنظر اليها تارة واليه أخرى أتعجب من اختلافهما كأنها الشمس حسنا وكأنه القرد قبحاً فجعل ينظرني ، وقال : يا أخا بني أسد أترى بحبا ، قلت : تقول أحسن الناس وجهاً وأقبح الناس وجهاً قليت شعري كيف جمع بينهما أخبرك كيف كان ذلك ، قلت ما أحوجني الى ذلك ، قال . كنت سابع اخوتي كلهم لو رأيتني معهم ظننتني عبداً لهم وكان أبي واخوتي كلهم أصحاب إبل وخيل وكنت من بينهم مطروحا لكل عمل دنيء للعبودية تارة ولرعي الابل أخرى فبينا أنا ذات يوم تحت مكتئب اذ صاحت لنا عير فتوجه اخوتي كلهم في طلبه فلم يقدروا عليه فأتوا أبي وقالوا ابعث فلانا يتشد لنا هذا البعير فدعاني أبي وقال اخرج فانشد هذا البعير ، فقلت : والله ما أنصفتني ولا سوك أما اذا الابل درت ألبانها وطاب ركوبها وأنتم حمامة أهل البيت أرماحها واذا مدّت سلالها فأنا ناعيها ، فقال قم يالكع فاني أراه آخر يومك فعدوت مقهوراً حانق الثياب حتى أتيت بلاداً لا أنيس بها فطفقت يومي ذلك أحول الطرف فلما أمسيت رفعت لي أبيات فقصدت أعظم بيت منها فاذا امرأة جميلة عليها السؤدد والجزالة فدنوت بالتحية وقلت انزل عن الفرس وأرح نفسك فأتتني بعشاء فتعشيت وقلت هذه تسحر مني وهول ما رأيت كالعشية أطيب ريحاً منك ولا أنظف ثوباً ولا أحسن وجهاً ، فقلت يا هذه دعيني وما أنا فيه فاني عبد في شغل شاغل فأنت عليّ ، فقالت هل لك أن تبيح عليّ السحت اذا نام الناس فأعراني والله الشيطان فلما سمعت من المرأة وجاءوها واخوتها فصحموا أمام الخيمة قد ووكرته رحلي ، قالت ومن أنت ، قلت الضيف ، قالت لا حيالك الله خرج عليك لعنه الله فعلمت أني لست

فيثني من أمرها فوليت راجعا فوائبني كلب لهم كانه السبع لايطاق فأراد أكلي فأنشب أنيابه في مدرعة صوف كانت عليّ وجعل يمزقني فرددتني القهقرى وتسور عليّ الخلاص فأهويت أنا والكلب من قبل عقبي في بئر فأحس الله اليّ أنه لاماء فيها فلما سمعت المرأة الواعية أنت بحبل فأدلته وقالت اربق لعبك الله فوالله لولا أنه يقتص أثري غداً لوددت أنها قطرك فاعتقت الحبل فلما كدت أن أتناول يدها قضى أن تهور ماتحت قدميها فاذا أنا وهي والكلب في قرار البئر بئر أيما بئر انما هي حفرة لاطيّ لها ولا مرقاة كأشد مابة سا عسا الكلب ينبح من ناحية وهي تدعى بالويل والثبور من ناحية وأنا مقبع قد برد جلدي على القتل من ناحية فلما أصبحت أمها فقدتها فلما لم ترها أتت أباها فقالت ياشيخ أتعلم أن ابنتك ليس لها أثر يحس وكان أبوها عالماً بالآثار تابعاً لها فلما وقف على شعير البئر ولى راجعاً فقال لولده نابيّ أتعلمون أن أختكم وسيفكم وكلبكم في البئر فبادروا كالسباع فمن بين آخذ حجراً وآخر سيفاً أوعصا وهم يومئذ يريدون أن يجعلوا البئر قبرى وقبرها فلما وقفوا على شعير البئر قال أبوهم ان قتلتم هذا الرجل طولتم هدمه وان تركتموه افتضحتم وقد رأيت أن أروحها اياه فوالله مايقدح لها في نسب ولا في حسب ثم قال لي أفيك خير فلما شممت روح الحياة وثاب اليّ عقلي ، قلت وهل الخير كله الا فيّ فهات احتكم ، فقال مائة بكرة وبكرة وجارية ، قلت قد ذلك وان شئت فاردد فأحرجت أولا والكلب ثانياً وأحرجت ثالثاً فأبيت أن ، قال لا ، أفاحت فأين البعير ، قلت أربع عليك أيها الشيخ فانه كان من الحسنة كيت وكيت ، قال افعل والله ولا أحدلك فدعا بالابل فأعدّ منها مائة بكرة وبكرة وسقاها مع جارية وعبد وأحدث منه هدم عبرة نفسها ، قال هي والله كذلك وحمار يصدق عن حديث روحه صدوق المهرة العربية سمعت لحامها ورعا قال لا أطاب بك حمار

ضره مساوى الريب

قال وقيل لحراش الاعرابي حدثنا بمض هنائك ، قال : خرجت في نفاء دود لي فدفعت في عشية شاتية الى أحية كثيرة فضافوا وحيوا ورحبوا فلما أردت النوم أقاموا فتاة لهم من موضع مبيتها وحملوني مكانها لئلا أتأذى بالغنم واتى لمضطجع اذا أنا بيد انسان يجاشني ويريد في الظلمة مؤاناتي فقعدت فاذا أنا برجل يمد يده ومعه علبة فيها أرب مشوية فأخذتها وحملتها في شيء كان معي ثم مد يده ثانياً فناولته يدي فأقعدني على عرهول كمثل الوتد فلم أعرمه ولم أره وحشة وحردت ماعدى وتناولت يده فأقعدته على مثل ماأقعدني عليه فعطس ورمى بلمحمة حركات عليه ووثب مدعوراً فعرت الابل وهاجت الغنم وكدت أعثى لما بي من الضحك وأخميت ماني وكتمته فلما أصبحت ركبت راحلتي ومعي اللمحمة والعلبة والأرنب فلما امتد الضحى اذا أنا بابل فأخذت نحوها فاذا شاب حسن الهيئة فسلمت فرد السلام ثم قال ان كان معك ماتأكل نصب من هذا الوطب فأخرجت العلبة فلما رآها عرفها وقال انك هو ، قلت وما هو ، قال صاحب البارحة ، قلت نعم ان كنت إياه ، قال الحمد لله الذي أتى بك لو لم تأت لطلبت اني أوسوس وذلك اني لصاحبة الستر عاشق ونعلم مافعلت وفعلت البارحة ولا نطيقت له حتى ابتلاني الله بك البارحة وجعلت أقول حسبي أقعدتني عليه أتراها تحولت رحلا واني لفي شك من أمري حتى أتاني الله بك فأكلت أنا وهو الأرنب وشربنا من اللبن وصرنا أصدقاء الاسمى ، قال أتى خالد بن عبد الله اعرابي فأضافه وأحسن اليه وبذل له بعض الدار فلما كان في بعض الليل أشرف عليه يتعاهد منه ما كان يتعاهد من صبيه فاذا هو قد دب على جارية وهو على بطنها فأعرض عنه فلما ذب الاعرابي ان فرغ وقام يمسح فرشاته بالحائط فصرسه عقرب فصاح واستغاث وأشرف خالد عليه وهو يقول

وداري إذا نامَ سُكّانُها ... تُقيمُ الحُدُودَ بها العقْرَبُ

إذا عَمِلَ النّاسُ عن دِينِهِمْ ... فإنّ عَقارِبَنا تَعْصَبُ

قال وكان أعرابي ضيفاً لقوم فنظر الى بقرة عجفاء فذهب اليها فاذا عجوز في حجر البقر تصلي فعاد الى فراشه ثم عاودها فنبح الكلب ثم عاد اليها فاذا القمر قد طلع فأنشأ يقول

لم يخلق الله خلقاً كنت أكرهه ... إلا العجوز وعين الكلب والقمر
هذا يصيح وهذا يستضاء به ... وهذه شيخة قوامة السحر

وقال وشرب سعيد بن حميد البصري عند راشد فدب على غلامه فكتب اليه سعيد

ما سمعنا من قبلها بأديب ... بارع الظرف ماجد قمقام
ضل عنه وهو المهذب علماً ... فتكات الكؤوس بالأحلام
أين ما جاء من حديث رسول الـ ... ـله مولاي سيد الحكام
ما على مثقل من النوم والسكـ ... ـران عيب فيما أتى من آثام
ثم أين الذي به حكم المأ ... مون في الظرف منه والإسلام
أيما ماجد أراد سروراً ... باجتماع من معشر الندام
فعليه طي الساط بما قد ... سنه السكر من قبيح ودام
خلت بيني وبين عقلي بأرطا ... لك والمترعات من كل عام
ثم وكلت في السوف رشيقاً ... فسقاني بظرفه والمدام
ثم باكرتني بعتبك واللو ... م لقد حذت عن سبيل الكرام
وتعصبت أني قدت عمراً ... ثم نيت بعده بعرام
هل رأيت الإله يأخذ نحو ... ك بسكر أو حالماً في منام
لن ترى معاشراً لك ما عشـ ... ـت ولو دمت عائشاً ألف عام

أو تُرَى تائباً وتَسْتَغْفِرَ اللـــــهَ لِمَا كانَ مِنْ شنيعِ الكَلَامِ

فأجابه راشد فقال

يا أبا جعفرٍ سَلِيلَ المَعالي ونَجِيبَ الأخوالِ والأعمامِ
إنْ يكنْ قد أتاكَ عنّيَ مَزْحٌ لم يَكُنْ عن حقيقةٍ في الكَلَامِ
أو أكنْ فيهِ كالذي كانَ يَعْدُو عَلَمٌ عليكَ في اللُّؤَامِ
إنني عالِمٌ بأنكَ لمْ تأْ تِ قبيحاً ولا ارْتِكابِ الإثامِ
هوَ ذنبُ المُدامِ لا ذنبُ خِلٍّ لمْ يَزَلْ حافِظاً لعَهْدِ الذِّمامِ
ثمَّ ذنبُ العُيونِ يا ابنَ حَمِيدٍ فلهُ الذَّنْبُ عَمْدَ إسْتِ غرامِ
تَعمَدَا في طريقِ أيرِكَ حتّى عَرَّضاهُ للطَّعْنِ والإتهامِ
فتَغَمَّدْ أخاكَ بالصَّفْحِ فالصفـــــحُ دَلِيلٌ على سَجايا الكِرامِ
إنني تائبٌ وأَسْتَغْفِرُ اللـــــهَ لِمَا كانَ مِنْ شَنِيعِ الكَلَامِ

ماقيل في ذلك من الشعر

فما أعيُنُ عَشْرٌ على ساقِ نَرْجِسٍ تُصاحِكُ عينَ الشَّمْسِ بالمُقَلِ الصُّفْرِ
بأحسنَ مِمَّنْ زارَني بعدَ هجعةٍ يَئِيسُ هَوَيْناً في الطَّلَامِ على ذُعْرِ

قال ودب رجل على فيه في مجلس فمنعت

ما ذا يُشَوِّشُ طَرْبَتي يا قومِ في وقتِ السَّحَرْ
ما دا يُعالِجُ تكَّتي وَيَلاهُ عَمْدي السَّهَرْ

وقال علي بن حمزة

مُتَوَرِّدُ الخَدَّيْنِ من خَجَلٍ مُتَحادِلُ الأعضاءِ من كَسَلِ

خاضَ الدُّجا والشَّوقُ يَحمِلُهُ وأتاكِ يَمشي غيرَ مُتَّئِلِ
ما راعني إلاَّ تَدَافُعُـــهُ كالغصنِ بينَ الصَّذرِ والكَفَلِ

وقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي

قالتْ وأبثَثْتُها سِرِّي وبُحْتُ بهِ قد كُنتَ عندِي تحبُّ السِّترَ فاستَتِرِ
ألستَ تُبصِرُ مَنْ حولي فقلتُ لها غطَّى هَوَاكِ وما ألقَى على بَصَرِي

* * *

محاسن الباه

حكى عن عالج جارية مكشوح أنها حدثت مولاتها أنها كانت تغتسل كل يوم فسألتها عن ذلك ، فقالت بإعدده أنه يجب على المرأة ما يجب على الرجل بعد احتلامه ، قالت أو تحتلمين ، قالت إنه لاتأتي عليّ ليلة لا أجامع فيها الا وأحتلم ، قلت فكيف يكون ذلك قالت أرى كأن رجلا جامعني ولقد رأيت ليلة كأني مررت بدكان أبي مالك الطحان ونخل له واقف قد أدلى ورمايي تحته وأولجه فاحتملت ثم انتبهت وأنا أجد معكة في مراقّ بطني ولذة في سويداء قلبي وكان هذا العمل اذا أدلى حبك الارض برأس أيره وضرب به في بطنه فترى العمار يتطاير عن يمينه وشماله ، قال وكانت مولدية مات حصير التعلية تقول ماقى بطن الرجل لصعة أحب الى المرأة من لصعة نشاط تعقد الخاصرين وتمرح الرجلين حدثني حتم ، قال قلت لامرأة من كل ماأحب الأشياء من الرجال لي اسمه قال مايكثر الاعداد ويريد في الاولاد حرية في علاف نشاط تحقوي رجل حف اذ عانس أوهى واذا جامع أحيى ، قال وقال أبو ثمامة لامرأة من رميد وهي تبكي عند قبر من الميت قالت كان يجمع بين حاجتي والسوق وهو في هر العمار لاسوق وولد ولا م ذكرتك ماانسهلت بالدموع عيناي وقد كدتك امرأة تبكي على روحها لغير ما عفتك .. قال وركب الرشيد حمارا مصريا وطاف على حواريه وهو يقول له وحدة سولاي ، كثر

ما تركب هذا الحمار ، قال لانه يسمى طيمور ، قالت فمن تسمى طيمور يركب ، قال نعم قالت فى حر أم طيمور ، قال فنزل وواقعها وأنشد فى مثله

نَظَرْتُ إليها حينَ مَرَّتْ كأنَّها ... على ظَهْرِ عادِيٍّ فَتاةٌ مِنَ الجِنِّ
ولي نَظَرٌ لو كانَ يُجْبَلُ ناظِرٌ ... بِنَظْرَتِهِ اثنى لقد حَبَلَتْ مِنّى

ضرره فى مساوى العنين

قال بعضهم تزوج العجاج امرأة يقال لها الدهماء بنت مسحل فلم يقدر عليها فشكت ذلك الى أهلها فسألوه فراقها فأبى وقال لأبيها تطلب لابنتك الماء ، قال نعم عسى أن ترزق ولداً فان مات كان فرطاً وان عاش كان قرة عين فقصدوه الى السلطان فأجله شهراً ثم قال

قد طَنَّتِ الدَّهْنا وطَنٌّ مِسْحَلُ ... أنَّ الأَميرَ بالقَضاء يُعْجِلُ
عَنْ كَسَلاتى والحِصانُ يُكْسَلُ ... عنِ السِّفادِ وهو طَرْفٌ هَيْكَلُ

ثم أقبل على امرأته وصبها الى صدره فقالت

تَنَحَّ لن تَمْلِكَني بِصَمِّ ... ولا بتَقْبيلٍ ولا بشَمِّ
إلاَّ بِرَعْزاعٍ يُسَلِّي هَمّي ... يَسْقُطُ منهُ فتخى فى كُمّي
يَطيرُ منهُ حَزَني وغَمّي

ان أبي الدنيا ان اعرابياً أخبره أن امرأة منهم رفت الى رجل فحبر عنها فتذاكر الحي أمر العذراء من الأزواج عن الماء وامرأة الاعرابي تسمع فتكلمت بكلام ليس في الأرض أعف منه ولا أدل على عجز الرجل عن النساء فقالت متمثلة

تَسْتَ المَطايا حائِداتٍ عنِ الهُدى ... إذا ما المَطايا لمْ تَجِدْ مَنْ يُقيمُها

الرقاشي ، قال حدثني أبو عبيدة قال سمعت ناساً من الخبراء يقولون تزوج رجل منا امرأة فعجز عنها الا أنه اذا لامسها ابتأر فيها فقضى أن حملت وما مكثت الا أن رأين ولدها فجلس في المجلس فقال له قائل لقد حشت من بلل قليل ، قال حشت من بلل لو أصاب مغيض أمك لكان كما قال الشاعر

رَطْبُ الطِّبَاعِ إِذَا حَرَّكْتَ جَوْهَرَهُ ... وَجَدْتَ أَعْضَاءَهُ غَرْقَى مِنَ البَلَلِ

ولمْ أُهَجِّنْهُ إِلاَّ أَنَّهُ رَجُلٌ ... قُلْتُ سَلاَمَتُهُ مِنْ جَانِبِ الكَمَلِ

الهلالي ، قال رأيت واقد بن عصام تسابر المهدي فحدثه بحديث فضحك ، فقلت له حدثني ما حدثت به المهدي ، قال سألني ماعندك للنساء ، فقلت ماهي عندي الا حديث ابن حرم ، قال وما حديثه ، قلت عُمِّرَ حتى باع الثمانين فتروح امرأة عم له فلما أهديت اليه قعد بين شقيها فأكسل وأراق على بطنها فأقبل عليها كالمعتذر ، فقال هذا خير من الزنا ، قالت كل ذلك لاخير فيه ، قال وشكت امرأة روحها وأخبرت عن محبره أنه اذا سقط عليها انطبق والنساء يكرهن وقوع الرجل على صدورهن فقالت زوجي عباءة طاقاء وكل داء له داء وقيل في ذلك

جَزَاكَ اللهُ شَرًّا مِنْ رَفِيقٍ ... إِذَا بَلَّغْتَ مِنْ رَكْبِ النِّسَاءِ

رَمَاكَ اللهُ مِنْ عِرْقٍ بِأَمْعِي ... وَلاَ عَافَاكَ مِنْ جَهْدِ البَلاَءِ

أَجَبْنًا فِي الكَرِيهَةِ حِينَ تَلْقَى ... وَنَعْظًا حِينَ تَغْتَرُّ فِي الخَلاَءِ

محاسن البيرون والمهرجان

قال الكسروي كان أول من أحدث البيرون وأمر بملازمته وعيد مهرجانا استخراج الفضة والذهب والمعدن واتخذ من الحديد آلات وذلل الحديد وسائر ما دون

واستخرج الدر وجلب المسك والعنبر وسائر الطيب وبنى القصور واتخذ المصانع وأجرى الأنهار كابنه كسرو بن أرويزجهان وتصيره حافظ الدنيا ابن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام وكان الأصل فيه أنه في النيروز ملك الدنيا وعمر أقاليم إيران شهر وهي أرض نائل فيكون النيرور في أول ما اجتمع ملكه واستوت أسنانه فصارت سنة وكان في ملكه ألف سنة وخمسين سنة ثم قتله البوراسف وملك بعده ألف سنة الى أفريدون ابن أثفيان وفيه يقول حبيب

وَكَأَنَّهُ الضَّحَّاكُ في فتكاتِهِ ... بالنَّالَمِينَ وأَنتَ أَفْرِيدُونُ

فطلب البوراسف وملك بعده ألف سنة وخمسين سنة وأسره بأرض المغرب وكبله وسجنه بجبل دنباوند واستوفى عدة ما كتب الله له من عمره واتفق لافريدون سجن البوراسف يوم السبت من مهرماه ومهرروز فسمي ذلك اليوم المهرجان فالنيرور يوم والمهرجان لافريدون والنيرور أقدم من المهرجان بألفي وخمسين سنة وقسم خم أيام الشهر وجعل الخمسة الأيام الأولى للأشراف وبعدها خمسة أيام نيرور الملك يهب فيها ويصل ثم بعدها خمسة أيام لخدم الملك وخمسة أيام لخواص الملك وخمسة لخدمه وبعدها خمسة أيام للرعاع فذلك ثلاثون يوماً واتخذ المهرجان أفريدون لما أسر البوراسف روزمهر وكان الملك اذا لبس زينته ولزم مجلسه في هذين اليومين أتاه رجل رصيّ الاسم مختار بالغ طلق الوجه ذاق اللسان فيقوم قبالة الملك ويقول أنا دليلي بالدخول فيسأله من أنت ومن أين جئت وأين تريد ومن سار بك ومع من قدمت وما الذي معك فيقول جئت من عند الأيمين وأريد الأسعدين وسار في كل منصور واسمي مُحمَّدة أقبلت مني السنة الجديدة وأوردت الى الملك بشارة وسلاماً ورسالة فيقول الملك ائذنوا له فيقول له انت أدخل ومع من يديه جواباً من قصة قد جمع في نواحيه أربعة أجزاء حب من أنواع الحبوب من البر والشعير والذرة والحمص والعدس والأرز والسمسم والماش واللوبيا وجمع من كل صنف من هذه الحبوب سبع حبات فجعل في جوانب الجوان ووضع في وسطه سبعة من قضبان الشجر التي يتعائل بها وناسه

ويتبرك بالنظر اليها كالخلاف والزيتون والسفرجل والرمان منها ما يقطع على عقدة ومنها على عقدتين ومنها على ثلاثة ويحمل كل قضيب باسم كورة من الكور ويكتب في مواضع ابرود وايزالد وابرون وبروار وفراخي وفراهيه تأويله زاد ويزيد وزيادة ورزق وفرح وسعة ويوضع سبع سكرجات بيض ودراهم بيض من ضرب سنته ودينار جديد وسفت من أسبيد ويتناول ذلك كله ويدعوا له بالخلود ودوام الملك والسعادة والعز ولا يؤامر يومه في شيء اشفاقاً من أن يبدو منه ما يكره فجرى على سنته وكان أول ما يقدم اليه سينية ذهب أو فضة عليها سكر أبيض وحوز هندي مقشر رطب وخامات فضة أو ذهب ومندي باللبن الحليب الطري منه قد أهتم فيه تمر طري فيتناول بالبارجيل تمرات ويخلف من أحب منه ويذوق ما أحب من الحلوى وكان يرفع في كل يوم من أيام البيرور ثلاثين أبيض وكان ممن يقيم باستدائه في هذا اليوم لقمة من اللبن الصرف الطري واللبن الطري وكان جميع ملوك فارس يتركون ذلك وكان يسرق له في كل يوم بيرور ماء في حرة من حديد أو فضة ويقول استرق هذا الأسعدين ويحمل الأيمن ويحمل في عنق الحرة قلادة من ياقوت حمر معلمة في سلك الذهب ممدود فيها حرز من زبرجد أخضر ولم يكن يسرق ذلك الماء الا الأنكار من أسافل دارات الأرحاء وسائح اهي فكان متى اجتمع البيرور في يوم ست أمر الملك لرأس الجالوت بأربعة آلاف درهم ولا يعرف له سبب أكثر من أن الستة حرت منهم بذلك فصارت كالحرة فكان يبقى قبل البيرور بخمسة وعشرين يوماً في بعض دار الملك اثنا عشرة اسطوانة من الذرع اسطوانة منها براً واسطوانة شعيراً وأخرى أرزاً وأخرى عدساً وأخرى دقي وأخرى قرطماً وأخرى دخنا وأخرى درة وأخرى لوبيا وأخرى حمصاً وأخرى سمسما وأخرى ماشاً ولم يكن يحصد ذلك الا نساء وترسم ولهو وكان يوم السدس من يوم البيرور و حصد البر في المحاش ولم يكسر الى رورهن من هذه فرورديز وكانوا يرعون هذه الحبوب للتفاؤل بها ويقال أجودها سنة وأشدها سنواء دليل على جودة ست مدرج منها في تلك السنة فكان الملك يترك بالبصر الى ست الشعير حصة فكان يوم يأمر بعض الملك يوم البيرور قوساً وحمس شرابه وساعل الملك قد عهد [illegible] أرجله

فكان فيما يغني بين يدي الملك عماه المخاطبة وأغاني الربيع وأغاني يذكر فيها أبناء الجبابرة ونوصف الأنواء وأغاني أفرين والخسروانى والماذراستانى والفهلد وكان أكثر ما يغنى العجم المهلد مع أيام كسرى أبرويز وكان من أهل مرو وكان من أغانيه مديح الملك وذكر أيامه ومجالسه وفتوحه وذلك بمنزلة الشعر في كلام العرب يصوغ له الألحان ولا يمضي يوم الا وله فيه شعر جديد وضرب بديع وكان يذكر الأغانى التى يستعطف بها الملك ويستميحه لمرازئته وقواده ويستشفع لمذنب وان حدثت حادثة أو ورد خبر كرهوا انهاءه اليه قال فيه شعراً وصاغ له لحناً كما كان فعل حين سقى مركوبه شديز ولم يجسروا على انهاء ذلك فغنى بها وذكر أنه ممدود في آربه مادّ قوائمه لا يعتلف ولا يتحرك فقال الملك هذا قد نعق اداً قال أنت قلت ذلك أيها الملك وكان يسطر بأشعاره أن يتكلم بالذي يكره عماله أن يستقبلوه به

(العلة فى صب الماء) ذكروا أن العلة في صب الماء أنه كان أول من تكلم في المهد قبل المسيح روبن طهماسب وكان مات أبوه على قحط شديد قد شمل الأقاليم فتكلم ودعا الله تبارك وتعالى فسقى الناس الغيث وأخصبت أرضهم وعاشت مواشيهم فجعلوا صب الماء فيه سنة ،،وقد حكى أيضاً عن أبى جعفر محمد بن علىّ بن الحسين صلوات الله عليه أنه قال في ذلك أن ناساً من بنى اسرائيل أصابهم الطاعون فخرجوا من مدينتهم هاربين الى أرض العراق فبلغ كسرى خبرهم فأمر أن يبنى لهم حظيرة يجعلون فيها لترجع أنفسهم اليهم فلما صاروا فى الحظيرة ماتوا وكانوا أربعة آلاف نفس ثم ان الله تبارك وتعالى أوحى الى نبي في ذلك الزمان ان رأيت مخارنة بلاد كذا فخبرهم عنى فلان فقال يارب كيف أخبرهم بهم وقد ماتوا فأوحى الله اليه أنى أحييهم لتخبرهم بهم وتعلم بعدوك فأمطر الله عز وجل ليلة صب الماء فأصبحوا أحياء فهم الذين قال الله تعالى فيهم (ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم) قال هؤلاء قوم أصابهم مجاعة من الأرز فخطوا رمالها فهربوا وأخذت بلدهم فعيشوا فى هذا اليوم برشة من مصر فعاشوا وأخصبت بلادهم فجعله الفرس سنة صنة لأنهم) قال كسرى يوم اربعا ومويوم العجم للصيد ويوم المطر للهو والشرب ،وقال

غيره يوم السبت يوم مكر وخديعة والأحد يوم غرس وبناء ويوم الاثنين يوم سفر وطلب ورزق والثلاثاء يوم حجامة والأربعاء يوم ضنك ونحس والخميس يوم الحج والجمعة يوم مسجد ونساء وكساء

(في البرد) سئل بعض الحكماء عن البرد إيه أشد ، فقال اذا أصبحت السماء نقية والأرض ندية والريح شامية

محاسن الهدايا

قال وكتب الناس في الهدايا فأكثروا من الكلام المنثور والشعر الموزون وكل يكتب ويقول بمقدار عقله وعلمه حتى قالوا أنها قرابة وصلة كالرحم الماسة والقرابة القريبة وكلحمة النسب وأكثروا من الشفيع لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم تهادوا وتحابوا ، وقيل الهدية تفتح الباب المصمت وتسل سخيمة القلب وروي عن عائشة أنها قالت اللطفة عطفة وتزرع في القلوب المحبة ، قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها ماهو خير منها وقال عليه الصلاة والسلام لو أهدي اليّ ذراع لقبلت ولو دعيت الى كراع لأجبت وقال عليه الصلاة والسلام الهدية ورق من الله عز وجل فمن أهدي اليه شيء فليقبله وقال صلى الله عليه وسلم نعم الشيء الهدية أمام الحاجة ما أرضى العطشان ولا أستعصف ولا أستميل الهاجر ولا تؤتي المحذور مثل الهدية والبر وقال الله عز وجل ﴿ وإني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون فلما جاء سليمان قال أتمدونني بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون ﴾ وروي أن عمالا لعليّ رضي الله عنه قدم من بعض الأطراف فأهدي الى الحسن والحسين سلام الله عليهما ولم يهد الى ابن الحنفية فقال متمثلا

وَمَا شَرُّ الثَّلاثَةِ أُمَّ عمرٍو ... بِصاحِبِكَ الَّذِي لاَ تَصْحَبِينَا

فأهدى العامل اليه كما أهدى الى أخويه وروى عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أن قوماً من الدهاقين أهدوا اليه جامات وصفة فيها الأحمصة فقال ماهذا قالوا يوم نيروز

فقال نيروزنا سكل يوم فأكلوا الخبيص وأطعم حلساءه وقسم الجامات بين المسلمين وحسبهالهم فى حراجهم ... وقيل ان حلساء المهدى اليه شركاؤه فى الهدية، والهدية تجلب المودة وتزرع المحبة وتنقى الصفينة وتركها يورث الوحشة ويدعو الى القطيعة والهدية تصير البعيد قريباً والعدو صديقاً والمبغض ولياً والثقيل خفيفاً والعبد حراً والحر عبداً وفيها قول الشاعر

مَا مِنْ صَدِيقٍ وَإِنْ أَبْدَى مَوَدَّتَهُ ... يَوْمًا بِأَنْجَحَ فِى الحَاجَاتِ مِنْ طَبَقِ
إِذَا تَقَنَّعَ بِالْمَنْدِيلِ مُنْطَلِقًا ... لَمْ يَخْشَ نَبْوَةَ بَوَّابٍ وَلَا غَلَقِ
لَا تُكْثِرَنَّ فَإِنَّ النَّاسَ مُذْ خُلِقُوا ... لِرَغْبَةٍ كُلَّمَا يُعْطُونَ أَوْ فَرَقِ

وقال آخر

إِذَا أَرَدْتَ قَضَاءَ الحَاجِ مِنْ أَحَدٍ ... قَدِّمْ لِنَحْوَاكَ مَا أَحْبَبْتَ مِنْ سَبَبِ
إِنَّ الْهَدَايَا لَهَا حَظٌّ إِذَا وَرَدَتْ ... أَحْظَى مِنَ الِابْنِ عِنْدَ الوَالِدِ الحَدِبِ

وقد قيل كل يهدى على قدره ... وذكروا أن سليمان بن داود عليهما السلام بينما يسير بالريح اذ أتى على عش قمرة فيها فراخ لها فأمر الريح فعدلت عن العش فلما نزل وافق يومه ذلك البيرور فجاءت تلك القمرة حتى رفرفت على رأس سليمان وألقت فى حجره جرادة فقيل له فى ذلك فقال كل يهدي على قدره ... وكان مما تهديه ملوك الأمم الى ملوك فارس طرائف ما فى بلدهم من الجمال الميلة والسيوف والمسك والخلود ومن تفت والصين المسك والحرير والسك والاوانى ومن السند الطواويس والببغا ومن الروم الديباج والبسط وكان القواد والمرازبة والأساورة يهدون الدثار والأعمدة المصمتة من الذهب والفضة والوراء والكتاب والخاصة من قرابتهم حاملات الذهب والفضة المرصعة بالجوهر وحملت الفضة الملوحة بالذهب والعظماء والأشراف البراذ والعقبان والصقور والشواهين والفهود والسروج والآلاتها وربما أهدى الرجل الشريف سوطا فقبله وكانت الحكماء يهدون الحكمة والشعراء الشعر وأصحاب الجواهر الجوهر وأصحاب سائح الدواب الفرس

الفاره والشهري النادر والحمار المصري والبغال الهماليج والطرقاء قرّبه الحرير الصيق محلوءة ماورد والمقاتلة القسي والرماح والدشاب والسياقلة والرادون نصول السيوف والدروع والجواشن والبيض والأسنة وكانت سوة الملك تهدى احداهن الجارية الماهدة والوصيفة الرائقة والأخرى الدرة النفيسة والجوهرة المثمنة وفص حاتم وما لطف وخف وأصحاب الرّ الثوب المرتفع من الحر والوشي والديباج وغير ذلك والسيارقة نقر الذهب والفضة وحامات الفضة مملوءة دنانير وأوساط الناس دنانير ودراهم من ضرب سنتهم مودعة أترجة أو سفرجلة أو تفاحة والكاتب واقف يكتب كل مهد وجائزة كل من يجيره الملك على هديته ليودع ذلك ديوان البريوز

ومن الهدايا التي لم يسمع السامعون بمثلها هدية اروبر الى ملك الروم بعقب محاربة بهرام جوبين وقد شارف الروم فأهدى رسولا يستجده وبعث اليه مائة غلام من أبناء الأتراك مختارين في صورهم وهوسهم في آدابهم أقرطة الذهب معلق فيها حب الدر على مراكب مسروج الذهب منظمة باليواقيت والزمرد وبعث معه بمائدة من عمل فتحها ثلاثة أذرع مكللة المستدار بالدر لها ثلاث قوائم من ذهب احداها ساعد أسد مع كفه والأخرى ساق وعل مع طلفه والثالثة كف عقاب في كف الاسد قوقه حصرا مومنى طلي الوعل ياقوتة حمراء وفي كف العقاب قبحة من اللازورد عيناها قوقتان حمراوتان تتوقدان حمرة وفي وسط المائدة حمام من حزع يماني ومحر فتحه شعر في شعر نموه يواقيت حمر وسمط ذهب فيه مائة درة كل درة مثقال ومائة لؤلؤة كل لؤلؤة مثقال ومائة خاتم من ذهب مرصع بالجوهر مشبك الأعلى حشوه مسك وعنبر ووصل رسل اروبر الى ملك الروم بهذه الهدية فأنجده وأرسل اليه عشرين ألف فارس بالسلاح شاكي وبعث اليه بألفي ألف دينار لارزاق جنده وألف ثوب ممسوح وعشرين حرة من سبات مملوءة بالصقالبة بأقبية الديباج المطير في آدابهن أقرطة الذهب الرنينة بالدر والياقوت وعلى رؤسهن أكاليل الجوهر وأهدى اليه عشرين مركبا على كل مركب ضيب تحت كل ضيب ألف فارس وألف بردون وألف شهري وألف بغلة وألف نجيب مسروج مدهمة وأكف مذهبة ولجم من ذهب مصوغ وبرادع مدهمة وحلال وبراقع ديباج ممسوح

بالذهب واللؤلؤ وأوقر البغال من السندس والاستبرق والذهب واللؤلؤ وبعث اليه بساحة حريب أرض من ذهب فيه نحل من ذهب سعفه الزمرد وطلعه اللؤلؤ وثمارنخله الياقوت الأحمر وكربه الحزع وبعث اليه ألف ألف لؤلؤة كل لؤلؤة بألف دينار وبعث اليه ألف ألف دوهم مثاقيله ألف ألف دينار خسروانى وأتى به واعتذر اليه من التقصير فقابله ملك الروم عامه المقبل يوم البيروز فارس من ذهب على شهرى من فضة عيا الشهرى جزع أبيض محدق بسواد وناصيته وعرفه ودنبه شعر أسود بيد الفارس صولجان من ذهب والى جانبه ميدان من فضة في وسط الميدان كرة عقيق أحمر يحمل الميدان ثوران من فضة والشهرى يسول الماء فاذا مال انحط الصولجان على الكرة فمر بها الى أقصى الميدان فتحرك بحركتها الثوران والميدان ويركض الفارس على نحل تحت جواهر الشهرى ،،فأما أهل الاسلام فلم يسمع بمثل هدية حسان السطى الى هشام بن عبد الملك فانه أهدى اليه والى أمهات أولاده هدية كثيرة من الكساء والعطر والجوهر وغيرها فاستكثرها هشام وقال بيت المال أحق بهذا ثم أمر فودي عليها فباعت مائة ألف دينار فبعث حسان أثمانها وقال يا أمير المؤمنين قد طابت الآن هذه مائة ألف دينار تحمل الى بيت المال فأقبل هديتي فقبلها ونادى على مناديه حسان سيد موالي أمير المؤمنين قدطابت الآن هذه،، واستملح المأمون من أبي سلمة ذكر هدية لطيفة قال أهدى الى أمير المؤمنين حوانا من حزع ميلا في ميل فقال المأمون أو قصت الهدية قيل نعم قال أهي في داري أم داري فيها قال بل هي في منديل فدعا بمنديله فاذا حوان من حزع عليه ميل من ذهب قد صنع من مائة مثقال بطول الحوان وعرضه فاستملحه وقبله ،،وأهدت أسماء بنت داود الى أسماء بنت المنصور مائة مركن من فضة فيها أنواع الفواكه والريحان المغيب ومائة حصة مطيبة وأنواع من الأطعمه والأشربه وعشراً من الوصائف في قد واحد فقومت هديتها فبلغت خمسين ألف دينار ،، وبعث الحسن بن وهب الى المتوكل بحمام من ذهب فيه ألف مثقال من العنبر وكتب اليه

يا إمامَ الهُدَى سُمْتَ منَ الدَّهـــــر بِرُكْنٍ من الإله عزيزِ

وبظلٍّ مِنَ النَّعيمِ مَديدٍ ... وبحرٍ مِنَ اللَّيالي حَرِيزِ
لاتَزَلْ ألفَ حِجَّةٍ مِهرَجانٍ ... أنتَ تُفضي بهِ إلى النَّيْرُوزِ
ونعيمٍ ألَذَّ مِنَ نظرِ المَـ ... ـشوقِ مِن تَعدِ نَوَةٍ ونُشوزِ

قال خالد المهلبي أهديت الى المتوكل في يوم مهرجان ثوب وشي منسوج بالذهب ومشمة عبر عليها فصوص جوهر مشبك بالذهب ودرعاً مصاغة وحشية بجور نحو القامة وتوبا بغداديا فأعجبه جميعه ثم دعا به فلبسه ، وقال يا مهلبي ما لبسته لأسرك به فقلت يا أمير المؤمنين لو كنت سوقة لوجب على الشيطان بعلم الفتوة منك فكيف وأنت سيد الناس ، وأحسن من جميع ما تقدم ذكره قول عبد الله العباسي والي الحرمين فانه قال هذا يوم يهدى فيه الى السادة والعظماء ولو أحب أن أهدي الى سيدي لأكثر ثم دعا بعشرة آلاف دينار فقسمها على أهل الحرمين فكانت فكرته في هذا أحسن من فعله

(التلطف في الهدايا) كتب سعيد بن حميد الى بعضهم أنس لك والمل منك غير أني كرهت أن أحلي هذا اليوم من سنة فأكون من المقصرين أو أدعي أن في ملكي ما يبقى بحقك فأكون من الكاذبين وقد وجهت اليك بالسمرجل لحلاوته والسكر لحلاوته والدرهم لنفاقه والدينار لعزه فلا زلت حليلا في العيد رميداً في القلوب حبوباً لاخوانك كحلاوة السكر عزيزاً عند الملوك لاتحصى أمنيتهم الا بك ولا زلت نفاقك كنفاق الدرهم ..وأهدى احمد بن يوسف الى ابراهيم بن المهدي وكتب اليه الامر أعزك الله تسهل سبيل الالطفة في البر فأهديت هدية من لايجتشم الى من لاتعتم مالا فلا أكثره تحجماً ولا أقله ترفعا

(هدايا السرور) قال كتب الحسن بن وهب الى المتوكل في يوم سرور يسره ترفعة أسعدك الله يا أمير المؤمنين بكر الدهور وتكامل السرور وبرسك في اقبال يزيد وسعد بمن خلافك الآمال وخصك بالمزيد وأبهجك بكل عيد وشد بك أزر التوحيد ووصل

لك بشاشة أزهار الربيع المونق طيب أيام الخريف المغدق وقرب لك التمتع بالمهرجان والنيروز بدوام ببهجة ايلول وتموز وبمواقع تمكين لايحاوره الأمل وغبطة اليها نهاية سارب المثل وعمر بسلائك الاسلام وفسح لك في القدرة والمدة وأمتع برأفتك وعدلك الأمة وسربك العافية وردائك السلامة ودرعك العز والكرامة وحمل الشهور لك بالاقبال متصدية والأرسة اليك راعة منشوقة والقلوب نحوك سامية تلاحظك عشقا وترفرف نحوك طربا وشوقا وكتب في آخره

فِدَاكَ الزَّمانُ وأهلُ الزَّمانِ ... إمامَ الهُدَى بكَ مُستبشِرينا
قد ألقوا إليكَ مقاليدَهُمْ ... حميماً مُطيعينَ مُستوْسِقينا
ولا زِلتَ زَيناً لأعيادِنا ... وللدِّينِ كَهفاً وحِصناً حَصينا
يَعِزّ بدَولتِكَ الصَّالحونَ ... ويَشقى بكَ الشِّركُ والمُشركونا
فيا رُبَّ مُشكلةٍ أزرَقتْ ... فجلَّتها السَّيفَ حقاً يقينا
بصِدقِ عَزيمةِ مُستبصِرٍ ... وضَربٍ يقُدُّ الطُّلى والمُتونا
وَسَمْتَ النَّصارَى بشيطانِها ... ودَلَّلتَ منها الأغرَّ البَطينا
وكَمْ فعلةٍ لكَ في المُشركينَ ... أقرَّتْ عُيوناً وأبكَتْ عُيونا

وكتب آخر

المِهرَجانُ لنا يومٌ نُسَرُّ بهِ ... يومٌ تُعظِّمُهُ الأشرافُ والعَجَمُ
وأنتَ فيهِ لنا بَدرٌ يُضيءُ كما ... أنَّ السَّماءَ بَدرِ اللَّيلِ تبتسِمُ

وكتب آخر

عيدٌ جديدٌ وأنتَ جِدَّتُهُ ... يا مَنْ بهِ للزَّمانِ تجديدُ
لا زالَ طَولَ الزَّمانِ يَرجعُهُ ... وطِلُّ ملكٍ عليكَ ممدودُ

وقيل للمازني أي هؤلاء أظرف في شعره الذي يقول

جُعِلْتُ فِداكَ للنَّيْرُوزِ حَقٌّ ... فأنتَ عليَّ أعظَمُ منهُ حقّاً
ولو أهديتُ فيهِ جميعَ مُلْكي ... لكانَ جَليلُهُ لكَ مُستَدَقّاً
فأهدَيتُ الثَّناءَ بنَظْمِ شعرٍ ... وكُنتَ لِذاكَ مِنّي مُستَحِقّا

أم الذي يقول

دَخَلْتُ السُّوقَ أبتاعُ ... وأستَطرِفُ ما أُهدِي
فما استَطرَفتُ للإهدا ... ءِ إلاَّ طَرَفَ الحَمْدِ
إذا نحنُ مَدَحْناكَ ... وَعِينا حُرْمَةَ المَجْدِ

أم الذي يقول

وكَمْ مِن مُرْسِلٍ لكَ قد أتاني ... بما يُهْدِي الخَليلُ إلى الخَليلِ
فأظهَرْتَ السُّرُورَ وقلتَ أهلاً ... وسَهْلاً بالهَدِيَّةِ والرَّسُولِ

فعال أشعرهم حبيهم وأشرفهم الذي يقول

فواللهِ لا أَهدَيتُ أُهدِي شَوارِدَ ... إليكَ يَحمِلْنَ الثَّناءَ المُبَجَّلا
ألذَّ مِنَ السَّلْوَى وأطيَبَ نَفْحَةً ... مِنَ المِسكِ مَفتوقاً وأسرَعَ حَمْلا

وبعث سعيد بن حميد الى احمد بن أبي طاهر قارورة مورد وكتب اليه

ورائِرَةٍ حُورِيَّةٍ فارِسِيَّةٍ ... كَسِرْحِيبِ حادٍ يومَ أعيَى الصَّدَرِ
تَرُدُّ رَبيعاً في مَصيفٍ بنَفْحَةٍ ... إذا فَقَدَتْ وَرْدَ الثُّوَيْءِ نَوْرَدِ
حكَى نَشْرُها مِسْكَ الخَلائِقِ نَشْرَهِ ... كَنَشْرِ نَسيمِ الرَّوضِ في جَنَّةِ الخُلْدِ
وشَبَّهْتُها في صَفْوِها بِصِفاتِهِ ... لإخوانِهِ في القُرْبِ مِنهُ وفي البُعْدِ

وأهدت لنا منه النسيم نسيمه وإن كان إن حالت يدوم على عهدي

وعن اسحاق بن ابراهيم الموصلي ، قال دار كلام بين الأمين وبين ابراهيم بن المهدي ، قال فوجد عليه الأمين فهجره فوجه اليه ابراهيم بوسيعة معية مع عبد هندي فأبى الأمين أن يقبلها فكتب اليه

هتكت الضمير بردّ اللطف وكشفت هجرك لي فانكشف

فإن كنت تحقد شيئاً مضى فهب للخلافة ما قد سلف

وجد لي بعفوك عن زلتي فبالفضل تأخذ أهل الشرف

فرضي عنه ودعاه للمسامرة

(هدايا الصيد) قال ابن حمدون النديم اقتنص المأمون فأهدى اليه ابراهيم بن المهدي جارية معها عود ورقعة فيها

عفوت وكان العفو منك سجية كما كان معقوداً بمفرقك الملك

فإن أنت أتممت الرضى فهو المنى وإن أنت جاريت المسيء فذا الهلك

فقال المأمون حرف الشيخ يوم مثل هذا يذكر الثواب والآخرة فلم يقبل الوسيعة واغتم ابراهيم وكتب اليه مع الوسيعة

لا والذي تسجد الجباه له ما لي بما دون ثوبها خبر

ولا بها ولا هممت بها ما كان إلا الحديث والنظر

فقبل المأمون بعد الآن أعذارها فقبلها . وقال أبو القاسم بن أبي داود كنت عند احمد ابن محمد العلوي وقد اقتنص فتح بعض الخدم ومعه طبق من فضة عليه تفاح طيب مكتوب حواليه بالذهب

يا عذاة بوجهك اللعب وجرى بيمن صيدك الطرب

وتداعتِ الميدانُ في زَجَلٍ وتناولتْ راحاتِها النُّخَبُ
فاشرَبْ بهذا الجامِ يامَلِكي شُرْبًا حثيثًا إنهُ عجَبُ
واجعلْ لِمَنْ قد خفَّ في لَطَفٍ منْ زَوْرِهِ يخشى ويرتقبُ

فقال للخادم احرجها الى السنارة فرحت وخلا ليلته بها ، وقيل اقتصد المعتصم فاهدت اليه شمائل صبية عقيق عليها قدح أسل عليها منديل مطيب مكتوب عليه بالعنبر في كل ربع منه بيت شعر

خضَبَ الخليفةُ كفَّهُ من فصدِهِ بدمٍ يحاكي عبرةَ المُشتاقِ
تاهَ العصادُ فما يُقامُ لتيهِهِ إذ صارَ مفتصدًا أبو إسحاقِ
وتواعتِ الميدانُ عندَ حضورِهِ قُبَّ البطونِ ذَوابلَ الأعناقِ
مَلِكٌ إذا حطَرَ الشرابُ بمالِهِ لَبِسَ السُّرورُ غلائلَ الإشراقِ

فلما قرأه أمر باحضار اسحاق بن ابراهيم الموصلي وأمره أن يعمل له لحنا وأمر مسروراً باحراجها من وراء السنارة ثم لم يزل اسحاق يردد هذه الأبيات حتى أحكمتها شمائل وغنت فكأن سمط الدر يتناثر من فيها وأمر لاسحاق بمائة وعشرين بدرة وخمس وعشرين وخمسة آلاف دينار ، المبرد قال أهدى اليزيدي الى الرشيد يوم فصد خمسة قدور وسبعمائة عالية وكتب اليه ياأمير المؤمنين تفاءلت في الشرب في الجام بخمسة أنس ودواء الأنس والعالية للعلو في السرور والازدياد من الخير والحبور وقلت

دمُ الفصدِ من يدِكَ العاليه يُداعي لجسمِكَ بالعافيه
كساكَ الدهرَ توبًا من الأفراحِ بديعَ الطرازينِ والحاشيه
وعصفرَ صفحةَ وجهِ الربيعِ بصبغٍ من أسراوهِ الجاريه
فكمْ روضةٍ نشرتْ وشيها وزهرةِ روضٍ غدتْ راهيه

إمامٌ أسالَ دَمَ المكرُماتِ فشجَّ أقفاهَا الحاميَه
فلا زالَ في عيشةٍ راضيه ودامتْ لهُ النِّعمةُ الكافيه

قال البزيدي افتصد المأمون فأهدت اليه رياح أترجة صفر عليها مكتوب بماء الذهب

تعالجَ مَنْ هويتُ بفصدِ عرقٍ فأضحى السُّقْمُ في خلعِ الخضوعِ
وجاءتْ تحفةُ الألبابِ تسعى بوَرْدٍ فائضٍ فيضَ الدُّموعِ

فقال المأمون للبزيدي ويحك ما تقول فيمن كتب هذين البيتين قال يكافأ بالدنيا وما استدق منها فأمر لها بمال كثير ووصلي بعشره ، قال وافتصد عبدالله بن طاهر فأهدى له أبو دلف جميع ما أصاب في السوق من الورد وكتب اليه

تضاحكَ الوردُ في وجهي فقلتُ لهُ لِمْ ذا فقالَ أبو العبَّاسِ مُفتصِدُ
فقمتُ أطلبُ ما أهديهِ من طُرَفٍ للمَصدِ في السُّوقِ حتى خانني الجلَدُ
يومُ الفصادِ لهُ أزرٌ مطيَّبةٌ محجوبةٌ لا يراها الجَرْدُ والوَرَدُ
فاشربْ على الوردِ مسروراً بطلعتهِ يا ابنَ الكرامِ فأنتَ السيِّدُ النجدُ

قال عمرو بن بانة اعتل المعتصم فأشار عليه بحتيشوع بالفصد وأنا عنده فأحرجت اليه هدايا الفصد وكان فيما أخرج طبق مسدل مكتوب عليه بخرع كما يدور عليه شمامات مسك وعنبر فأمر بقراءة ماعليه فاذا هو

فصدَ الإمامُ لعلَّةٍ في جسمهِ فشفى الإلهُ السُّقْمَ بالفَصْدِ
وجرى إلى الطِّسْتِ السقامُ مبادراً وجرى الشفاءُ إليهِ بالسَّعْدِ
يا مالكاً ملكَ العبادِ بجودهِ إسلَمْ سلِمْتَ لعيشةٍ رَغَدِ

فقال يا عمرو من يومي على حب هذه الجارية والله ما أراها الا تزايدت في عيني وحاق أن تحب من لها هذا مبلغه علما وكانت آثر جواريه عنده واحظاهن لديه

..وأخبرنا ابراهيم القاري قال كنت عند المأمون فاحتاج الى الفصد فقال له الاطباء البرد بادر فقال لابد لي منه فصدوه فلما كان وقت الظهر حضروا فراموا فتح العرق فاذا هو قد التحم فشدوا الرباط وعيهم ميحايل فلما ظهر الدم قال لهم المأمون عقرتموني خلوا الرباط وعلى رأسه بختيشوع وابن ماسويه فقال ماتقولون . قالوا ماندري ماتقول . قال فأشاروا هنالك أن حلاقة الحديمة ربما أدهشت الحاذق بالصناعة والمتقدم في الرياسة فاعتزلوا ناحية وأطلقوا عليه فقال لاسود كان على رأسه ادن فمص الجرح فعمل فثار الدم فقال ادع هؤلاء الحاكة فخاؤا وشهدوا خروج الدم . قال أين كنتم . قال ابن ماسويه لو فعل حاليوس مازاد عليه .. قال واقتصد احمد بن عيسى بالري وهو أميرها فكتب اليه جعفر الشيباني

فَصَدْتَ بِأَرْضِ الرَّيِّ طَابَ لَكَ الْفَصْدُ ... وَفَارَقَ سَخْمَ النَّحْسِ طَالِعُكَ السَّعْدُ
فَأَعْقَبَكَ الْحُسْنَى الَّتِي لَا مَدَى لَهَا ... وَلَا زَالَ بُرْدَيْكَ الْحَلَالَةُ وَالْحَمْدُ
تَوَرَّدَتِ الدُّنْيَا بِفَصْدِكَ مِثْلَ مَا ... بِفَصْدِكَ يَا ابْنَ الْمُصْطَفَى مُنْحِكَ الْوَرْدُ
فَلَا أَبْصَرَتْ عَيْنَاكَ مَا عِشْتَ شَانِيًا ... وَمِنْ كُلِّ مَا تَهْوَاهُ لَا خَابَكَ الْعَهْدُ

وفي مثله

يَا فَاصِدًا مِنْ يَدٍ جَلَّتْ أَيَادِيهَا ... وَنَالَ مِنْهُ الَّذِي يَرْجُوهُ رَاجِيهَا
يَدُ النَّدَى هِيَ فَارْفُقْ لَا تُرِقْ دَمَهَا ... فَإِنَّ آمَالَ طُلَّابِ النَّدَى فِيهَا

قال وكتب الحمدوني الى الفضل بن جعفر وقد افتصد

أَلَا يَا طَبِيبَ الْفَصْدِ هَلْ أَنْتَ عَالِمٌ ... تَاصَّتَ كَمَالَكَ فِي كَفِّ ذِي الْمَجْدِ
أَسَلْتَ دَمًا مِنْ سَاعِدٍ يَنْتَمِي بِهَا ... حَيَاةَ نَدَى هَا فَصْدُ نَذْرِعِكَ فِي الْفَصْدِ
فَدَاوَيْتَ كَمَّا تَعْلَمُ النَّاسُ أَنَّهَا ... دَوَاءٌ مِنَ الْأَعْلَالِ فِي الزَّمَنِ النَّكْدِ
وَلَمَّا أَتَانَا الْمُخْبِرُونَ بِفَصْدِهِ ... أَرَدْتُ بِأَنْ أُهْدِي عَلَى نَذْرِ مَا عِنْدِي

وشاورتُ فاستصحبتُ آلي وجيرتي ... فلم أرَ أمرى من ثناءٍ ومن حمدِ

وقال آخر

تُوثِّقُ من ثنائك في الهدايا ... غداةَ أردتَ قصدَ الباسليقِ
فلم أرَ كالدعاء أتمَّ نفعاً ... وأجملَ في مكافاةِ الصديقِ
وأكثرتُ الدعاء وقلتُ ربي ... يقيكَ شرورَ آفاتِ البروقِ

وقال آخر

على طيبِ أيامِ الصِّبا بالورد ... قصدتَ فأصحتَ السلامةَ في القصدِ
ولا زلتَ لا زالتْ من اللهِ أنعمٌ ... عليكَ تَرِفُّ العيشَ مُنتظمَ العقدِ
لقد رُمتُ جهدي طُرفةً وهديةً ... إليكَ فكانَ الشكرُ أكثرَ ما عندي

وقال آخر

أيُّها الفاضلُ العليلُ الصحيحُ ... بأبي ذلكَ الجناحُ الجريحُ
إنْ مَنْ علقَ الذراعَ من القصـ ... ـد إلى الجيدِ ذاكَ شيءٌ مليحُ
أيُّها الفاضلُ الذي فاقَ بالورْ ... دِ وفي نوجتيهِ وردٌ يلوحُ

وقال آخر

أيُّها السيدُ الذي قصدَ الورْ ... دَ وأرخى حوليْ ذيولَ السرورِ
كم تمنيتُ أنْ أكونَ طبيباً ... ومنى الصبِّ تُرَّهاتُ الغرورِ

وقال آخر

أحسنتَ حُمِلتَ فداكَ بالحلدِ ... وامتنَّ عليَّ بأجملِ الردِّ
لو عاينتْ عيناكَ مضطرَبي ... وتفرُّدي بالمدِّ والشدِّ

وتخشى عند الطبيب كأنه ... مولى يريد عقوبة العبد
كالنار مبضعه يقلبه ... ويديره مقلة حازم جلد
حتى اعتزمت على مجازته ... وصددت عنه أيما صدد
ما كان من ألم شعرت به ... إلا كموقع شرطة الجلد
إذ سال منبعثا سوابقه ... كالنار خارجة من الزند
فسلمت والرحمن سلمني ... ذو المن والآلاء والحمد
ما بعد طباخي لمفتخر ... فخر لمن قبلي ومن بعدي
نصب القدور بنفسه كرما ... لنصيب شهوتنا على عمد
فأجاد صنعتها وعجلها ... من غير ما تعب ولا جهد
ونبيذنا صاف ومجلسنا ... في الطيب يحكي جنة الخلد
فهلم واحضر غير محتشم ... واجعل غداءك سيدي عندي
لا تجمعن علي محتسباً ... ضعف العليل ووحشة الفرد

محاسن الوصائف المغنيات

قال الأصمعي ،، بعث إليّ هرون الرشيد وهو بالرقة فحملت اليه فأنزلني الفضل بن الربيع ثم ادخلني عليه وقت القيلولة فاستدناني وقال : يا عبد الملك وجهت اليك بسبب جاريتين اهديتا إليّ وقد أخذتا طرفا من الأدب احببت ان تبرز ما عندهما وتسبر على الصواب فيهما ثم أمر باحضارهما فحضرت جاريتان ما رأيت مثلهما قط فقلت لاحداهما ماعندك من العلم ، قالت : ماأمر الله في كتابه ثم مايسطر فيه الناس من الأشعار والأخبار فسألتها عن حروف القرآن فأحاطت كأنها تقرأ في كتاب الله ثم سألتها عن الأشعار والأخبار والنحو والعروض فما قصرت عن جواب في كل من أحدث فيه فقلت لها : فانشدينا شيئاً ،، فأنشدت

يا غِيَاثَ البِلَادِ فِي كلِّ مَحْلٍ ... ما يُرِيدُ العِبادُ إلاَّ رِضاكَ
لاَ ومَنْ شَرَّفَ الإمامَ وأعلى ... ما أطاعَ الإلهَ عَبْدٌ عَصاكَ

فقلت : يا أمير المؤمنين ما رأيت امرأة في سنك رحل مثلها وحضرت الأخرى فوجدتها دونها فأمر أن تُصنع تلك الجارية لتحمل اليه في تلك الليلة ثم قال لي: ياعبد الملك انا صجر واحب أن تسمعني حديثاً مما سمعت من أعاجيب الزمان فرح به . فقلت : يا أمير المؤمنين كان لي صاحب في بدو بني فلان وكنت أعشاه وأتحدث معه وقد أتت عليه ست وتسعون سنة وهو أصحّ الناس دهناً وأقواهم بدناً فمت عنه ثم أتيته فوجدته باحد البدن كاسف البال فسألته عن سبب تغيره فقال : قصدت بعض القرابة فالفيت عندهم جاريه قد طلت بالورس بدنها وفي عنقها طبل تنشد عليه

مَحاسِنُها سِهامٌ لِلمَنَايا ... مُرَيْشَةٌ بأنواعِ الخُطُوبِ
تَرَى رَيْبَ المَنُونِ بِهِنَّ سَهماً ... تُصِيبُ بِنَصْلِهِ مُخَّ القُلُوبِ

قِفي شَفَقَ من مَوْضعِ الطَّبْلِ تَرْتَمي كما قد أَبَحْتِ الطَّبْلَ في جِيدِكِ الحَسَنْ
هَبِيني عُوداً جَوْفُهُ تَحْتَ مَتْنِهِ يُغَنِّي ما بينَ نَحْرِكِ والذَّقَنْ

فلما سمعت شعري رمت بالطبل في وجهي ودخلت الخيمة فوقفت حتى غيبت الشمس على مفرق ولم تخرج فانصرف قريح القلب فهذا التغير من عشقها ، فضحك الرشيد حتى استلقى وقال : ويلك ياعبد الملك ابن ست وتسعين يعشق . فقلت : قد كان هذا ، فقال : يا عباس اعط عبد الملك مائة ألف درهم وردّه الى مدينة السلام . فانصرفت ثم أتاني خادم فقال : انا رسول ابنتك — يعني الجارية — تقول لك ان أمير المؤمنين قد أمر لها بمال وهذا نصيبك ، فدفع اليّ ألف دينار ولم تزل تواصلني بالبر الواصل حتى كانت فتنة محمد وانقطع خبرها وامر الفضل لي بعشرة الآف درهم .

على ذكر الجهم ، لما افضت الخلافة الى المتوكل أهدى اليه الناس على أقدارهم فاهدى اليه ابن طاهر جارية أديبة تسمى قبيحة تقول الشعر وتلحنه وتحسن من كل علم أحسنه فخلت من قلب المتوكل محلا جليلا فدخلت يوما للمسامرة وخرج المتوكل وهو يضحك وقال : يا علي دخلت فرأيت قبيحة قد كتبت على خدها بالمسك حمرة فما رأيت أحسن منه فقل فيه شيئا ، فسقتني محبرة وأحدت عودها فغنت

وكاتبة بالمِسْكِ في الخَدِّ جعفَرا بمشيَ خطِّ المِسْكِ من حيثُ أثَّرا
لَئِن أَوْدَعَتْ سَطْراً من المِسْكِ خدَّها لقد أَوْدَعَتْ قلبي من الوَجدِ أَسْطُرا
فيا مَنْ لمملوكٍ يَظَلُّ مَليكُهُ مُطيعاً له فيما أسرَّ وأَجْهَرا
ويا مَنْ لعيني من رَأَى مثلَ جعفَرٍ سَقَى اللهُ صوبَ المُكْرِماتِ لجعفَرا

قال فقلت خواطري حتى كأني ما أحسن خبره من الشعر وقلت للمتوكل . قل فقد والله غلب على دهني فلم يزل يغيرني به ثم دخلت عليه للمسامرة بعد ذلك فقال : يا علي أعلمت اني قد عاقبت محبرة وأمرتها باروم مقصورتها وسمعت أهل العصر من كلامها ، فقلت ما سيدي ان عاقبتها اليوم فسامحها غدا فدخلت عليه من الغد فقال :

ويحك يا علي" رأيت البارحة في النوم كأني صالحت محبوبة ، فقالت جاريته ، شاطر يا سيدي لقد سمعت الآن في مقصورتها هيمة فقال . انظر ما هي ، فقام حافياحتى وصلها مقصورتها فاذا هي تقول

أدُورُ في القَصْرِ كي أرَى أحَدًا ... أشكو اليهِ فلا يُكَلِّمُني
فمَنْ شَفِيعٌ لنا إلى مَلِكٍ ... قد زارَني في الكَرَا يُعاتِبُني
حتّى إذا ما الصَّباحُ عادَ لنا ... عادَ إلى هَجرِهِ فَفارَقَني

فصفق المتوكل طربا فلما سمعته حركت تقبل رجليه وتضرع خدها في التراب حتى أخذ بيدها راضيا عنها ،، حدث ابو علي" بن الاسكري المصري ــ واسكر هي القرية التي ولد فيها موسى عليه السلام ــ قال : كنت من جلاس تميم بن تميم ومن يخف عليه فأتي من بغداد بجارية رائعة فائقة الصناعة فغنت بحلسائه وقدمت الستارة فغنت

وبَدَا لهُ مِنْ بعدِما انْدَمَلَ الهَوَى ... بَرْقٌ تألَّقَ مُوهِناً لَمَعانُهُ
يَبْدُو كحاشيةِ الرِّداءِ ودونَهُ ... صَعْبُ الذُّرَى مُتَمَنِّعٌ أرْكانُهُ
وبَدَا لِيَنْظُرَ كيفَ لاحَ ولَمْ يُطِقْ ... نَظَرًا إليهِ وهَدَّهُ هَيَجانُهُ
فالنَّارُ ما اشتَمَلَتْ عليهِ ضُلُوعُهُ ... والماءُ ما سَحَّتْ بهِ أجفانُهُ

قال : فأحسنت ما شاءت فطرب تميم ومن حضر ثم غنت

سيَسْلِيكَ مِمَّا دُونَ دَوْلَةِ مُفْضِلٍ ... أوائلُهُ مَحمودَةٌ وأواخِرُهْ
نَمَى اللهُ عَطْفَيْهِ وألَّفَ شَخْصَهُ ... على البِرِّ مُذْ شُدَّتْ عليهِ مآزِرُهْ

فطرب تميم ومن حضر ثم غنت

أستَوْدِعُ اللهَ في بَغْدادَ لي قَمَرًا ... بالكَرْخِ مِن فَلَكِ الأزْرارِ مَطْلَعُهْ

فاطرق تميم في الضرب حدأ وقال لها تمني ما شئت فلك ملكك . قالت : اتمنى أيها الأمير عافيته وسلامته . فقال . والله لا بد ان تمني . فقالت : على الوفاء أتمنى أن اعمى

هذه التوبة بمغداد فتغير وجه تميم وتكدر المجلس وقام فلحقني بعض خدمه فردني فلما وقفت بين يديه قال : ويحك ارأيت ما امتحنا به ولا بد لنا من الوفاء ولم أثق في هذا غيرك فتأهب لحملها الى بمداد فاذا صرت هناك فاسرقها ، فقلت : سمعا وطاعة ثم احضرها جارية سوداء تخدمها وتعادلها وأمر بناقة لي فحمل عليها هودج وادخلت فيه وسرنا مع القافلة الى مكة فقضينا حجنا ثم لما وردنا القادسية اتتني السوداء فقالت : تقول لك سيدتي أين نحن ، فقلت لها : نحن الآن بالقادسية فاحرتها فسمعت صوتا قد ارتجع ناشدا

لَمَّا رَأَينا القادِسِيَّةَ حيثُ تَجْتَمِعُ الرِّفاقِ
وشَمَمْتُ مِنْ أَرضِ الحِجا زِ نَسيمَ أَنفاسِ العِراقِ
أَيقَنْتُ لي ولِمَنْ أُحِـ ـبُّ بِجَمْعِ شَمْلٍ واتِّفاق
وضَحِكْتُ مِن فَرَحِ اللِّقا ءِ كما بَكَيتُ مِنَ الفِراقِ

فصاح الناس من أقطار القافلة . اعيدي يا فتاة فلم يسمع لها كلمة فلما نزلنا الناصرية على خمس أميال من بمداد في ساتين متصلة تبيت الناس فيها ثم يبكرون بمداد ، فلما قرب الصباح اذ السوداء قد أتتني مدعورة فقالت : إن سيدتي ليست بمحمرة فلم أحدها ولا وجدت لها بمداد خبرا ، فقصيت حوائجي وانصرفت الى تميم وأخبرته خبرها فلم يزل واجما عليها ،، واختار القبيات كثيرة فقتصرمها على هذا الشعر

محاسن الجواري مطلقا

قيل ،، كان يقال : من أراد قلة المؤونة وخفة النفقة وحسن الخدمة ، فليتخذ الحشمة فعليه بالاماء دون الحرائر ، وكان مسلمة بن مسلمة يقول : تخذت في ستين السراري كيف يتروح المهائر ، وقال : السرور بمحمد السراري . وكان هشام بن عبد الملك يكره اتخاذ الاماء امهات اولادهم حتى بدأ فيهم على بن الحسين بن علي رضي الله عنه

وفاق أهل المدينة فقها وعلماً وورعا فرغب الناس فى اتخاذ السراري ، قال : وليس من خلفاء بنى العباس من أبناء الحرائر الا ثلاثة السفاح والمنصور والامين والباقون كلهم أبناء الجواري وقد علقت الحواري لأنهن يجمعن عز العرب ودهاء العجم

﴿ صنده ﴾

إذا لم يكن فى منزل المرء حرة ... رأى خللاً فيما تولى الولائد
فلا يتخذ منهن حرٌّ قعيدة ... فهن لعمر الله شرُّ القعائد

وكان يقال : الحواري كبر السوق والحرائر كبر الدور ، ومن أمثال العرب : لا تمازح امة ولا تسك على أكمة ،، وقال بعضهم لاتمترش من تداولتها ايدى النخاسين ووقع ثمنها فى الموازين ،، وقال : لاخير في سات الكمر وقد نودى عليهن فى الأسواق ومرت عليهن أيدى العساق

محاسن الموت

فى الحديث المرفوع : الموت راحة ،، وقال بعض السلف : مامن مؤمن إلا والموت خير له من الحياة لانه إن كان محسنا فالله يقول ﴿وما عند الله خير للأبرار﴾ وان كان مسيئاً فالله تعالى حده يقول ايضا ﴿ ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ﴾ وقال ميمون بن مهران أتيت عمر بن عبد العزيز فكثر بكاؤه ومسئلته الله الموت فقلت : يا أمير المؤمنين تسأل ربك الموت وقد صنع الله على يديك خيراً كثيراً أحييت سنا وأمتّ بدعا وفعلت وصمت ولقائك رحمة للمؤمنين ، فقال : الا أكون كالعبد الصالح حين أقر الله عينه له أمره قال ﴿ رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث ﴾ الى قوله ﴿ وألحقني بالصالحين ﴾ فما دار عليه

أسوع حتى مات رحمه الله ،، قالت الفلاسفة : لايستكمل الانسان حدّ الانسانية إلا بالموت لأن حدّ الانسانية إنه حي ناطق ميت ،، وقال بعض السلف ،، الهالع اذا مات استراح والطالع إذا مات استريح منه ،، قال الشاعر

وما الموتُ إلاّ راحةٌ غيرَ أنهُ ... مِنَ المنزلِ الفاني إلى المنزلِ الباقي

وقال آخر

جزَا اللهُ عنّا الموتَ خيرًا فإنهُ ... أَرَّ بنا مِنْ كلِّ برٍّ وأرأفُ
يُعَجِّلُ تخليصَ النفوسِ مِنَ الأذَى ... ويُدنى مِنَ الدارِ التي هي أشرفُ

وقال منصور الفقيه

تذكرتُ إنْ مَدَحوا الحياةَ فأسرَفوا ... في الموتِ ألفُ فضيلةٍ لا تُعرَفُ
منها أمانُ بقائهِ بلقائهِ ... وفراقُ كلِّ معاشرٍ لا يُنصِفُ

وقال أحمد بن أبي بكر الكاتب

مَنْ كانَ يَرجو أنْ يَعيشَ فإنني ... أصبحتُ أرجو أنْ أموتَ فأعتقا
في الموتِ ألفُ فضيلةٍ لو أنها ... عُرِفتْ لكانَ سبيلهُ أنْ يُعشقا

وقال لكك المصرى

نحنُ واللهِ في زمانٍ غشومٍ ... لو رأيناهُ في المنامِ فزِعنا
أصبحَ الناسُ فيهِ مِنْ سوءِ حالٍ ... حقَّ مَنْ ماتَ منهمُ أنْ يُهنّا

﴿ ضده ﴾

في الحديث المرفوع أكثروا ذكر هادم اللذات يعني الموت،، قال الشاعر

يا موتُ ما أجفاكَ مِنْ نازلٍ ... تَنزِلُ بالمرءِ على رغمِهِ

تستلب النعماء من خيرها ... وتأخذ الواجبة من غيرها

وقال

وكل ذي غيبة له إياب ... وغائب الموت لا يؤوب

وقال بعضهم الناس فى الدنيا اغراض تنتضل فيها سهام المنايا ، وقال ابن المعتز الموت كسهم مرسل اليك وعمرك بقدر سفره نحوك ، وقال بعضهم الموت أشد مما قبله وأهون مما بعده ، ونظر الحسن رضى الله عنه الى ميت يدفن فقال ان شيئاً أوله هذا لحقيق أن يخاف آخره وان شيئاً هذا آخره لحقيق أن يزهد فى أوله .. وسئل بعض الفلاسفة عن الموت فقال معارة من ركبها سل حمره وعمى أثره .. والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

تمت المنيرة عن المساوى والامداد ثم طبع كتاب المحاسن والاضداد وكان ذلك فى اليوم الاخير من جمادى الاولى شهور سنة ١٣٢٤ هجريه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم